٦٦٢

مختصر

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

تأليف

الشيخ محمد باقر الناصري

الجزء الثاني

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة

مختصر مجمع البيان

ج ٢

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الحادي عشر
من القرآن الكريم

سورة يونس

وهي مكية في قول الأكثرين ، وروي
عن ابن عباس وقتادة : إلا ثلاث آيات
نزلت في المدينة : فإن كنت في شك مما
أنزلنا إليك . . إلى آخرهن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم (1) أكان للناس عجبا أن أوحينا
إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق
عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين (2)

مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في اوائل السور (تلك آيات الكتاب الحكيم) الآيات التي جرى ذكرها ، والآيات التي نزلت على نبيّنا محمّد (ص) المحكمة من الباطل لا كذب فيها ولا اختلاف ، أو لأن القرآن جمع العلوم المحكمة (أكان للناس عجباً . . .) استفهام إنكار على الذين استكثروا ، قيل:هم اهل مكة حين قالوا : نعجب ان الله سبحانه لم يجد رسولاً يرسله الى الناس إلا يتيم أبي طالب ، فردّ الله تعجبهم وبيّن سبحانه أنه لما اكمل لعباده عقولهم وكلّفهم معرفته وأداء شكره ، وعلم أنهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك إلا بداع يدعوهم اليه ، وجب في الحكمة أن يفعل ذلك . ثم بيّن سبحانه السبب الذي لأجله بُعث الرسول ، وما الذي أُوحي اليه فقال « أن انذر الناس » أي أخبرهم

وخوّفهم بالعذاب (وبشّر الذين آمنوا . . .) أي عرّفهم أن لهم أجراً حسناً ومنزلة رفيعة ، وقيل انّ معنى قدم صدق: شفاعة محمدٍ (ص) لهـم يوم القيامـة (وقـال الكافرون إنّ هذا لساحر مبين) يعنون النبيّ محمداً وهو قول يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا الى وصفه بالسحر .

قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

قيل: ان العرش المذكور هو السماوات والأرض لأنهنّ من بنائه ، والعرش البناء (يدبّر الأمر) أي يقدّره وينفذّه (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) انما قال هذا وإن لم يجرِ ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عند الله ، فبيّن سبحانه أن الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة والأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة مع أنه لا يشفع عنده احد من الملائكة والنبيين إلا بإذنه وأمره .

قوله تعالىٰ :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦

أكّد سبحانه في الإحتجاج للتوحيد بالشمس والقمر وما فيهما من مظاهر عظمة الله سبحانه وكيف تضيء الشمس بالنهار ، (والقمر نوراً) بالليل (وقدّره منازل)أي قدّر القمر بمقادير معلومة(لتعلموا)به وبمنازله(عدد السنين والحساب)من أول الشهر وآخره وانقضاء السنة ، وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالىٰ وفيهما أعظم الدلالات علىٰ وحدانيته من وجوه كثيرة (نفصّل الآيات) أي نشرحها ونبيّنها (لقوم يعلمون) فيعطون كل آية حظها من التأمل والتدبر (إنّ في اختلاف الليل والنهار) وما أحكمه الله في السموات من الأفلاك والكواكب السيّارة وغيرها ، وفي الأرض من الحيوان والنبات والجماد وانواع الأرزاق والنعم (لآيات) ودلائل علىٰ وحدانية الله سبحانه (لقوم يتّقون) معاصي الله ويخافون عقابه ، وخصّهم بالذكر لأنهم اكثر انتفاعاً بالآيات من غيرهم .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ
فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

توعّد سبحانه الغافلين عن الأدلة المتقدمة ، المكذّبين بالمعاد ، الذين لا يطمعون بلقاء الله وثوابه ولا يخافون عقابه ، واختاروا الدنيا على الآخرة واجتهدوا لأجل الدنيا فقط (واطمأنوا بها) أي سكنوا الى الدنيا ووثقوا بها (أولئك مأواهم النار) أي مستقرّهم النار ، ثم وعد سبحانه المؤمنين الذين صدّقوا بالله ورسله وأضافوا الى ايمانهم عمل الصالحات (يهديهم ربّهم بأيمانهم) أي جزاءً على ايمانهم .

ويكون دعاء المؤمنين حينذاك في الجنة (سبحانك اللهمّ) وليس ذلك على سبيل العبادة لأنه ليس هناك تكاليف بل يلتذّون بالتسبيح (وتحيّتهم فيها سلام) أي تحيّتهم من الله سبحانه في الجنة سلام ، وقيل: تحية بعضهم لبعض ، أو تحية الملائكة يقولون للمؤمنين سلام عليكم ، أي سلمتم من الآفات والمكاره التي أُبتلي بها أهل النار (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) ليس المراد انهم لا يتكلّمون بعده بشيء بل أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه .

قوله تعالى :

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ

أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

عاد الكلام لذكر المائلين إلى الدنيا،الغافلين عن الآخرة (ولو يعجّل الله للناس الشر) أي بإجابة دعوتهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهليهم عند الغيظ والضجر كما يعجّل لهم اجابة الدعوة بالخير (لقضي اليهم أجلهم) أي لفرغ من هلاكهم ولكن الله سبحانه يمهلهم حتى يتوبوا ، وقيل:معناه لو يعجّل الله للناس العقاب الذي استحقّوه بالمعاصي لهلكوا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أي فندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتحيّرون في كفرهم وعدولهم عن الحق وتمرّدهم في الظلم (وإذا مسّ الانسان الضر) المشقّة والمحنة في الدنيا (دعانا لجنبه) أي دعانا لكشف الضر وهو مضطجع (أو قاعداً أو قائماً) أي على أي حالة كان عليها واجتهد وألحّ في الدعاء (فلما كشفنا عنه ضره) وعافيناه من كربه ومحنّته استمر على طريقته الأولى (كأنْ لم يدعنا إلى ضر مسّه كذلك زيّن للمسرفين . . .) أي كما زيّن لهم الشيطان وأقرانهم ترك الدعاء حين السلامة والرخاء والإعراض عن الله .

وقد حثّ الله سبحانه بهذه الآية الذين حلّ بهم الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على أن يتذكروا حسن صنع الله ونعمه عليهم ويشكروه ويسألوه ادامة ذلك ، كما نبّه سبحانه على وجوب الصبر عند المحنة طلباً للأجر والكرامة .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

أخبر سبحانه عمّا نزل بالأمم الماضية ، وحذّر هذه الأمة عن مثل مصارع الماضين (كذلك نجزي القوم المجرمين) إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجّة عليهم (ثم جعلناكم) يا أمة محمّد (خلائف في الأرض من بعدهم) من بعد القرون التي أهلكناها جعلناكم في الأرض التي خلفهم (لننظر كيف تعملون) أي لنرى عملكم أتقتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ، أم تؤمنون فتستحقون الثواب ، والنظر في الحقيقة لا يجوز علىٰ الله تعالىٰ لأنه يصدر ممن لا يعلم النتيجة ، وانما يستعمل ذلك في صفاته سبحانه علىٰ وجه المجاز والتوسعة ، ولبيان موازين العدل علىٰ العباد في الإمهال والإختبار .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ
بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ
نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ

لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

أخبر سبحانه عن مشركي قريش (وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بيّنات) أي واضحات في الحلال والحرام (قال الذين) لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقاب الله ولا يرجون ثوابه قالوا: يا محمّد (إئت بقرآن غير هذا) أو بدّل احكامه يريدون بذلك اباحة منكراتهم وصرف التكاليف عنهم. (قل) لهم يا محمّد (ما يكون لي أن أبدله من تلقاءِ نفسي) لأنه معجزة لا استطيع تغييره وتبديله إلا أن يأتيني بذلك وحي من الله (قل) يا محمّد (لو شاء الله ما تلوته عليكم) أي لو شاء ما تلوت هذا القرآن (ولا أدراكم به) أي ولا أعلمكم الله به (فقد لبثت فيكم عمراً من قبله) قبل انزال القرآن كنت بينكم فلم أقرأه عليكم (فمَن اظلم ممّن افترىٰ علىٰ الله) أي لا أحد اظلم ممّن افترىٰ علىٰ الله كذباً وادعىٰ ما لم ينزّل عليه .

قوله تعالىٰ :

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ

بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار ، وانهم يعبدون الأصنام التي لا تضرّهم إن تركوا عبادتها ولا تنفعهم إن عبدوها (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانّهم قالوا إنا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله ، وأن الله أذن لنا في عبادتها وأنه سيشفعها فينا في الآخرة ، وتوهّموا أن عبادتها اشدّ في تعظيم الله سبحانه من قصده مباشرة بالعبادة (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا) قيل :انّهم اختلفوا على عهد آدم (ع) وولده عند قتل احد ابنيه أخاه، وقيل :اختلفوا بعد موت آدم (ع) لأنّهم كانوا على دين واحد الى زمن نوح (ع) وقيل:كانوا على ملّة ابراهيم (ع) الى أن غيّره عمر ابن مي وهو أول من غيرّ دين ابراهيم وعبد الصنم في العرب.وقيل:أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر ، ثم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر ، وقيل:أراد به العرب الذين كانوا قبل مبعث النبيّ محمّد (ص) وقيل:ان الناس خلقوا على فطرة الإسلام ثم اختلفوا في الأديان . وكلّها أوجه وجيهة وواردة في المقام والله العالم .

(ولولا كلمة سبقت من ربك) من أنه لا يعاجل العصاة بالعقوبة (لقُضي بينهم) أي لحكم بينهم بهلاك العصاة ونجاة المؤمنين ، لكنّه يؤخرهم الى يوم القيامة (ويقولون لولا أُنزل عليه آية من ربه) أي الا أنزل على محمّد آية من ربه تجبر الخلق على تصديقه فلا يحتاجون بعدها الى استدلال ومعجزة (فقل إنما الغيب لله) وان الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور هو الله سبحانه (فانتظروا) عقاب الله بالقهر والعقاب في الآخرة كما (اني من المنتظرين) للنصر وإعزاز المؤمنين .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أخبر سبحانه عن فعال الكفار الذميمة ، وانهم إذا حلّ بهم راحة ورخاء بعد شدة وبلاء (إذا لهم مكر في آياتنا) يحتالون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة أو مغالطة في مناظرة أو باستهزاء وتكذيب (قل) يا محمّد (الله اسرع مكراً) أي اقدر جزاءً على المكر وأن ما يأتيهم من العقاب اسرع مما يمكرون و (أن رسلنا) الملائكة (يكتبون ما تمكرون) وتدبرون ثم عدّد سبحانه نعمه التي ينعم بها على عباده وانه (هو الذي يسيّركم في البر والبحر) ويمكّنكم من المسير ويهيء لكم آلات السير والدواب والسفر وإرسال الرياح التي تسيّر السفن وكيف أن راكبي البحر بينما هم في راحة والهواء الطيب يجري بسفنهم وهم فرحون

بذلك (جاءتها ريح عاصف) شديد الهبوب وأيقنوا أنهم سيهلكون لما احاط بهم من الموج (دعوا الله مخلصين له الدين) توجّهوا لله خاصة بدعائهم وقالوا يا ربنا (لئن انجيتنا من هذه) الشدّة (لنكونن من الشاكرين) لنعمك (فلمّا أنجاهم) من تلك المحنة (إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) ويعملون فيها بالكفر والمعاصي ويحاربون الأنبياء والمؤمنين .

قوله تعالى :

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

لما تقدم ما يوجب الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا، عقّبه سبحانه بذكر صفة الدارين وان صفة الدنيا في سرعة زوالها (كماء أنزلناه من السماء) فاختلط بذلك المطر نبات الأرض كالحبوب والثمار وما تأكله الأنعام من الحشائش (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) وبهجتها بأنواع الألوان والنبات وتزيّنت في عين رائيها (وظن اهلها أنّهم قادرون عليها) وأنّهم يستطيعون حصادها وأخذ ثمارها (أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً) أي جاءها حكمنا باهلاكها واتلافها (فجعلناها حصيداً كان لم

تغن بالأمس) أي محصودة،كأن لم تكن بالأمس موجودة ، وفي ذلك بيان لتوقع زوال الدنيا والتحرز من الاغترار بها ، ثم رغب سبحانه في الآخرة فقال (والله يدعو الى دار السلام) قيل:ان السلام هو الله تعالىٰ ويدعو الى داره وهي الجنة ، أو دار السلام بمعنىٰ أنها الدار التي يسلم فيها من الآفات ، أو أن الجنة تسمىٰ دار السلام لأن اهلها يسلّمُ بعضهم على بعض والملائكة تسلّم عليهم فلا يسمعون إلا سلاماً ولا يرون إلا سلاماً (ويهدي مَن يشاء الى صراط مستقيم) بالتوفيق ونصب الأدلة للمكلفين ، وقيل:معناه يهدي من يشاء في الآخرة الى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ، ويبعد عنه الكافرون الى النار .

قوله تعالىٰ :

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾

بيّن سبحانه أن للذين احسنوا العمل وأطاعوا الله في الدنيا لهم جزاءً علىٰ ذلك الحسنىٰ والمنزلة الرفيعة وزيادة لهم بمضاعفة أجرهم (ولا يرهق وجوههم قتر) سواد أوغبار ولا ذلّة وهوان (والذين كسبوا السيئات) وارتكبوها (جزاء سيئة بمثلها) أي لهم جزاء كل سيئة بقدر ما يستحقّون من غير زيادة لأن الزيادة في

العقاب ظلم بخلاف الثواب فزيادته تفضّل حسن . (وترهقهم ذلة) أي يلحقهم هوان وذلة ، ما لهم من عذاب الله وعقابه حافظ يعصمهم (كأنما أُغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) أي كأنما أُلبست وجوههم ظلمة الليل لسواد وجوههم ، أعاذنا الله من ذلك .

قوله تعالىٰ :

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ
وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ
٢٨ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ
٢٩ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٣٠

لمّا تقدم ذكر الجزاء ، بيّن سبحانه وقت الجزاء (ثم نقول للذين اشركوا) في عبادتهم مع الله غيره (مكانكم انتم وشركاؤكم) أي قفوا والزموا مكانكم انتم مع الأوثان والأصنام التي عبدتموها قفوا لتُسألوا وتحاسَبوا (فزيّلنا بينهم) أي فرّقنا بينهم في المسألة وبين مَن أشركوهم مع الله في العبادة ، فتبرّا منهم الشركاء وانقطعت اسبابهم (فكفىٰ بالله شهيداً) أي حاكماً (هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت) في ذلك الموقف يتضح لكل نفس ما عملت من خير أو شر ، وترىٰ جزاء ذلك ، وحينها يكون الحكم فيهم لله وحده لا شريك له . (وضلّ عنهم ما كانوا يفترون) أي بطل وغاب عن المشركين ما كانوا يدعونه بكذبهم من الشركاء مع الله تعالىٰ .

قوله تعالى :

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

قرر سبحانه ادلة التوحيد والبعث (قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار من يخلق لكم الرزق (من السماء) بإنزال المطر ومن (الأرض) باخراج النبات وأنواع الثمار (أمّن يملك السمع والأبصار) ولو شاء لسلب نورها وحسّها ، ويخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان أو من يخرج المؤمن الذي هو الحيّ حقيقة يخرجه من الكافر الذي هو بمثابة الميّت ، وكذلك العكس (فسيقولون الله) وسيعترفون بأن الله تعالى هو يفعل هذه الأشياء وأن الأصنام لا تقدر على ذلك (فقل أفلا تتقون)عقاب الله في عبادتكم للأصنام وفي الآية دلالة على التوحيد وحسن المحاجّة في الدين . وفيها دلالة على أن المشركين كانوا يقرون بالخالق وإن كانوا مشركين ، فان جمهور العقلاء يقرّون بالصانع سوى بعض الملحدين الذين لا يعتد بمغالطتهم . ومَن أقرّ بالصانع الخالق صنفان : موحّد يعتقد أن الخالق واحد أحد لا يستحق العبادة غيره . ومشرك ، والمشركون صنفان: قسم جعلوا لله شريكاً في ملكه يضاده ويشاركه وهم الثنوية والمجوس ، ثم اختلفوا فمنهم يثبت لله شريكاً قديماً كالمانوية ، ومنهم يثبت شريكاً محدثاً كالمجوس .

وقسم آخر من المشركين لا يجعل لله تعالىٰ شريكاً في حكمه وملكه ، ولكن يجعل له شريكاً في العبادة يكون وسيطاً بينه وبين خالقه وربه .

ثم اختلف مشركوا الواسطات ، فمنهم مَن جعل الوسائط من الأجسام العِلوية كالنجوم والشمس والقمر ، ومنهم مَن جعل الوسائط من الاجسام السِفلية كالأصنام ونحوها ، تعالىٰ الله عمّا يقول الزائغون عن الحق علواً كبيراً .

(ربكم الحق) أي الذي خلقكم وله معنى وصفات الإله هو الذي تحقّ له العبادة دون غيره (فأنىٰ تصرفون) أي كيف تنحرفون عن عبادته مع وضوح الأدلة على انه لا يستحق العبادة غيره . (وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) لأنهم انصرفوا عن الايمان رغم كل الحجج والبراهين فحقّت عليهم كلمة ربك بالعقوبة جزاءً لهم لإصرارهم على الكفر .

قوله تعالىٰ :

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)

احتج سبحانه على المشركين باحتجاج آخر (قُل) يا محمّد لهؤلاء المشركين هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله وأشركتموهم في أموالكم هل منهم من يبدؤا الخلق بالإنشاء الأول حين لم يكن شيئاً ثم يعيده في النشأة الثانية ، فإن قالوا ليس من شركائنا مَنْ يقدر على ذلك (قُل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده) يوم القيامة (فأنّى تؤفكون) أي كيف تصرفون عن الحق ، وقُل يا محمّد لهؤلاء المشركين هل من هذه الأصنام من يهدي الناس الى الرشد ولما فيه الصلاح والنجاة والخير بحجّة يظهرها (فقُل الله يهدي للحق) ويدل على طريق الحق والرشاد أفمَنْ يهدي غيره الى طريق التوحيد والرشد (احقّ أن يتّبع) أمره ونهيه (أمَّن لا يهدي) أحداً ، لأن الأصنام أموات لا تملك هداية أحد وإرشاده (فما لكم كيف تحكمون) في حق هذه الأصنام التي لا تملك شيئاً فتدّعون لها الألوهية .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم
مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا
بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم

مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

ردّ سبحانه على الكفار قولهم: (إئت بقرآنٍ غير هذا أو بدله) وقولهم إن النبيّ افترى هذا القرآن فأكّد سبحانه أن القرآن وحيٌ من الله (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب وشاهداً لما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور بأنها حق من الله، كما أن القرآن هو حق وصدق من الله بشهادة ما تقدم من الكتب وبشارتها بالنبي محمّد (ص) وبالقرآن العظيم. (وتفصيل الكتاب) أي تبيين المعاني المجملة وبيان الأدلة (لا ريب فيه من ربّ العالمين) أي لا شك أنه نازل من ربّ العالمين وأنه معجز(فأتوا بسورة مثله) في البلاغة فاذا عجزتم عن الإتيان بمثله فاعلموا انه ليس من كلام البشر وأنه حقاً منزل من عند الله تعالى (ولمّا يأتِهم تأويله) أي لم يأتهم بعد حقيقة ما وعد في القرآن من العقوبة، وقيل: معناه إن في القرآن اشياء لا يعلموها ولا يمكنهم معرفتها إلا بالرجوع الى النبيّ (ص) (كذلك كذّب الذين من قبلهم)) أي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الأُمم السابقة رسلها (فانظر) يا محمّد (كيف كان عاقبة الظالمين) وماذا حلّ بهم من الدمار (ومنهم مَنْ يؤمن به ومنهم مَنْ لا يؤمن به) أراد سبحانه انما لا يهلكهم في الحال لعلمه في ابقائهم من مصلحة إيمان بعضهم وقطع الحجج والمعاذير على مَن لم يؤمن (وربّك اعلم بالمفسدين) الذين يصرّون على الكفر والفساد ويعلم مَن يتوب منهم.

قوله تعالى:

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ

الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

خاطب سبحانه نبيه محمّداً (ص) (وإن كذّبوك) يا محمّد وردّوا عليك قولك (فقل) لهم إن كنت كاذباً فوبال كذبي عليّ ، وقيل:أن هذه الآية منسوخة بآية القتال ، وقيل:انه لا تنافي بين هذه الآية وآية القتال (ومنهم مَن يستمعون اليك) يا محمّد للرد لا للفهم، وكأنّهم صمٌّ لا ينتفعون بما تقول، كما أن من ينظر الى أفعالك يا محمّد وأقوالك من هؤلاء الكفار لا ينظر نظر طالب للحقيقة والإعتبار ، بل نظر القادح المكذّب الرّاد عليها ، وبذلك يحرمون انفسهم من الإنتفاع بالأدلة والحجج الدالة على صدق رسول الله (ص) (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بارتكابهم ما نهى الله عنه وعدم انتفاعهم بالقرآن والحجج وترك النظر والإعتبار فيها ، وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة القائلين بنسبة عموم أفعال العباد الى الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ

شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ
قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

بيّن سبحانه حال البشر يوم الحشر ، وأنّهم حينذاك يستقلّون أيام الدنيا حتى كأنّهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعةً من النهار ،وإن المكث في الدنيا مهما طال بمنزلة مكث ساعة في جنب الآخرة (يتعارفون بينهم) فيعرف بعضهم بعضاً ويتذاكرون فيما كانوا عليه من الخطأ والكفر (وإما نرينّك) يا محمّد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء الكفار من العقوبات لهم في الدنيا (أو نتوفينّك) اي نميتك قبل أن ينزل بالكفار ما وعدناهم من العذاب (ولكل أمة رسول) فاذا جاء رسولهم وبلّغ الرسالة فكذّبه قومه وصدّقه آخرون (قضي بينهم) فيهلك المكذبين وينجّي المؤمنين ، وقيل: معناه جاء رسولهم يوم القيامة يشهد عليهم وحكم عليهم بالقسط والعدل (وهم لا يظلمون) .

قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ
لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ
عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ
آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ

ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

لما توعّد سبحانه المكذبين ، عقبه انهم إذا استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والردّ حيث يقول هؤلاء المشركون (متى هذا الوعد) الذي تعدنا به من البعث وقيام الساعة . . . (قل) يا محمّد في جواب هؤلاء (لا أملك لنفسي ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله) أن يقدرني عليه (لكلّ أمة أجل) اي لكل أمة في عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم لا يتاخرون عنه ولا يتقدّمون (أثمّ إذا ما وقع آمنتم به) استفهام انكار بمعنى أحين يقع العذاب آمنتم بالله (الآن وقد كنتم) بالعذاب (تستعجلون) لأنكم كنتم تكذّبون وتستهزؤون . ثم يقال يوم القيامة ـ للذين ظلموا أنفسهم ـ ذوقوا عذاب الخلود في الآخرة بالعذاب الأليم حيث انكم دُعيتم إلى الهدى وأزيحت عنكم الموانع والعلل فلم تؤمنوا وأبيتم إلا التمادي في الكفر والإنهماك في الغي فذوقوا جزاء أعمالكم .

قوله تعالى :

وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

(ويستنبئونك) يا محمّد يطلبون منك أن تنبئهم وتخبرهم (أحق) ما جئت

به من القرآن والنبوة والشريعة ، أو أحق ما تعدنا به من البعث والقيامة ؟ (قُل) نعم وحق ربيّ (إنه لحق) لا شك فيه (ولو أن لكل نفس ظلمت) وأشركت بالله لو أن لها (ما في الأرض) من الأموال (لافتدت به) من هول العذاب وشدته (وقُضي بينهم بالقسط) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) فيمايفعل بهم من العقاب لأنّهم هم الذين جنوه على انفسهم (ألا إن لله ما في السموات . . .) فلا يقدر أحد علىٰ منعه وحمايته من إنزال العقاب بعبيده العصاة المستحقّين لذلك العقاب .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

لمّا تقدم ذكر القرآن وما فيه من الوعد والوعيد ، عقّبه سبحانه بذكر جلالة القرآن وعظيم وقعه في الاستدلال والموعظة لما فيه من الدعوة الىٰ الصلاح والزجر عن الفساد (وشفاءٌ لما في الصدور) من الجهل والأمراض النفسية ، وأشار بذلك سبحانه الىٰ القلب الذي هو في الصدر وهو اشرف قطعة في الإنسان وبصلاحه يصلح الإنسان (قُل) يا محمّد (بفضل الله وبرحمته) فليفرح الناس لأنه خير لكم يا أصحاب محمّد مما يجمعه الكفار من الأموال . وروىٰ انس عن النبي (ص) أنه قال : مَن هداه الله للإسلام وعلّمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه إلىٰ يوم القيامة ثم تلا (قل بفضل الله وبرحمته . . .) .

قوله تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا
قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ
وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا
أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

أمر الله سبحانه نبيّه محمّداً (ص) أن يخاطب كفار مكة (قُل) يا محمّد (أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) فجعله حلالاً (فجعلتم منه حراماً وحلالاً) بما ابتدعوه حين حرّموا السائبة والبحيرة والوصيلة ونحوها مما حرّموا من زروعهم (الله أذِن لكم أم على الله تفترون) أي تكذبون ، وماذا يظنّ الذين يكذبون على الله ، وهل ينتظرون جزاء كذبهم غير العذاب الشديد (إن الله لذو فضل على الناس) بما رزقهم من ضروب النعم وأباح لهم من الأنعام (ولكنّ اكثرهم لا يشكرون) نعمه ويجحدونها . (وما تكون) أنت يا محمّد (في شأن) من شؤون أمور الدين وتبليغ الرسالة (وما تتلوا منه من قرآن) أي من الله ، أو من الكتاب ولا تعمل انت وأمتك من عمل إلا كنّا عالمين به شاهدين به عليكم (إذ تفيضون فيه)

أي تدخلون وتخوضون فيه (وما يعزب عن ربّك) وما يبعد ويغيب عن رؤية ربك وقدرته ، قال الصادق (ع) كان رسول الله (ص) إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءً شديداً .

قوله تعالى :

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

بيّن سبحانه أن المطيعين لله الذين تولوا القيام بأمره لا خوف عليهم يوم القيامة من العذاب والعقاب (ولا هم يحزنون) . (الذين آمنوا) وصدّقوا واعترفوا بوحدانية الله (وكانوا يتّقون) المعاصي (لهم البُشرى في الحياة الدنيا) بما بشّرهم الله به في القرآن على أعمالهم الصالحة ، وقيل: هي بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة ، أو هي الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن لنفسه ، أو تُرىٰ له . (وفي الآخرة) لهم البشرىٰ بالجنة حيث يبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة الىٰ أن يدخلوا الجنة (لا تبديل لكلمات الله) ولا خُلف لما وعد من الثواب (ولا يحزنك قولهم) وهو تسلية منه سبحانه للنبي (ص) عن اقوال الكفار المؤذية وأن لا يعبأ بهم (إن العزّة لله) وبعزّته يدفع أذاهم عنك ، أو لا يحزنك قولهم إنك ساحر أو مجنون ، فسينصرك الله عليهم ويذلّهم (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بضمائرهم

فيجازيهم عليها ، ويدفع عنك شرّهم وكيدهم وضرّهم .

قوله تعالىٰ :

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

لمّا سلّىٰ الله سبحانه نبيّه محمّداً (ص) بقوله (ولا يحزنك قولهم . .) ووعد أن لا يفوته منهم أحد ، بيّن الدليل عليه بقوله (ألا إن لله مَن في السموات ومَن في الأرض) يعني العقلاء (وما يتّبع الذين . . .) وأي شيء يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء . أو بمعنىٰ (ما) نافية أي أنهم في الحقيقة ما يتّبعون شركاء (إن يتّبعون إلا الظن) في اتخاذهم مع الله شركاء ، ولتقليدهم أسلافهم ، أو لشبهةٍ دخلت عليهم بأنّهم يتقربون بذلك إلىٰ الله تعالىٰ (وإن هم إلا يخرصون) أي يكذّبون بهذا الاعتقاد ، ثم بيّن سبحانه إن في خلق الليل والنهار وبيان وظائفهما في الحياة كل ذلك فيه حجّة ودلالة على توحيد الله من حيث لا يقدر على ذلك غيره (إنّ في ذلك لآيات لقومٍ يسمعون) الحجج سماع تدبّرٍ وتفهّمٍ وتعقّلٍ .

قوله تعالىٰ :

﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

الأرضِ إن عندكم من سلطانٍ بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴿٦٨﴾
قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴿٦٩﴾ متاعٌ في
الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون ﴿٧٠﴾

حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار انّهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طائفتان . احدهما : كفار قريش والعرب فانّهم قالوا الملائكة بنات الله . الثانية : النصارىٰ الذين قالوا إن المسيح ابن الله . (سبحانه) أي تنزيهاً له عمّا قالوا (هو الغني) عن اتخاذ الولد ، لأن الانسان إنما يتّخذ الولد ليتقوّى به من ضعف ، أو ليستغني به من فقرٍ ، (إن عندكم من سلطانٍ بهذا) أي ما عندكم من سلطانٍ وحجّةٍ وبرهانٍ يتمتّعون به اياماً قلائل ثم تنقضي .

قوله تعالىٰ :

واتل عليهم نبأ نوحٍ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم
مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم
وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمةً ثم اقضوا إليّ ولا
تنظرون ﴿٧١﴾ فإن توليتم فما سألتكم من أجرٍ إن أجري إلا على
الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴿٧٢﴾ فكذبوه فنجيناه ومن

مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

أمر سبحانه نبيّه (ص) أن يقرأ عليهم أخبار نوح (ع) (إذ قال لقومه) الذين بُعث اليهم إن شق وعظي عليكم واقامتي بين أظهركم و(تذكيري) اياكم (بآيات الله) وحججه وبيّناته الدالة على صحة ما جئت به، وبطلان دينكم، وعزمتم على قتلي وطردي (فعلى الله توكلت) وفوّضت أمري وهو ثقتي يكفيني أمركم، فاعزموا على أمركم وأصرّوا عليه وادعوا شركاءكم فيبيّن نوح (ع) أنه لا يرتدع عن دعوتهم إلى الدين والتوحيد مستعيناً على ذلك بالله سبحانه واثقاً بنصره عليهم جميعاً (ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة) أي غمّاً وحزناً، أو بمعنى لا يكن أمركم مبهماً مستوراً (ثم أقضوا إليّ ولا تنظرون) أي انهضوا لي واقتلوني إن وجدتم لذلك سبيلاً ولا تمهلوني إن كنتم تستطيعون وفي ذلك تحدٍّ لهم ومباهلة بأنه منصور من الله سبحانه (فإن توليتم) أي ذهبتم وأعرضتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه فإني لا أطلب منكم على ذلك اجراً (إن أجري إلا على الله) في القيام بأداء الرسالة (وأمرت أن اكون من المسلمين) المستسلمين لأمر الله تعالى (وجعلناهم خلائف) أي جعلنا الذين نجوا مع نوح في السفينة خلفاء لمَن هلك بالغرق، قيل: انهم كانوا ثمانين نفساً .

قوله تعالى :

ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ

بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ
مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ
لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا
عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

بيّن سبحانه قصة من بعثه من الرسل بعد نوح ، وهم ابراهيم وهود وصالح ولوطاً وشعيباً عليهم السلام . (فجاؤوهم بالبيّنات)والمعاجز الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوّتهم (فما كانوا ليؤمنوا به من قبل) يعني أُولئك الأقوام الذين بعث اليهم الرسل ، وانهم ساروا على منهاج مَن كذب الرسل قبلهم ، وقيل:معناه لم يكن منهم مَن يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذّبوا به من قبلها ، بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البيّنات وبعدها (وكذلك نطبع على قلوب المعتدين) الظالمين لنفوسهم المتعدين لحدود الله ونجعل عليهم سمةً وعلامةً على كفرهم يلزمهم الذم بها ، ويعرفهم بها الملائكة . ثم عقّب سبحانه بذكر من بُعث بعدهم من الأنبياء وذكر موسىٰ وهارون عليهما السلام مزوّدين بالأدلة والمعاجز الىٰ فرعونَ وملائه، فاستكبروا على الإنقياد لها والايمان بها (فلمّا جاءهم) أي جاء قوم فرعون (الحق من عندنا) يعني ما أتىٰ به موسىٰ (ع) من المعجزات والبراهين (قالوا إنّ هذا لساحر مبين) أي ظاهر ، واستنكر موسىٰ علىٰ قومه خلطهم بين السحر والمعجزة ، وانّ السحر باطل والمعجزة حق وبرهان (قالوا أجئتنا لتلفتنا . . .) أي لتصرفنا عمّا وجدنا عليه آباءنا من العبادات والعادات (وتكون لكما الكبرياء)

أي الملك أو العظمة والسلطان (وما نحن لكما بمؤمنين) أي غير مصدّقين فيما تدّعيانه من النبوّة .

قوله تعالىٰ :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

حكىٰ سبحانه عن فرعون أنه حين أعجزه المعجزات التي اظهرها الله لموسىٰ (ع) ولم يكن لفرعون حيلةٌ في دفع تلك المعاجز أو ابطالها قال لقومه (إئتوني بكل ساحرٍ عليم) بالسحر ، وقرأها أهل الكوفة (بكل سحّار) بالتشديد . (فلمّا جاء السحرة) الذين طلبهم فرعون وذلك بحضور موسىٰ (ع) (قال لهم موسىٰ ألقوا ما أنتم ملقون) وفي ذلك تحدٍّ من موسىٰ للسحرة ، أي فمَن كان عنده ما يعارض المعجزة فليتقدّم به ، فلمّا ألقت السحرة بسحرها ، وهم يظنّون أن ما عند موسىٰ هو سحر وتمويه ، إلا انّ موسىٰ أكّد خسرانهم (إن الله سيبطله) أي سيبطل سحر السحرة ، ويعلي كلمة الحق باظهار أمر موسىٰ ومعاجزه . (ويحقّ الله الحق بكلماته) ويظهره ويثبته وينصر أهله (ولو كره المجرمون) ظهور الحق وفي هذه الآية دلالة علىٰ أنه تعالىٰ ينصر الحق وأهله .

أولاً : بالحجّة والبرهان وهذا مستمر من الله تعالىٰ لأوليائه علىٰ كل حال .
وثانياً : بالغلبة والقهر والانتصار ، وهذا يختلف بحسب المصلحة لأن المصلحة

قد تكون بالنصر حالاً ، أو بحجب النصر وتأخيره لما فيه مصلحة العباد والبلاد .

قوله تعالى :

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾

بيّن سبحانه مَن آمن مِن قوم موسى (ع) وأنه لم يصدّق موسى في دعواه النبوة (إلا ذريةٌ من قومه) أي أولاد من قوم فرعون وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر ومنهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وجاريةٌ وامرأةٌهي ماشطة امرأة فرعون.وقيل انهم بعض أولاد القبط لم يستجب آباؤهم لموسى ، وقيل:أرادمؤمني بني اسرائيل وكانوا ستمائة ألف ، وكان يعقوب (ع) دخل مصر منهم بأثنين وسبعين انساناً ، فتوالدوا ، وكان ايمان هؤلاء بموسى (على خوف من فرعون وملئهم) أي على خوف من فرعون ومن وجهائهم ورؤسائهم (أن يفتنهم) أي خوفاً أن يمتحنهم في ايمانهم بالتعذيب بما لا طاقة لهم على الصبر عليه فينصرفون عن الدين (وإن فرعون لعال في الأرض) مستكبر باغ لأنه ادّعى الربوبية وأسرف في القتل ، والإسراف:التجاوز عن الحد في كل شيء (ربّنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين) أي لا تمكّن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على ترك ديننا ، أو لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا .

قوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

أمر الله موسى وأخاه هارون أن اتخذا لمن آمن بكما بمصر بيوتاً تسكنونهاوتأوون اليها (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف في معنى ذلك،فقيل لما دخل موسى (ع) مصر بعد هلاك فرعون، أمروا باتخاذ المساجد. يذكر فيهااسم الله تعالى وأن يجعلوا مساجدهم نحو القبلة فكانت قبلتهم الكعبة ، وقيل:أن فرعون امر بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من الصلاة ، فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلّون فيها خوفاً من فرعون ، أو بمعنى اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً شدة في الحيطة والحماية من الأعداء (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه) أي اعطيت فرعون وقومه (زينة) يتزيّنون بها من الحلي والثياب والصحة والجمال والاموال (ربنا ليضلّوا عن سبيلك) واللام هنا للعاقبة ، أي وعاقبة أمرهم انهم يضلّون عن سبيلك(ربنا اطمس على اموالهم)وهو دعاء بتغيير الأموال الى جهة لا ينتفعون بها،

وقال اكثر المفسرين صارت جميع أموالهم حجارة (واشدد على قلوبهم) أي ثبّتهم على المقام ببلدهم ، أو أمتهم بعد سلبهم أموالهم وأهلكهم (قال) الله تعالى لموسى وهارون « قد أُجيبت دعوتكما فاستقيما » أي فاثبتا على ما أُمرتما من دعاء الناس إلى الايمان بالله تعالى ، روي أن فرعون مكث بعد هذا الدعاء اربعين سنة .

قوله تعالى :

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ
بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

بيّن سبحانه مآل آل فرعون وقومه (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثني عشر فرقاً ، وتبعهم فرعون وجنوده ، وأمر الله سبحانه موسى (ع) فضرب البحر بعصاه فانفلق اثنى عشر وصار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل وصار في الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر الى بعض ، فلما وصل فرعون بجنوده الى البحر رأوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخوله ثم دخلوا جميعاً وانطبق الماء عليهم (حتى إذا ادركه الغرق) أي وصل اليه الغرق وايقن فرعون بالهلاك (قال آمنت أنه . . .) وكان ذلك ايمان إلجاء لا يستحق به الثواب ولا يقبل منه .

(فاليوم ننجيك ببدنك) قال اكثر المفسرين لما اغرق الله فرعون وقومه انكر بعض بني اسرائيل غرق فرعون وقالوا هو أعظم شأناً من أن يغرق فأخرجه الله طافياً بعد موته على ظهر الماء حتى رأوه (ننجيك) أي نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع حتى يعتبر المعتبرون بهلاكك ، وقد طفا عرياناً (لتكون لمَن خلفك آية) ونكالاً وموعظة لمَن خلفك من البشر فلا يقولوا مثل مقالتك .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

بيّن سبحانه حال بني اسرائيل بعد اهلاك فرعون (ولقد بوّأنا . .) حيث انجاهم واهلك عدوهم ، وأنزلهم موضع خير وهو بيت المقدس والشام ، وقيل إن موسى (ع) عبر ببني اسرائيل البحر ثانياً ورجع الى مصر وتبوّأ مساكن آل فرعون (ورزقناهم من الطيّبات) الاشياء اللذيذة ، وهذا يدل على سعة أرزاق بني اسرائيل . (فما اختلفوا حتى . . .) أي فما اختلفوا في تصديق محمّد (ص) وانتظاره ، حيث كان اليهود مقرين به قبل مبعثه حتى جاءهم العلم وهو القرآن وبُعث محمّد (ص) فحينها اختلفوا فيه وفي تصديقه وصفاته ، وقيل: معناه فما اختلف بنو اسرائيل إلا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهارون (ع) فانهم كانوا جميعاً مطبقين على الكفر قبل مجيء موسى ، فلما جاءهم آمن به بعض وبقي على الكفر آخرون .

قوله تعالى :

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

بيّن سبحانه صحة نبوة محمّد (ص) ، وهو سبحانه يخاطب النبي ولكن الخطاب شامل ، فان كنتم في شك فاسألوا ، لأن النبي لم يشك ولم يسأل ، وهو من قبيل قوله تعالىٰ « يا أيها النبي إذا طلّقتم النساء . . . » فالخطاب للنبي والمعني به عموم المسلمين . وفي المقام المعنىٰ إن كنت ايّها المخاطب أو السامع في شك مما أنزلنا اليك على لسان النبي محمّد (ص) فاسألوا . . . وقد أمر سبحانه بأن يسألوا مؤمني أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وكعب الأحبار وتميم الداري وأشباههم ، كما جاء ذلك عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ، واسألهم عن صفة النبي المبشر به في كتبهم (لقد جاءك الحق من ربك) وهو القرآن والإسلام (فلا تكوننّ من الممترين) أي الشاكين ، والإمتراء هو الشك مع ظهور الدليل . ثم اخبر سبحانه بأن هؤلاء الكفار لا يصغون للأدلة والبراهين ولا ينتفعون بها (حتىٰ يروا العذاب الأليم) فيصيروا ملجئين الى الايمان وحينها لا ينفعهم إيمانهم .

قوله تعالىٰ :

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا

كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾

لما ذكر سبحانه أن ايمان فرعون لم يقبل لأنه جاء متاخراً عندما حلّ به العذاب. عقّبه بذكر إيمان قوم يونس قبل نزول العذاب (فلولا كانت قريةآمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس) أي فهلّا كان اهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم كما آمن قوم يونس وكشفنا عنهم العذاب ولم يشذ منهم احد عن الايمان، فهلّا كانت القرىٰ مثل قرية يونس، فكانت مثلاً في التوبة الصادقة والرجوع الى الله.

وقصة يونس (ع) أن قوم يونس كانوا بنينوىٰ من ارض الموصل وكان يدعوهم الى الإسلام فأبوا فأخبرهم أن العذاب مصبحهم الىٰ ثلاثة أيام إن لم يتوبوا، فلما كان جوف الليلة الثالثة خرج يونس من بين أظهرهم ، فلما أصبحت غامت السماء غيماً اسوداًهائلاً يدخن دخاناً شديداً فهبط حتىٰ غشي مدينتهم واسودّت سطوحهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيّهم فلم يجدوه فخرجوا الىٰ الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام وتضرعوا جميعاً الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم، ومر يونس على وجهه كما حكىٰ الله عنه حتى انتهىٰ الى ساحل البحر فاذا بسفينة فسأل يونس اهل السفينة أن يحملوه معهم فحملوه فلما توسّطوا البحر بعث الله عليهم حوتاً عظيماً فحبس السفينة فاجروا بينهم القرعة علىٰ من يلقونه طعاماً للحوت فوقعت القرعة علىٰ يونس فالقوه فالتقمه الحوت فلبث في بطنه ثلاثة ايام،وقيل:سبعة، وقيل اربعين يوماً فنادىٰ في الظلمات (أن لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين) فاستجاب الله دعاءه فنبذه الحوت علىٰ ساحل البحر وهو كفرخ الطير، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل بها، ورد الله عليه صحته ورجع الىٰ قومه وآمنوا به.وقيل:انه (ع) أرسل الى قوم غير قومه الأولين.

قوله تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

لما تقدم أن إيمان الملجأ غير نافع ، بيّن سبحانه أن ذلك لو كان ينفع لأكره أهل الأرض عليه لقدرة الله تعالى على ذلك (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أي لا ينبغي لك يا محمّد اكراههم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لأن الله وحده قادر عليه ، ولكن لا يريده لأنه ينافي التكليف ، وفي ذلك تسلية للنبي (ص) وتخفيف لما يلحقه من الألم والحسرة والحرص على ايمان الناس (وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله) أي لا يمكن أن يؤمن أحد إلا بتمكين الله له من الإيمان ودعائه اليه بما اودع فيه من العقل ، وقيل:ان اذنه سبحانه هنا بمعنى علمه أي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) أي يجعل العذاب على الذين لا يتفكرون ولا يتدبرون في آيات الله وبراهينه ، وذكر للرجس معان أخر منها الكفر ، والغضب والسخط ، وقد يأتي الرجس بمعنى القذر والنجس .

قوله تعالى :

قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ

خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

بيّن سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال (قل) يا محمّد لمن يطلب منك الآيات والمعاجز قل لهؤلاء (انظروا ماذا في السموات والأرض) من الدلائل والبراهين والعبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والأفلاك وما خلق من الجبال والبحار وانبت من الأشجار وما اخرج من انواع الحيوانات، فان النظر في ذلك وغيره من عجائب الكون وعظيم الصنعة يدعو الى الإيمان بالله سبحانه ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) ولا ينظرون في الأدلة ولا يريدون الإيمان (فهل ينتظرون إلا مثل . .) أي ينتظرون العذاب والهلاك في مثل الأيام التي هلك من قبلهم من الكفار فيها (قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار المعرضين عن آيات الله وحججه (فانتظروا إني معكم من المنتظرين) لما وعد الله به من عذاب الكفار وهلاكهم، ونجاة الرسل والمؤمنين معهم (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) ونخلّصهم من العذاب عند نزوله، أو بمعنى نخلّصهم من كيد اعدائهم واذاهم (كذلك حقاً علينا نُنج المؤمنين) أي واجباً علينا من طريق الحكمة واللطف أن ننجي المؤمنين من عذاب الآخرة كما ننجيهم من بلاء الدنيا واذى المشركين .

قال أبو عبدالله الصادق (ع) لأصحابه : ما يمنعكم من أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنه من أهل الجنة، إن الله تعالى يقول(كذلك حقاً علينا نُنج المؤمنين) .

قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ
وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ
اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

أمر سبحانه نبيّه (ص) بالبراءة عن كل معبود سواه فقال (قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار (إن كنتم في شك من ديني) أحق هو أم باطل (فلا أعبد الذين تعبدون . . . ولكن أعبد الله) أي ولكن أعبد مَنْ هو أهل للعبادة الذي بيده موتكم وبعثكم ، وامرني ربي أن أكون من المصدقين بالتوحيد واخلاص العبادة له وحده (وأن اقم وجهك للدين) أي استقم في الدين باقبالك على ما أُمرت به من اعباء الرسالة وأداء الفرائض (حنيفاً) مستقيماً في الدين (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) إن اطعته (ولا يضرك) إن عصيته وتركته ، وهذا الخطاب ومابعده من الآية المراد به الأمة وليس الرسول (ص) وفيه حثّ على عبادة مَن يستحق العبادة الذي لا يكشف الضر والبلاء إلا هو ولا يقدر احد على رد فضله عن عباده (يصيب به) أي بالخير (مَنْ يشاء من عباده) فيعطيه بما تقتضيه الحكمة والمصلحة .

قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي

لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

ختم سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية لرسوله محمّد (ص)، وبالوعد للمؤمنين بمزيد الهداية، وبالوعيد للكافرين (.. قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن ودين الإسلام والأدلة الدالة على صحته، وقيل: يريد بالحق النبي محمّداً (ص) ومعجزاته . ثم بيّن سبحانه أن منافع الهداية ومضار الأعراض والاصرار على الضلال هي للناس وعليهم (وما أنا عليكم بوكيل) أي وقل للناس يا محمّد ما أنا عليكم بحفيظ من الضلال والهلكة، وليس عليّ إلا البلاغ والأداء (واتبع ما يوحىٰ اليك واصبر) على اذى الكافرين وتكذيبهم إياك (حتى يحكم الله) باظهار دينه واعلاء أمره .

تمت ولله الحمد سورة يونس وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الثاني عشر
من القرآن الكريم

سورة هود

مكية كلها في قول الأكثرين. وقال قتادة: إلا (وأقم الصلاة طرفي النهار..) فانها نزلت بالمدينة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا
تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ
ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى
فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾
إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

مرّ تفسير (آلر) والأقوال التي فيها في أول سورة البقرة (كتاب) يعني القرآن (أحكمت) فلم ينسخ منها شيء ، وفصّلت ببيان الحلال والحرام وسائر الاحكام ، وقيل: بمعنى أُحكمت آياته جملة ثم فرقت في الإنزال آيةً بعد آية ليكون المكلف امكن في النظر والتدبر ، أو أُحكمت في نظمها على ابلغ وجوه الفصاحة حتى صار معجزاً ، ثم فصلت بالشرع والبيان ، وأنزل هذا الكتاب (أن لا تعبدوا

إلا الله) وان الرسول نذير من الله سبحانه للحذر من المعاصي ومبشراً لمَن اطاع الله بجزيل الثواب (يمتعكم متاعاً حسناً إلىٰ اجلٍ مسمىً) بمعنىٰ متىٰ استغفرتم الله وتبتم اليه يمتّعكم في الدنيا بالنعم الىٰ الوقت الذي قدّر لكم أجل الموت ولا ينزل عليكم العذاب كما نزل علىٰ الأمم واهل القرىٰ الذين كفروا قبلكم (ويؤتِ كل ذي فضل فضله) أي يعطي كل متفضل بمالٍ أو عملٍ أو كلام يعطيه الله جزاء إفضاله ، ويثيبه علىٰ قدر عمله .

قوله تعالىٰ :

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥

قيل : نزلت في الأخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقىٰ رسول الله (ص) بما يحب وينطوي بقلبه علىٰ ما يكره ، وروىٰ العياشي بسنده عن أبي جعفر (ع) قال:أخبرني جابر بن عبدالله أن المشركين إذا مروا برسول الله (ص) طأطأ أحدهم رأسه وظهره هكذا وغطىٰ رأسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله (ص) فأنزل الله هذه الآية يعني بها الكفار والمنافقين (يثنون صدورهم) أي يطوونها علىٰ ما هم عليه من الكفر ، وقيل:كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كلام الله سبحانه . وقيل يثنونهاعلىٰ عداوة النبي (ص) (ليستخفوا منه) أي ليخفوا ذلك ، وبيّن سبحانه ما يسر هؤلاء الكفار والمنافقون ومايعلنون .

قوله تعالىٰ :

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا

وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ
إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا
عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨

الدابة : الحي الذي من شأنه أن يدب ، ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالىٰ على وجه الأرض من الجن والانس والطير والأنعام والوحوش والهوام، إلا ويتكفل الله برزقها ، ويعلم موضع قرارها ، والموضع الذي أودعها فيه من الأصلاب والأرحام ، وقيل: مستقرها حيث تأوي اليه في الأرض ومستودعها حيث تموت وتبعث ، وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ ، ثم اخبر سبحانه بأنه انشأ السموات والأرض في ستة ايام مع قدرته علىٰ أن يخلقهما بلمح البصر ، فقد أراد أن يبين بذلك أن الأمور جارية في التدبير علىٰ منهاج الحكمة (وكان عرشه علىٰ الماء) وفي هذا دلالة علىٰ أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات (ليبلوكم ايكم أحسن عملاً) معناه انه خلق الخلق ودبّر الأمور ليظهر احسان المحسن(ولئن قلت)يا محمّد(إنكم مبعوثون من بعد الموت) لغرض الحساب والجزاء (ليقولنّ الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) ولئن اخّرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الىٰ أجل مسمىً ووقت معلوم ،

والأُمة:الحين.وقيل:الى أُمة : أي الى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ، وقيل انّ الأمة المعدودة هم أصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان وهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

ليقولنّ مستهزءاً (ما يحبسه) أيّ شيء يؤخر العذاب عنّا إن كان حقاً ، ألا إن هذا العذاب الذي يستبطؤونه إذا نزل بهم في الوقت المقرر لا يقدر احد على صرفه عنهم (وحاق بهم) أي نزل بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه ويكذبونه .

قوله تعالى :

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

بيّن سبحانه حال الإنسان فيما قابل به نعم الله من الكفر ، وأنه حينما تنزع وتسلب منه بعض تلك النعم لمصلحة يراها سبحانه (إنه ليؤس) قنوط كفور بنعم الله (ولئن أذقناه نعماء) بعد بلاء أصابه من الأمراض والشدائد (ليقولنّ ذهب السيئات عنّي) ولا يؤدّي شكر الله عليها ، بل ينصرف الى الفرح والتفاخر على الناس بصرف البلاء عنه،تلك صفات الكفرة الجهال بحكمة الله فلا يصبرون في المحنة ولا يشكرون عند النعمة (إلا الذين صبروا) فقابلوا الشدة بالصبر،والنعمة بالشكر (وعملوا الصالحات) أي واظبوا على الأعمال الصالحة .

قوله تعالىٰ :

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

روي عن ابن عباس أن رؤساء مكة من قريش أتوا رسول الله (ص) فقالوا يا محمّد إن كنت رسولاً فحوّل لنا جبال مكة او إئتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة ، فأنزل الله تعالىٰ: فلعلّك. . .وروىٰ العياشي باسناده عن أبي عبدالله (ع) أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع) إني سألت ربي أن يؤاخي بيني وبينك ففعل ، وسألت ربي أن يجعلك وصيّي ففعل ، فقال بعض القوم والله لصاع من تمر في شن بال أحب الينا مما سأل محمّد ربه ، فهلّا سأله ملكاً يعضده علىٰ عدوه ، أو كنزاً يستعين به علىٰ فاقته ، فنزلت الآية . . .

وفيها أمر سبحانه رسوله بالثبات علىٰ الأمر وحثّه على محاججة القوم بما يقطع العذر (فلعلك تارك) أي لعلّك تارك بعض القرآن مما فيه سب آلهتهم ولا تبلغهم إياه دفعاً لشرهم وخوفاً منهم ويضيق صدرك مما يقولونه وبما يلحقك من أذاهم وتكذيبهم كراهةأن يقولوا أو مخافة أن يقولوا(لولا انزل عليه كنز أو جاء معه

ملك) يشهد له بالنبوة (أم يقولون افتراه) أي اختلق القرآن واخترعه من نفسه (قل) لهم يا محمّد إن كان هذا مفترىً علىٰ الله كما زعمتم (فأتوا بعشر سور مثله) في النظم والفصاحة مفتريات كما تزعمون فإن لم يمكنكم فاعلموا أنه من الله سبحانه وهذا صريح في التحدي ، وفيه دلالة علىٰ جهة اعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته وبهذا النظم المخصوص (وادعوا مَن استطعتم . .) ليعينوكم علىٰ معارضة القرآن إن كنتم صادقين في قولكم أني افتريته (فإن لم يستجيبوا لكم) خطاب للمسلمين فإن لم يجبكم هؤلاء الكفار لهذا التحدي ولم يأتوا بعشر سور (فاعلموا انما أُنزل بعلم الله) وأنه لا يقدر على معارضته أو مضاهاته احد واعلموا أنه لا إله إلا الله لأن مثل هذا المعجز المتحدي لعموم البشر لا يقدر عليه غير الله (فهل أنتم مسلمون) منقادون معتقدون لتوحيد الله حقاً ، وهذا استفهام في معنىٰ الأمر .

قوله تعالىٰ :

مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْأٓخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

الزينة : تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة ، والتوفية : تأدية الحق علىٰ تمامه . والبخس : نقصان الحق . (نوف اليهم أعمالهم فيها) أي نوفر عليهم جزاء أعمالهم في الدنيا ، وان المشركين الذين لا يصدقون بالبعث يعملون اعمال البر لصلة الرحم وإعطاء السائل والكف عن الظلم ، وبقية الأعمال التي يحسنها العقل . فإن الله يعجّل لهم جزاء اعمالهم في الدنيا بتوسيع الرزق ،

وصحة البدن وصرف المكاره وقيل: المراد به أن مَن مات منهم علىٰ كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه في الآخرة من العذاب بقدره ، اما ثواب الآخرة فلا حظّ لهم فيه ، وقيل: المرادُ به المنافقونَ الذين كانوا يغزون مع النبي (ص) للغنيمة ولا يقصدون نصر الله وثوابه فجازاهم الله علىٰ ذلك بأن جعل لهم نصيباً من الغنيمة (أُولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها) لأنهم اوقعوا الأفعال على خلاف ما أمر الله به، والإحباط: إبطال نفس العمل بأن يقع علىٰ غير الوجه الذي يستحق به فاعله الثواب .

قولـه تعالىٰ :

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ
فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ
أُولَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟
مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَـٰعَفُ

لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾
لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

البيّنة : الحجّة الفاصلة بين الحق والباطل . والعرض : اظهار بحيث يُرى على حاله ، وأصل الجَرم القطع ، ولا جَرَم أي لا قطع قاطع .

(أفمَن كان على بيّنة من ربه) يعني النبي محمّداً (ص) ، وقيل: المعني به كل محق يدين بحجّة وبيّنة ، ويتبعه مَن يشهد بصحة دعواه ، قيل: الشاهد جبرائيل (ع) حيث يتلو القرآن على النبي محمّد (ص) ، وقيل: شاهد من الله محمّد (ص) ، وقيل: الشاهد علي بن ابي طالب (ع) يشهد للنبي (ص) (ومن قبله) أي من قبل القرآن ، أو من قبل محمّد (ص) (كتاب موسى) لأن موسى (ع) بشر في التوراة بمحمّد (ص) ونبوته (إماماً) يؤتم به في أمور الدين . (أولئك يؤمنون به) الذين هم على بيّنة من ربهم يؤمنون بالقرآن ، أو بمحمّد (ص) وتقدير الآية أفمَن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه على صدقه ويتقدمه شاهد فآمن بهذا كله ؟ كمَن اراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ؟ (ومَن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) معناه من يكفر بالقرآن أو بمحمّد (ص) من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره (فلا تكن في مرية) أي في شك (ومَن اظلم ممّن افترى على الله كذباً) أي لا احد اظلم من ذلك (أولئك يعرضون على ربهم) يوم القيامة ويوقفون موقفاً يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا ، ويُسألون عن اعمالهم ويجازون عليها. (ويقول الأشهاد) يعني الملائكة يشهدون على العباد، وقيل: الأشهاد هم الأنبياء ، أو هم شهداء كل عصر من أئمة المؤمنين (ويبغونها عوجاً) عن الحق والصواب ، أو بتحريفهم الكتاب والأدلة الدالة على صفات النبي محمّد (ص)

ونبوته (أُولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله ، وأنهم الذين يصدون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا متمكّنين في الهرب من الله إن اراد إهلاكهم (يضاعف لهم العذاب) فلا يقتصر لهم على عذاب الكفر بل يعاقبون على الكفر وعلى سائر المعاصي وقيل بمعنى المضاعفة تعاقب العذاب . (ما كانوا يستطيعون السمع و . . . .) أي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ، وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً وزيغاً عن الحق . (أُولئك الذين خسروا أنفسهم) حين فعلوا ما استحقّوا به العقاب (وضلّ عنهم ما كانوا يفترون) على الله الكذب وما يدعون من دون الله .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

لمّا تقدم ذكر الكفار وما اعدّ الله لهم من العذاب ، عقّبه سبحانه بذكر المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها (وأخبتوا الى ربهم) أي انابوا وتضرّعوا اليه ، وقيل:خشعوا وخضعوا اليه ، ثم ضرب سبحانه مثلاً للمؤمنين وللكافرين (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ، وفريق الكافرين كالأعمى والأصم ، لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعمالها في الدين ، والكافر لا ينتفع بحواسه عند الأدلة فصارت حواسه كالمعدومة .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ
إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ
نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي
وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا
كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

لمّا تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، عقّبه سبحانه بذكر أخبار الأنبياء ، تخويفاً للقوم بمصائر الماضين ، وتسليةً للنبي (ص) ، وبياناً لجوهر دعوة نوح عليه السلام وجميع دعوات الأنبياء (أن لا تعبدوا إلا الله . . .) وبيان أن الدعوة يجب أن تكون مشفوعة باللطف والعطف والتحذير (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ . . .) أي من قوم نوح الذين احتجّوا على رفض دعوته وعدم تصديق نبوته بقولهم (ما نراك إلا بشراً مثلنا) ظناً منهم أن الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل اليهم (وما نراك اتبعك . . .) أي لم يتبعك الأشراف والرؤوساء منّا ، وإنما اتبعك اخسّاؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه (بادي الرأي) أي في ظاهر الأمر والحال ، وأن الكفار من قوم نوح لم يتدبّروا دعوته ، وقيل: إن هذا

من قول الكفار الذين اتهموا من اتبع نوحاً (ع) بأن هؤلاء الذين اتبعوك بادي الرأي ولو فكروا لم يتبعوك (وما نرىٰ لكم علينا من فضل) أي ما نرى لك ولا لقومك فضلاً ، وأن الفضل إنّما يكون بنظرهم في كثرة المال والشرف في النسب (بل نظنّكم كاذبين) هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح فيما قالوه لنوح ومَن آمن معه .

(قال يا قوم أرأيتم إن كنت علىٰ بيّنة من ربي) أي علىٰ برهان وحجة تشهد بصحة نبوّتي ، وفيه بيان أنّ الرسالة إنما تظهر وتثبت بالمعجزة والبرهان. (وآتاني رحمة منه) وهي هنا النبوة (فعمّيت عليكم) أي خفيت عليكم بعدم تدبّركم بالأدلة (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) أتريدون منّي أن أكرهكم علىٰ المعرفة واجبركم عليها فهذا غير مقدور لي ، بل المقدور لي واللازم عليّ أن ادلّكم وارشدكم بالبيّنة .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾
وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾
وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ
إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ
خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

أنكر نوح (ع) استثقال قومه التكليف، وبيّن انما يستثقل الأمر إذا لزمهم منه

مؤونة وثمن (ويا قوم لا أسالكم عليه مالاً) اي لا أطلب منكم على دعوتكم الى الله أجراً من مال (وما أنا بطارد الذين آمنوا) أي لست أطرد المؤمنين من عندي أُولئك الذين تزدريهم اعينكم (انّهم ملاقوا ربهم) فيجازي مَن طردهم (ولكنّي أراكم قوماً تجهلون) الحق واهله ، أو تجهلون أن الناس انما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) وإنّي لا أرفع نفسي فوق قدرها فأدّعي أن لي مقدورات الله فأفعل ما اشاء ، وأُعطي ما أشاء ، وامنع من أشاء (ولا أعلم الغيب) ولا أدعي علم الغيب حتى أدلكم على منافعكم ومضاركم ، او أعلم ما تسرون في نفوسكم (ولا أقول إني ملك) فأُخبركم بخبر السماء ، وإنّما أنا بشر لا أعلم من غير تعليم الله لي . (ولا أقول للذين تزدري أعينكم)من المؤمنين الذين تستقلّونهم وتحتقرهم اعينكم لما عليهم من زي الفقراء لا اقول لهم (لَن يؤتيهم الله خيراً) في المستقبل ولا اقول أن الله لن يثيبهم على أعمالهم (الله أعلم بما في نفوسهم) من الإخلاص وغيره .

قوله تعالى :

قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

حكى سبحانه جواب قوم نوح (ع) على ما قاله لهم (جادلتنا) أي خاصمتنا

وحاججتنا بما فيه الكفاية (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في أن الله تعالىٰ يعذّبنا على الكفر (قال) نوح (إنّما يأتيكم به الله إن شاء) أي لا يأتي بالعذاب إلا الله متىٰ شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء عجّل وإن شاء أخر (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتونه إن أراد الله بكم العذاب ، (ولا ينفعكم نصحي . . . إن كان الله يريد أن يغويكم) أي إن كان الله يريد أن يخيّبكم من رحمته ويعاقبكم لكفركم ، وذلك بعد أن أخبر الله نوحاً(ع)(أنه لن يؤمن من قومك إلا مَن قد آمن) ولا يجوز أن يكون المراد بالإغواء في الآية فعل الكفر والدعاء الىٰ الكفر والحمل عليه علىٰ ما يعتقده المجبّرة لقيام الأدلة على أن خلق الكفر وارادته من اقبح القبايح كالأمر به (أم يقولون افتراه) قيل:انه يعني محمّداً (ص) ، والمراد يؤمن كفار قوم محمّد (ص) بما أخبرهم به من نبأ نوح (ع) أم يقولون افتراه محمّد من نفسه (فقل) لهم يا محمّد (إن افتريته) واختلقته كما تزعمون (فعليّ إجرامي) أي عقوبة اجرامي ولا أؤاخذ بجرمكم.وقيل:المعني بكل هذا نوح (ع) .

قوله تعالى :

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

أخبر الله سبحانه نوحاً (ع) أنه لَن يؤمن به أحد في المستقبل بعد الذين آمنوا به (فلا تبتئس) أي لا تغتم ولا تحزن (بما كانوا يفعلون) فلمّا علم نوح أن أحداً منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم ، دعا عليهم فقال(ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين . .)فلما اراد الله اهلاكهم أمر نبيه باتخاذ السفينة(واصنع الفلك بأعيننا) أي اعمل السفينة بمرىءٍ منا، وقيل:اراد بالأعين الملائكة الموكلين بك على ما أوحينا اليك من أوصافها (ولا تخاطبني في الذين ظلموا . .) أي لا تسألني العفو ولا تشفع لهم فانهم مغرقون قريباً (ويصنع الفلك) أي وصار نوح بصنع الفلك كما أمره الله تعالى (وكلما مر عليه ملأ من . . .) قيل كانوا يقولون له يا نوح صرت نجّاراً بعد النبوة مستهزئين به ، وكان منشأ استهزائهم به لأنه كان يعملها في البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك ، فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من فعله ، وكان نوح (ع) يقول لهم (إن تسخروا منّا فانّا نسخر منكم كما تسخرون) وذلك حين تغرقون وتهلكون (فسوف تعلمون) أينا أحق بالسخرية ، أو تعلمون عاقبة سخريتكم .

قال ابن عباس كانت (السفينة) ثلاث طبقات ، طبقة للناس ، وطبقة للأنعام والدواب ، وطبقة للهوام والوحش ، وهو اسفلها ، وركب هو ومَن معه في الأعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد ، وكانت من خشب الساج .

قوله تعالىٰ :

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

أخبر سبحانه عن إهلاك قوم نوح (وفار التنور) بالماء أي ارتفع الماء بشدة ، قيل:إن التنور كان في دار نوح (ع) بعين وردة من ارض الشام ، وقال آخرون : بل كان في ناحية الكوفة ، وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروى المفضل بن عمر عن أبي عبدالله (ع) في حديث طويل قال : كان التنور في بيت عجوز مؤمنة في دير قبلة ميمنة مسجد الكوفة . . . ثم إن الله سبحانه أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً ، وفاض الفرات فيضاً ، وفاضت العيون كلها فيضاً ، فأغرقهم الله وانجىٰ نوحاً ومَن معه في السفينة . فقلت : فكم لبث نوح في السفينة حتىٰ نضب الماء فخرجوا ؟ فقال (ع) لبث فيها سبعة ايام بلياليها ، فقلت:له إن مسجد الكوفة لقديم ؟ فقال نعم هو مصلّىٰ الانبياء ولقد صلّىٰ فيه رسول الله (ص) حين أُسري به الىٰ السماء قال له جبرئيل (ع) يا محمّد هذا مسجد ابيك آدم ، ومصلّىٰ الأنبياء فأنزل فصلِّ فيه ، فنزل فصلّىٰ فيه ، ثم إن جبرئيل (ع) عرج به الىٰ السماء .

وروي في وصف الطوفان ومدته أخبار أُخر ، وقيل:ان التنور وجه الأرض ومرتفعاتها التي تنبع منها المياه (إلا مَن سبق عليه القول) أي من سبق الوعد باهلاكه ممّن أخبر سبحانه بأنه لا يؤمن ، وهي امرأة نوح واسمها واغلة ، وابنها

كنعان (ومَن آمن) أي واحمل فيها مَن آمن بك من غير أهلك (وما آمن به إلا قليل) وعلىٰ اكثر الأقوال انهم ثمانون .

قولـه تعالىٰ :

وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

بيّن سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان (ويا سماء اقلعي) أي امسكي عن المطر (وغيض الماء) ذهب عن وجه الأرض (وقضي الأمر) وقع الهلاك للكفار (واستوت علىٰ الجودي) استقرت السفينة على الجبل المعروف بناحية آمد ، وقيل:بقرب جزيرة الموصل ، وقيل:الجودي اسم لكل جبل وأرض صلبة ، وفي هذه الآية من بدايع الفصاحة وعجائب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر ويروىٰ أن كفار قريش ارادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن فلمّا سمعوا هذه الآية قال بعضهم لبعض هذا كلام لايشبهه شيء من الكلام ، ولا يشبه كلام المخلوقين ، وتركوا ما فكروا به وافترقوا .

قولـه تعالىٰ :

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ

الجاهلين ﴿٤٦﴾ قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا
تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴿٤٧﴾ قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم
منا عذاب أليم ﴿٤٨﴾ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴿٤٩﴾

حكى سبحانه تمام قصة نوح (ع) وانه نادى ربه بأنك وعدتني بنجاة أهلي وأن ابني من اهلي وأنّ وعدك الحق لا خلف فيه فنجه إن كان ممن وعدتني بنجاته (قال يا نوح إنه ليس من أهلك) الذين وعدتك بنجاتهم بل ممن حكم عليه بالغرق لكفره ، او انه ليس من اهل دينك ، وأن كفره أخرجه منهم لأنه كان مخالفاً لأبيه ، وعلل الله سبحانه خروج ابن نوح عن اهله أنه عمل غير صالح . وقيل انه لم يكن ابنه الصلبي بل هو ابن امرأته وربيبه ، واختار المرتضى (رض) في تأويله أن ابنك ذو عمل غير صالح . (فلا تسألن ما ليس لك به علم) ولا يمتنع أن يكون نهى عن سؤال ما ليس له به علم وإن لم يقع منه ، وإنما سأل نوح (ع) نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بيّن الله تعالى أن المصلحة في غير نجاته فسلم ورضي (إني أعظك) أي احذرك لئلا تكون من الجاهلين . (قال) نوح (رب اني اعوذ بك أنْ أسألك ما ليس لي به علم) أي اعتصم بك أن اسألك ما لا أعلم انه صواب .

ثم حكى الله سبحانه ما أمر به نوحاً حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان (قيل يا نوح اهبط بسلام منّا) أي بسلامة منّا ونجاة ، وقيل

بتحية وتسليم منّا عليك (وبركات عليك وعلى أمم ممّن معك) أي ممّن كانوا في السفينة من المؤمنين ، وقيل:من ذرية مَن معك (وأمم سنمتّعهم ثم يمسّهم منّا عذاب اليم) وأنه سيكون من نسلهم أمم سنمتّعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون ونهلكهم ثم ينالهم بعد الهلاك عذاب اليم . (فاصبر) على القيام بأمر الله وعلى أذى قومك يا محمّد كما صبر نوح على أذى قومه،وهذا احد الوجوه التي لأجلها كرر الله قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبر النبي (ص) على ما كان يقاسيه من أمور الكفار الجهّال (إن العاقبة للمتقين) وخاتمة الخير والنصر لهم .

قوله تعالى :

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً
إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا
نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ
إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ
رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح (ع) (والى عادٍ اخاهم هوداً) اراد أخاهم في النسب دون الدين (إن أنتم إلا مفترون) كاذبون في قولكم بأنّ الاصنام آلهة ، ولست اطلب منكم على دعائي لكم إلى عبادة الله وتوحيده اجراً (إن أجري إلا على الذي فطرني) خلقني (أفلا تعقلون) ما أقول لكم (ويا قوم استغفروا . . . يرسل السماء عليكم مدراراً) أي يُرسل المطر عليكم متتابعاً، قيل أنهم اجدبوا فوعدهم هود إن تابوا أُخصبت بلادهم (ويزدكم قوة إلى قوتكم) فُسّرت القوة هنا بالمال والولد والشدة ، وقيل: قوةً في ايمانكم الى قوة ابدانكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة) أي بحجة ومعجزة تبيّن صدقك (إن نقول إلا إعتراك بعض آلهتنا بسوء) أي لا بد انه قد اصابك بعض آلهتنا فخبل عقلك لشتمك وسبّك

الآلهة ، فيجيبهم هود إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتني لطعني بها (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) أي فاحتالوا واجتهدوا أنتم وآلهتكم ثم لا تمهلوني ومثل هذا القول لا يصدر إلا عمّن هو واثق بنصر الله وبأنه يحفظه منهم . (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي ما من حيوان يدبّ على وجه الأرض إلا هو مالك لها يصرفها كيف يشاء ويقهرها . (فان تولّوا) قل لهم (قد أبلغت ما أرسلت به إليكم) أي ليس ذلك لتقصير منّي ، وإنما هو لسوء اختياركم في الإعراض عن النصح ، وربي قادر أن يهلككم ويستبدل قوماً غيركم يوحّدونه ويعبدونه ، ولما جاء أمرنا بهلاك عاد (نجّينا هوداً والذين آمنوا معه) قيل أنهم كانوا أربعة آلاف (ونجّيناهم من عذاب غليظ) أي من عذاب الآخرة ، بالإضافة لنجاتهم من عذاب الهلاك في الدنيا (وتلك) قبيلة (عاد جحدوا بآيات ربهم) وهي معجزات هود الدالة على نبوته (وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي واتبع عاداً بعد اهلاكهم في الدنيا بالإبعاد عن رحمته في الآخرة ، وأمر المؤمنين بالدعاء باللعن (ويوم القيامة) يُبعدون أيضاً من رحمته .

قوله تعالى :

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ
ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا
مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا
تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن

رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا
تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا
أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾

وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام ، وكان عاد باليمن (فقال لهم صالح (يا قوم . . . هو انشأكم من الأرض) لأنه خلق آدم من الأرض ومرجع نسبكم اليه (واستعمركم فيها) أي جعلكم عمّار الأرض ومكّنكم من عمارتها ، وقيل: معناه واطال فيها أعماركم ، وكانت أعمارهم من الف سنة الى ثلثمائة سنة .

(قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا) أي إنّا كنا نرجو منك الخير قبل دعوتك هذه (واننا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) أي أن امرك ودعوتك للدين والتوحيد امر موجب للريبة والتهمة إذ لم يكن آباؤنا في جهالة وضلالة (يا قوم ارأيتم إن كنت على بيّنة من ربي) أي دعوة واضحة بيّنة (وآتاني منه رحمة) وهي النبوة (فمَن ينصرني من الله إن عصيته) وخالفت امره ، وما تزيدونني إلا بصيرة

في خسارتكم . (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) وحجّة ومعجزة على صدق نبوتي (فذروها تأكل في ارض الله) (ولا تمسّوها بسوء) من قتل أوجرح (فعقروها) أي عقرها بعضهم ورضي البعض الآخر فقال صالح (تمتّعوا في داركم ثلاثة ايام) أي تلذذوا بما تريدون في بلادكم ثلاثة ايام ثم يحل بكم العذاب ، (ذلك وعدٌ غير مكذوب) أي ما واعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلاثة ايام وعد صادق لا كذب فيه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) قيل: أن الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا عندها (كأن لم يغنوا فيها) أي كأن لم يكونوا في منازلهم قط لانقطاع آثارهم بالهلاك ، إلا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزي الذي نزل بهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَـٰمًا قَالَ
سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ
نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ
لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَاءِ
إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِي
شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ
اللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

العجل : ولد البقر . والحنيذ : المشويّ (ولقد جاءت رسلنا) يعني الملائكة ، قيل:هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل ، وكانوا علىٰ صورة الغلمان اتوا يبشرونَ ابراهيم الخليل (ع) باسحاق ونبوته ، وأنه يولد له يعقوبُ ، وقيل:البشارة باسماعيل (ع) من هاجر ، أو البشارة بهلاك قوم لوط . وحيّوا ابراهيم سلاماً (فقال) ابراهيم مجيباً لهم(سلام) ولم يتأخر في الضيافة وسارع بتقديم الطعام اليهم الذي هو عجل مشوي لأنه ظنّهم أضياف لكونهم بصورة البشر ، وكان ابراهيم (ع) يحب الضيوف فجاؤه علىٰ أحسن الوجوه اليه ، وقيل في (حنيذ) معان عديدة تلتقي علىٰ الشواء ، فلمّا رأىٰ ايدي الملائكة لا تصل الى العجل انكرهم ، قيل:إنه خشي منهم أن يكونوا لصوصاً يريدون به سوءً ، وقيل:انه ظن أنهم ليسوا من البشر وأنهم جاؤوا لأمرٍ عظيم ، أو علم أنهم ملائكة فخاف أن يكون قومه المقصودون بالعذاب ، قالوا له:لا تخف يا ابراهيم إنّا ارسلنا بالعذاب الىٰ قوم لوط لا إلىٰ قومك (وإمرأته) سارة بنت هارون وهي ابنة عمّ ابراهيم (قائمةٌ) من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم ، وقيل:كانت قائمة تصلّي (فضحكت) من الفَرَح أو التعجّب بالبشارة باسحاق ، وكان قد شاخ زوجها وهو ابن تسع وتسعين أو مائة سنة ، وقيل:مائة وعشرين سنة ، ولم يرزقا ولداً في شبابهما (قالت) سارة (ياويلتاي أالد وأنا عجوز) ولم تشك في قدرة الله وإنّما قالت ذلك لكونه خارجاً عن العادة (إن هذا لشيءٌ عجيب) قالت الملائكة أتعجبين أن يفعل الله ذلك بكِ وبزوجكِ (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعني اهل بيت ابراهيم (ع) وانما جعلت سارة من اهل البيت لأنّها ابنة عمّه (فلما

ذهب عن ابراهيم الروع) أي الخوف والفزع (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا في قوم لوط) أي يجادل رسلنا ويسائلهم في قوم لوط وبأيّ شيء استحقوا عذاب الإستئصال ، وهل ذلك واقع لا محالة ، أم تخويف ليرجعوا الى الطاعة ، (إن ابراهيم لحليم أوّاه) أي كثير الدعاء والبكاء ، أو هو الذي اذا ذكر النار تأوه وقال أوه ، وقيل:هو المستيقن ، أو العفيف ، والحليم الصبور على الأذى الصفوح عن الذنب،والمنيب الراجع المتوكل على الله في كل أموره، وقالت الملائكة أعرض عن هذا القول والجدال في أمر قوم لوط وانصرف عنه بذكر الله وشكره .

قوله تعالى :

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ
هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ
قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ
لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ
أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ

الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

أخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطاً بعد خروجهم من ابراهيم (ع) (ولمّا جاءت رسلنا لوطاً سِيء بهم) أي ساءه مجيؤهم لأنه خاف عليهم من قومه ، وضاق بمجيهم قلبه لمّا رأى من جمال صورتهم ، وقومه كانوا يسارعون الى أمثالهم بالفاحشة (وقال هذا يوم عصيب) هائل شديد كثير الشر ، ثم دخل منزله ودخلوا معه فلمّا رأتهم امرأته وحسن هيئتهم فصعدت فوق السطح فصفّقت فلم يسمعوا ، فدخّنت فلمّا رأوا الدخان اقبلوا يهرعون لطلب الفاحشة .

(ومن قبل) اتيان الملائكة ، أو من قبل مجيء قوم لوط الى ضيوفه (كانوا يعملون السيّئات) أي يعملون الفواحش مع الذكور (قال) لوط (يا قوم هؤلاء بناتي هنَّ اطهر لكم) أي هنّ احلّ لكم من الرجال ، قيل:انهنّ بناته لصلبه دعاهم للزواج منهنّ ، وقيل:اراد عموم النساء من اُمته لأنهنّ كالبنات له (أليس منكم رجل رشيد) يعمل بالمعروف وينهى عن المنكر فيزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويرشدهم الى الحق والهدى (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) أي ما لنا في بناتك من حاجة (وإنك لتعلم ما نريد) وتعلم ميلنا الى الغلمان دون النساء ، فلمّا لم يقبلوا الموعظة تأسّف لوط على عدم تمكّنه من دفعهم (قال لو أن لي بكم قوة) وقدرة فأدفعكم عن اضيافي (أو آوي الى ركن شديد) وعشيرة منيعة تنصرني ، فكابروه ودخلوا البيت فصاح به جبرائيل (ع) أن يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا أهوى جبرائيل باصبعه نحوهم فذهبت أعينهم (قالوا يا لوط إنّا رسل ربك) ارسلنا لهلاكهم فلا تغتم (لَن يصلوا اليك) بسوء ابداً(فاسر بأهلك) في

ظلمة الليل (ولا يلتفت منكم أحد) أي لا ينظر احدكم وراءه الىٰ امواله ومتاعه في المدينة ، أو لا يتخلّف احد منكم ، أو لا يلتفتوا إذا سمعوا الهدّة ونزول العذاب (إلا امرأتك) لا تسر بها فانّها سيُصيبها ما أصابهم من العذاب لسوء سريرتها (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) لمّا أخبر الملائكة لوطاً بأنهم يهلكون قومه قال:أهلكوهم الساعة لشدة غيظه منهم (فلمّا جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) أي قلبنا القرية اسفلها أعلاها ثم خسف بهم الأرض (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) قيل: هو الآجر ، أو طين طُبخ فصار بمنزلة الآجر (منضود) بعضه فوق بعض ، أو يتبع بعضه بعضاً (مسوّمة) أي معلّمة بعلامات تدل على أنها للعذاب (وماهي من الظالمين ببعيد) أي وما تلك الحجارة والعذاب من الظالمين من أمتك يا محمّد ببعيد . قيل : وكان قوم لوط الذين نزل عليهم العذاب اربعة ملايين في اربع مدائن هي المؤتفكات : سدوم ، وعاموراء ، ودوما ، وصبوا يم ، وأعظمها سدوم .

قوله تعالىٰ :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن

نَفْعَلَ فِيْ أَمْوٰلِنَا مَا نَشٰٓؤُا ۖ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيْمُ الرَّشِيْدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ
يٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ رِزْقًا
حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيْدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلٰى مَآ أَنْهٰىكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيْدُ إِلَّا
الْإِصْلٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيْقِيْٓ إِلَّا بِاللّٰهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيْبُ ﴿٨٨﴾ وَيٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيْٓ أَنْ يُّصِيْبَكُمْ مِّثْلُ
مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوْحٍ أَوْ قَوْمَ هُوْدٍ أَوْ قَوْمَ صٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوْطٍ مِّنْكُمْ
بِبَعِيْدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْٓا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّيْ رَحِيْمٌ
وَّدُوْدٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوْا يٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيْرًا مِّمَّا تَقُوْلُ وَإِنَّا لَنَرٰىكَ فِيْنَا
ضَعِيْفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنٰكَ ۖ وَمَآ أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيْزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ
يٰقَوْمِ أَرَهْطِيْٓ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللّٰهِ ۖ وَاتَّخَذْتُمُوْهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ
إِنَّ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ ﴿٩٢﴾ وَيٰقَوْمِ اعْمَلُوْا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ إِنِّيْ
عٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ۙ مَنْ يَّأْتِيْهِ عَذَابٌ يُّخْزِيْهِ وَمَنْ هُوَ كٰذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوْٓا
إِنِّيْ مَعَكُمْ رَقِيْبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَّالَّذِيْنَ أٰمَنُوْا مَعَهُ

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدمها من قصص الأنبياء عليهم السلام (والىٰ مدين) أي وأرسلنا الىٰ مدين وهي اسم القبيلة أو المدينة (أخاهم شعيباً) ارسلناه لهم وكان دعاؤه أن يعبدوا الله ويوحدوه ، وحذّرهم بأن لا ينقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن (وإني أراكم بخير) أي برخص وخصب فينبغي أن لا يعرّضوا هذا الخير والخصب الىٰ الزوال وحلول النقمة إن لم يتوبوا من تطفيف الموازين (وإني اخاف عليكم عذاب يوم محيط) عذابه بجميع الكفار وذلك يوم القيامة (ولا تبخسوا الناس اشياءَهم) أي اموالهم في معاملتهم (بقية الله خير لكم) أي ما ابقىٰ الله لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف ، وقيل: طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا وما فيها لأن طاعة الله يبقى ثوابها (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم فاطلبوا بقاء النعم بطاعته سبحانه (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك . . .) لأن شعيباً كان كثير الصلاة ، وكان يقول إذا صلىٰ: إن الصلاة رادعة عن الشر ناهية عن الفحشاء والمنكر (إنك لأنت الحليم الرشيد) قالوا ذلك على وجه الهزء والتهكم ، وأرادوا به ضد ذلك ، وقيل: ارادوا بالقول حقيقةً أي انك الحليم في قومك فلا يليق بك أن تخالفهم ، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقّها (قال يا قوم أرأيتم . . .) قيل: الرزق النبوة ، وقيل هداني لدينه ووسّع عليَّ رزقه وكان كثير المال (وما أُريد أن أُخالفكم الىٰ ما أنهاكم عنه) أي لست انهاكم عن شيء وأدخل فيه وإنما اختار لكم ما اختار لنفسي . (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي) أي لا يكسبنّكم خلافي ومعاداتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب (مثل ما اصاب قوم نوح . . . وما قوم لوط منكم ببعيد) أي هم قريب منكم في الزمان ، أو أن دارهم قريبة من دياركم فيجب أن تتعضوا بهم وبمصيرهم .

(قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول) أي ما نفهم كثيراً من كلامك أو لا نقبله ولا نعمل به (وإنّا لنراك فينا ضعيفاً) أي ضعيف البدن،أو ضعيف البصر لأن شعيب كان أعمىٰ (ولولا رهطك لرجمناك) أي لولا عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجارة (وما أنت علينا بعزيز) لولا قومك ، وكان شعيب في عزّ قومه ومن اشرافهم ، وما بُعث نبي بعد لوط إلا في عز قومه . (قال يا قوم أرهطي اعزّ عليكم من الله) وعشيرتي وقومي اعظم عندكم من الله الذي بعثني اليكم ، وجعلتم الله وراء ظهوركم ونسيتموه وتركتم امر الله ونبذتموه (يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم) أي اعملوا علىٰ حالتكم هذه ، وهذا تهديد في صورة الأمر ، وفيه دلالة علىٰ أنه آيس منهم(إني عامل) ما أمرني به ربي من الدعوة والانذار (سوف تعلمون) اينا المخطيء الجاني علىٰ نفسه (مَنْ يأتيه عذاب يخزيه) ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق (وارتقبوا إني معكم رقيب) منتظر حلول العذاب بكم ، أو بمعنىٰ انتظروا العذاب واللعنة وأنا أنتظر الثواب والرحمة والنصرة ، وروي عن علي بن موسى الرضا (ع) انه قال:ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول العبد الصالح (وارتقبوا إني معكم رقيب . .) . (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبرائيل صيحة فماتوا واصبحوا في ديارهم جاثمين جثثاً هامدة كأن لم يكونوا شيئاً (الا بُعداً لمدين كما بَعُدت ثمود) من رحمة الله ، أو الا هلاكاً لهم كما هلكت ثمود .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ

لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرٰى
نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنٰهُمْ وَلٰكِنْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ
شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذٰلِكَ أَخْذُ
رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرٰى وَهِيَ ظٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي
ذٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ
وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾

عطف سبحانه قصة موسى (ع) على ماتقدم من قصص الأنبياء، وبعث موسى (الى فرعون وملأه) أي وقومه ، اوهم اشراف قومه الذين اتبعوا فرعون وتركوا أمر الله تعالى (وما أمر فرعون برشيد) يرشدهم وليس هو بقائدهم الى الخير (يقدم قومه يوم القيامة) يعني فرعون يقدم قومه الى النار (فأوردهم النار وبئس الورد المورود) أي بئس الشراب الذي يشربونه في النار ، أو بئس المدخل الذي أدخلهم فيه (وأتبعوا في هذه) أي في الدنيا (لعنة) وهي العذاب والغرق (ويوم القيامة) أي ولعنة لهم وعذاباً آخر يوم القيامة (ذلك من أنباء القرى نقصّه عليك) يا محمّد تذكرةً وتسليةً لك (منها قائمٌ وحصيد) أي من تلك الديار والقرى معمور ومنها خراب لم يعمر فيما بعد (فما أغنت عنهم آلهتهم) أي اوثانهم (التي يدعون من دون الله من شيءٍ لمّا جاء امر ربك) أي عذاب ربك وامره باهلاكهم (وما زادوهم غير تتبيب) أي غير تخسير .

قوله تعالىٰ :

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

أخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيامة (وما نؤخرة إلا لأجل معدود) وهو اجل قد أعدّه الله تعالىٰ لعلمه أن صلاح الخلق في ادامة التكليف عليهم الىٰ ذلك الوقت (يوم يأتي) أي حين يأتي يوم القيامة والجزاء (لا تكلّم نفس إلا باذنه) أي بأذن الله تعالىٰ وامره ، ولا يتكلم فيه إلا بالكلام الحسن المأذون فيه ، وأخبر سبحانه عن حال أهل المحشر (فمنهم شقي) وهم المستحقّون للعقاب بسوء اعمالهم في معاصي الله (وسعيد) وهم المستحقّون للثواب ممّن سعدوا بحسن افعالهم وطاعتهم لله سبحانه .

وأما ما روي عن النبي (ص) أنه قال : الشقي من شقي في بطن أمه . . . فان المراد بذلك:أن المعلوم من حاله أنه سيشقىٰ بارتكاب القبائح التي توصله الىٰ عذاب النار . (لهم فيها زفير وشهيق) الزفير:من شدة الأنين ، والشهيق:الأنين الشديد المرتفع جداً بمنزلة آخر صوت الحمار ، وعن ابن عباس قال : يريد ـ

انهم يظهرون ـ ندامة ونفساً عالياً وبكاءً لا ينقطع . (خالدين فيها ما دامت السموات . . .) وتأويل معنى الخلود بمدة دوام السموات والأرض لأنهما لا يفنيان وإن تبدّلا وتغيّرا في الآخرة عن الدنيا ، وقيل:انه لا يراد بالسماء والأرض بعينهما بل المراد التبعيد فانّ للعرب ألفاظاً للتبعيد في معنى التأبيد يقولون لا أفعل ذلك ما دامت السماء والأرض ، وما نبت النبت ، وما ذرّ شارق ، ويريدون بذلك التأبيد والدوام لا التوقيت ، فخاطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم ، وأما الكلام في الاستثناء (إلا ما شاء الله) فقد اختلفت فيه اقوال العلماء ، منها : إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار فتكون إلا بمعنى سوى ما شاء ربك . وقيل:إن الاستثناء يتعلق بالزفير والشهيق ولا يتعلق بالخلود . كما قيل:أن المراد بالذين شقوا من أُدخل النار من أهل التوحيد الذين ارتكبوا المعاصي فان ربك وعد بأن يخرجهم ويوصل ثواب طاعتهم اليهم ، أو بسبب الشفاعة التي تنالهم . أو بمعنى إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار ، والإستثناء لأهل التوحيد . (وأما الذين سعدوا) بطاعة الله وانتهوا عن المعاصي (ففي الجنة خالدين فيها . . . إلا ما شاء ربك) ويأتي فيه جميع ما ذكر من الوجوه في الاستثناء من الخلود في النار ، إلا من جواز اخراج بعض الأشقياء من النار فان ذلك الوجه لا يأتي هنا لإجماع الأمة على أن من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة وأنه لا يخرج منها بعد دخوله فيها (عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع ومنتهي .

قوله تعالى :

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

الْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

(فلاتك في مرية.) أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء، وأنهم بعبادتهم هذه يصيرون الى النار كما كان آباؤهم كذلك (وإنّا لموفوهم نصيبهم) أي لمعطوهم جزاء أعمالهم وافياً غير منقوص ، ولقد أعطينا موسى التوراة ، واختلف قومه في صحة الكتاب الذي عليه ، وفي ذلك تسليةٌ للنبي محمّد (ص) عن تكذيب قومه إياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه ، فبيّن سبحانه أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسىٰ فلا تحزن لذلك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بأنه يؤخّر الجزاء الى يوم القيامةلما في ذلك من المصلحة (لقُضي بينهم)ولعجّل الثواب والعقاب لمستحقيه (وانّهم لفي شك منه مريب) أي من وعد الله ووعيده ، والريب اقوىٰ مراتب الشك واشدّها (وانّ كلاً) من الجاحدين والمخالفين ، أو كلاً من المصدّقين والمكذّبين يُعطيهم ربهم جزاء أعمالهم وافياً تاماً (فاستقم) يا محمّد (كما أُمرت) على الوعظ والإنذار والتمسك بالطاعة كما أُمرت في القرآن (ومَن تاب معك) أي وليستقم من تاب معك من المشركين (ولا تطغوا) أي لا تتجاوزوا امر الله بالزيادة والنقصان فتخرجوا عن حد الاستقامة قال ابن عباس : ما نزل علىٰ رسول الله (ص) آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية ، ولذلك قال (ص) لأصحابه حين قالوا له : أسرع اليك الشيب يا رسول الله ؟ قال : شيبتني هود وصالح .

قوله تعالىٰ :

وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ
وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ
لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى
ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ
وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

نهى سبحانه عن المداهنة في الدين والميل الى الظالمين في شيء من أمور الدين ، والركون الى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم ، وإظهار الرضا بفعلهم ، أو إظهار موالاتهم . أما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومعاشرتهم دفعاً لشرهم فجائز ، وقريب منه ما روي عنهم (عليهم السلام) انّ الركون: المودة والنصيحة والطاعة . (وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلَفاً من الليل) قيل: المراد بطرفي النهار صلاة الفجر والمغرب وبزلَفاً من الليل صلاة العشاء ، قالوا: وترك ذكر الظهر والعصر لظهورهما في انهما صلاة النهار ، أو لأنهما مذكورتان بتبعيّتهما للطرف الأخير لأنهما بعد الزوال فهما أقرب الى الليل . وقيل: صلاة طرفي النهار

الغداة والظهر والعصر ، وصلاة زُلفا الليل المغرب والعشاء . (إن الحسنات يذهبن السيئات) قيل:في معناه،إن الصلوات الخمس تكفّر ما بينها من الذنوب ، وفي حديث طويل عن علي أمير المؤمنين (ع) قال في آخر الحديث : سمعت حبيبي رسول الله(ص) يقول: ارجى آية في كتاب الله (وأقم الصلاة طرفي النهار. . .)وقرأ الآية كلّها ، قال:يا علي والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن احدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب ، فاذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أُمه ، فإن اصاب شيئاً بيْن الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ، ثم قال : يا علي انما منزلة الصلوات الخمس لأُمتي كنهرٍ جارٍ على باب احدكم فما يظن احدكم لو كان في جسده درَن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقىٰ في جسده درَن ، فكذلك والله الصلوات الخمس لأُمتي .

وقيل : في معنىٰ الحسنات يذهبن السيئات معناه:أن الدوام علىٰ فعل الحسنات يدعو الىٰ ترك السيئات فكأنما يذهبن بها ، وقيل المراد بالحسنات:التوبة فانها تذهب السيئات بأن تسقط عقابها لأنه لا خلاف في أن العقاب يسقط عند التوبة وكلها معانٍ متقاربة (ذلك ذكرىٰ للذاكرين) من أن الحسنات يذهبن السيئات فيه تذكار وموعظة لمن تذكر به (فلولا كان من القرون من قبلكم أُولوا بقيةٍ)أي لم يكن من القرون التي من قبلكم قوم باقون(ينهون عن الفساد في الأرض)أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع إنعام الله تعالىٰ عليهم بكمال العقل وبعثة الرسل اليهم ، واقامة الحجج لهم (إلا قليلاً منهم) كانوا ينهون عن الفساد وهم الأنبياء والصالحون الذين آمنوا مع الرسل ، فأنجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم (واتّبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه) أي واتبع المشركون ما عوّدوا من النعم ، واشتغلوا بذلك عن الطاعات ، وكان المتنعّمون (مجرمين) مصرين على الجرم ، (وما كان ربك ليُهلِك القرىٰ بظلمٍ وأهلها مصلحون)

بمعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ، أو لا يؤاخذهم بظلم واحد منهم مع أن اكثرهم مصلحون ، ولكن اذا عمّ الفساد والظلم من الاكثرين عذّبهم الله .

قوله تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

أخبر سبحانه عن كمال قدرته (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أي ملّة واحدة وعلى دين واحد فيكونوا مسلمين صالحين بأن يجبرهم على الإسلام والاستقامة ولكن ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض من التكاليف ، والإلجاء يمنع استحقاق الثواب ، ولكنه شاء واراد أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب (ولا يزالون مختلفين) في الأديان ، وقيل: بمعنى مختلفين في الأرزاق والأحوال

وقيل:معناه يُخلف بعضهم بعضاً في الكفر تقليداً من غير نظر وتدبّر (إلا من رحِم ربك) من المؤمنين فإنهم يجتمعون على الحق (ولذلك خلقهم) أي وللرحمة خلقهم ولاجتماعهم على الإيمان (وتمت كلمة ربك) أي وصل وحيه ووعيده الذي لا خُلف فيه (لأملأنّ جهنم من الجِنّة والناس أجمعين) بسبب كفرهم (وكلاً) أي وكل القصص (نقص عليك من انباء الرسل) واخبارهم (ما نثبّت به فؤادك) ونقوّي به قلبك ونزيدك به ثباتاً في انذارك وتبليغك للرسالة والصبر على أذى قومك (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة ، وقيل:في هذه الدنيا وقيل:في هذه الأنباء (وموعظة) أي وجاءك ما تعظ به الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي (وذكرى للمؤمنين) . (وقل) يا محمّد للذين لا يؤمنون بك ولا يصدقون دعوتك (اعملوا على مكانتكم) أي اعملوا ما شئتم بمعنى الاستنكار والتوعّد (إنّا عاملون) ما أمرنا الله به (وانتظروا) ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب (إنّا منتظرون) ما يعدنا على الإيمان أو ما يعدنا من النصر والعلو .

تمت ولله الحمد سورة هود وتفسيرها

سورة يوسف

مكية ، وقال المعدل عن ابن عباس غير
اربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من أولها والرابعة
(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) .
وعدد آياتها : مائة واحد عشر آية بالاجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين ﴿١﴾ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴿٢﴾ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴿٣﴾

(آلر) سبق الكلام فيها في أول سورة البقـرة . (تلك آيات الكتـاب) اشارة الى ما سيأتي ، أو أنه اشارة الى خصوص سورة يوسف أو بمعنىٰ تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة (المبين) المظهر لحلال الله وحرامـه (إنّا انزلنـاه) القـرآن ، أو خبـر يوسف وقصتـه (عـربياً) أي علىٰ مجاري كلام العـرب في محاوراتهم . روىٰ ابن عباس عن النبي (ص) انه قال : أُحب العرب لثلاث،لأني عربي،والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي (لعلّكم تعقلون) جميع معانيه ، وتعلموا انه من عند الله إذا كان عربياً وانتم عرب وعجزتم عن الإتيان بمثله .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ أن كلام الله سبحانه محدث ، وانه غير الله تعالىٰ .
(نقص عليك أحسن القصص) أي نبيّن لك احسن البيان بوحينا اليك هذا القرآن

وما فيه من أخبار الأمم الماضية ، والكائنات الآتية ، وجميع ما يحتاج اليه العباد الى يوم القيامة (وإن كنت من قبله لَمن الغافلين) عن الحِكَم التي في القرآن لا تعلم شيئاً منها ، أو من الغافلين عن قصة يوسف ، وعن الحِكَم التي فيها .

قوله تعالى :

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

الرؤيا : تصوّر المعنى في المنام على توهّم الإبصار ، وذلك أن العقل مغمور بالنوم فاذا تصور الإنسان المعنى توهم أنه يراه ، والكيد طلب الحيلة . (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (ع) وهو اسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص بن اسحاق نبي الله بن ابراهيم خليل الله عليهم السلام قال ابن عباس : ان يوسف (ع) رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر احد عشر كوكباً نزلن من السماء فسجدن له ، ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له ، قال : فالشمس والقمر أبواه ، والكواكب أخوته الأحد عشر ، وانّ يوسف (ع) رأى وهو ابن سبع سنين ، وعاودته الرؤيا وهو

ابن اثنتي عشرة سنة ، وقيل:كان بين رؤياه وبين مصير ابيه اليه وأُخوته الى مصر اربعون سنة ، والسجود بمعنى الخضوع له وتكريمه . (يجتبيك ربك) أي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة (ويتمّ نعمته عليك) بالنبوة وتمام النعم التي لا يقدر عليها سوى الله سبحانه (وعلى آل يعقوب) أي أُخوة يوسف فيثبتهم على الإسلام ويشرفهم بجعل النبوة فيهم ، أو يتمّ نعمته بانقاذهم من المحن على يديك (إن ربك عليم) بمَن يصلح للرسالة (حكيم) في اختيار الرسل واحوال خلقه .

قوله تعالى :

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾

العُصبة : الجماعة التي يتعصّب بعضها لبعض ، ويطلق على جماعة من عشرة الى خمس عشرة ، وقيل:ما بين العشرة إلى الأربعين . والسيارة : الجماعة المسافرون . (لقد كان في يوسف . . .) أي في قصة يوسف مع اخوته عبر

للسائلين عنهم وأعاجيب ، حيث دبّروا قتله واجتمعوا على القائه في البئر حسداً منهم له ، وبالتالي صفحُه عنهم لما مكّنه الله منهم واحسانه اليهم ، وفيها بيان أن الفرج بعد الشدة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبيّنا محمّد (ص) لأنه لم يقرأ كتاباً آخر يعرف منه قصة يوسف فيتبين أن ذلك جاءه من وحي الله اليه .

وأُخوة يوسف : هم أولاد يعقوب ، وكان ليعقوب اثنا عشر ولداً لصلبه (ليوسف وأخوه) وهو شقيقه لأمه وأبيه بنيامين من أُمهم راحيل حيث روي انها الزوجة الثانية ليعقوب بعد وفاة أُختها ليا ، تزوجها فولدت يوسف وبنيامين،وكان يعقوب شديد الحب ليوسف ويؤثره على أولاده فحسدوه ، وكان يوسف من أحسن الناس وجهاً (ونحن عصبة) أي جماعة ونحن انفع لأبينا من ولديه يوسف وبنيامين (إن أبانا لفي ضلال مبين) وخطأ واضح حين لم يسوي بيننا وفضل أخوينا علينا ، والضلال هنا لا يعني الضلال في الدين لأنهما باجماع المفسرين والمؤرخين انهم جميعاً كانوا على دين ابيهم ويعظمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته . وروى أبو جعفر ابن بابويه في كتاب النبوة باسناده عن محمّد بن اسماعيل بن بزيغ عن حنان بن سدير قال : قلت لأبي جعفر ، أكان اولاد يعقوب أنبياء ؟ فقال : لا ، ولكنهم كانوا اسباطاً أولاد الانبياء، ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكّروا ما صنعوا . (يخل لكم وجه ابيكم) أي متى قتلتم يوسف أو وضعتموه في ارض بعيدة عن ابيه يبقى ابوكم لكم ويتوجه لكم بالمحبة ويحنّ عليكم (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) أي تكونوا بعد قتل يوسف أو ابعاده يمكنكم التوبة وبعدها تكونوا قوماً صالحين ، أو انكم بعد يوسف يصلح امر دنياكم مع ابيكم . واختلف في الجب ، فقيل:هو بئر ببيت المقدس ، أو بأرض الأردن وقيل:بين مدين ومصر ، وكل ذلك البلاء جاء على يوسف وأُخوته بسبب حسدهم له ، قيل للحسن : أيُحسد المؤمن ؟ فقال:ما انساك حديث بني يعقوب .

قوله تعالىٰ :

قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾
أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

(لا تأمنا) أي ما لك لا تثق بنا ، وفي هذه الآية دلالة علىٰ أن يعقوب (ع) كان يأبىٰ أن يرسل يوسف معهم (يرتع ويلعب) أي ينشط ويلهو ، وأرادوا باللعب المباح مثل الرمي والمسابقة بالأقدام . قال الحسن : جعل يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان في البلاء إلىٰ ان وصل اليه ابوه ثمانين سنة ، ولبث في الاجتماع ثلاثاً وعشرين سنة وقيل:إن ليوسف (ع) يوم القي في الجب عشر سنين وقيل: غير ذلك .

قوله تعالىٰ :

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ
وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ
وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا
أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا
يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ

الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

الذئب : اصله بالهمزة وإن خففت جاز. والحزن : ألم القلب بفراق المحبوب . والشعور : إدراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة . والعشاء : آخر النهار، ويقال العشي من زوال الشمس الى الصباح. واستبقا: تبادرا حتى يظهر الأقوى، ومنه المسابقة وهي على ثلاثة وجوه: سباق بالرمي، وذلك جائز بالاتفاق ،وسباق على الخيل والإبل وذلك جائز عندنا ، وسباق على الأقدام وذلك غير جائز إذا كان بعوض وبه قال الشافعي ، وعند أبي حنيفة يجوز بعوض وبلا عوض ، وبه قال قوم من اصحابنا ، وكذلك القول في الصراع والمصارعة . والدم الكذب : أي مكذوب ، والتسويل: تزيين النفس لما ليس بحسن وقد أخبر سبحانه أنهم لما اظهروا النصح والشفقة على يوسف همَّ يعقوب أن يبعثه معهم وحثهم على حفظه لأن ارضهم كثيرة الذئاب الضارية . وقيل: انّ يعقوب رأىٰ في منامه كأنّ يوسف شد عليه عشرة أذؤب ليقتلوه،وإذا ذئب منها يحمي عنه .

(وأجمعوا) أي عزموا جميعاً (أن يجعلوه في غيابة الجب) أي قعر البئر ، فانطلقوا به الىٰ الجب فجعلوا يُدلونه في البئر وهو يتعلق بشفير البئر، ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول:لا تفعلوا ردوا عليَّ قميصي أتوارىٰ به،فيقولون:ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يؤنسك ، فدلّوه في البئر حتىٰ إذا بلغوا نصفها القوه لعلّه يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوىٰ الىٰ صخرة فقام عليها . وقيل ان الله وكّل به ملكاً يحرسه ويطعمه وأن جبرائيل (ع) كان يؤنسه (وأوحينا اليه)

الىٰ يوسف (ع) . قال الحسن:اعطاه الله النبوة وهو في الجب والبشارة بالنجاة والمُلك (وجاؤوا علىٰ قميصه بدمٍ كذب) معناه أن أخوة يوسف جاؤوا أباهم ومعهم قميص يوسف ملطخاً بدم ولم يمزّقوا ثوبه ولم يتنبّهوا إلىٰ أن الذئب إذا أكل انساناً فإنه يمزّق ثوبه ، وقيل:أن يعقوب قال لهم أروني القميص فاروه إياه فقال لهم لما رأىٰ القميص صحيحاً : يا بنيّ والله ما عهدت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزّق قميصه . (وقال بل سوّلت لكم انفسكم امراً) حيث اتهمهم في يوسف وانه لم يأكله الذئب ولم يقتله اللصوص ، ولكن زيّنت لكم انفسكم امراً فقتلتموه ، وذلك من يعقوب إما عن طريق وحي الله تعالىٰ له ، أو كان حدساً صائباً من فكر يعقوب وصادق ذهنه فاكتّب يعقوب على حزنه وهو يقول:(فصبرٌ جميل) وانطلق يوسف في رقّه كل ذلك بعين الله ليرىٰ ويسمع حتىٰ اتىٰ الله بالمخرج وكل ذلك امتحان واختبار ومكث يوسف في الجب ثلاثة ايام .

قوله تعالىٰ :

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)

الوارد : الذي يقدم الرفقة الى الماء ليستقي ، وأدليت الدلو: إذا ارسلتها في البئر،والبخس:النقص من الحق يقال بخسه إذا نقصه من حقه . وفيها أخبر سبحانه عن مصير يوسف بعد القائه في الجب. والسيارة الجماعة المارّة بعثوا من يطلب لهم الماء فأرسل دلوه في البئر فتعلّق يوسف (ع) بالحبل فلما خرج فاذا هو غلام

احسن ما يكون من البشر (قال يا بشرىٰ هذا غلام وأسروه بضاعة) أي اخفوه عن رفاقهم مخافة أن يطالبوهم بالشراكة في يوسف وقالوا هذا بضاعة ، وقيل:ان اخوته أخفوا امره علىٰ هؤلاء المارّة وقالوا هو عبد لنا قد أبق واختفىٰ هنا في هذا الموضع . ثم قالوا له بالعبرانية لإن قلت أنا أخوهم قتلناك فتابعهم وسكت خوف القتل (فشروه بثمن بخس) أي قليل ناقص ، وقيل:بخس حرام لأن ثمن الحر حرام . قيل:إن اخوته لما رأوا أن صاحب الدلو أخرج يوسف جاؤوا وادعوا أنه عبدهم ثم باعوه علىٰ التجار المذكورين ، وقيل:انّ الذي باعه هو الذي أخرجه من البئر علىٰ أصحابه في القافلة أو في مصر حينما دخلوها (وكانوا فيه من الزاهدين) الذين اشتروه كانوا من الزاهدين في شرائه إما لأنهم كانوا يخافون عاقبة شراء مثل هذا الغلام الذي ليس فيه ما يدل على أنه عبد . أو ان أخوته كانوا غير راغبين بثمنه وانما همّهم ابعاده فقط .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

المثوىٰ : موضع الاقامة ، ومصر لا ينصرف لأنه مؤنث معرفة . وفيها اخبر

سبحانه عن حال يوسف بعد أن بيع ، وكان المشتري ليوسف خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب جنده واسمه قطفير ويلقّب بالعزيز ، أو أن اسم مركزه ووظيفته عزيز مصر ، وقال العزيز لامرأته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه لأنهما لم يكن لهما ولد ولما رأىٰ علىٰ يوسف من الجمال والعقل والهداية (وكذلك مكنّا ليوسف في الارض) أي كما انعمنا علىٰ يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكنّاه في الأرض وعطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه (ولما بلغ اشدّه) أي منتهىٰ شبابه وقوته وكمال عقله ، وقيل:الأشد من ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل:أقصىٰ الأشد اربعون سنة وقيل:ستون سنة (آتيناه حكماً وعلماً) العلم والنبوة ، وقيل الحكم بين الناس فإنهم إذا تحاكموا الى عزيز مصر امره بأن يحكم بينهم .

قوله تعالىٰ :

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾

قرأ اهل المدينة والشام (هِيتَ لك) بكسر الهاء وفتح التاء ، وقرأ ابن كثير (هَيتُ لك) بفتح الهاء وضم التاء ، وقرأ الباقون (هَيتَ لك) بفتح الهاء والتاء . وروي عن علي (ع) وجماعة:(هئتُ لك) بالهمزة وضم التاء ، وعن ابن عباس (هَيتِ لك) بفتح الهاء وكسر التاء ، وقيل بالهمزة (هئتِ لك) .

الهم : العزم على الفعل ، أو مجرد التفكير به ، وحيث أن معاني الهم مختلفة في اللغة فيجب أن ينفي عن نبي الله يوسف (ع) ما لا يليق به وهو العزم على القبيح لأن الدليل قائم على أن الأنبياء لا يجوز المعاصي والقبائح عليهم . ولهذا لا بد أن نقول ولقد همّت بالفاحشة منه وأرادت ذلك ، وهمّ يوسف (ع) بضربها ودفعها عن نفسه ، وصرف الله عنه السوء من قتلها وضربها، أو ظن الفاحشة به حيث هي برآته علانية ، ويروىٰ عن علي بن الحسين (ع):انه كان في البيت صنم فألقت المرأة عليه ثوباً ، فقال يوسف (ع):إن كنتِ تستحين من الصنم فأنا أحق أن استحي من الواحد القهّار. وهذا يدل علىٰ تنزيه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا
لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ
أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا
إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ
قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ
قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ
عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)

القَدّ : شقّ الشيء طولاً ، والكيد: طلب الشيء بما يكره (واستبقا الباب) أي تبادرا الى الباب يوسف وامرأة العزيز، فيوسف كان يهمّ بالهرب من زليخا ، وأما زليخا فكانت تتبعه لتحمله على الفاحشة ، وتريد أن تغلق الباب وتمنعه من الخروج فلحقت بيوسف وجذبته وشقّت قميصه فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب فسبقت المرأة بالكلام متهمة يوسف بالخيانة طالبة سجنه وتعذيبه ، لذا لم يجد يوسف (ع) بُداً من الدفاع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد . . .) قال ابن عباس وابن جبير انه صبي في المهد ، وقيل: كان الصبي ابن أُخت زليخا وله من العمر ثلاثة اشهر. وقيل: انّ الشاهد رجل حكيم من اهل زليخا أو هو ابن عم زليخا كان مع العزيز في الباب ، فلما رأى زوجها قميص يوسف شقّ من خلف، عرف خيانة زوجته (فقال انه من كيدكن إن كيدكن عظيم) ثم توجه الشاهد أو العزيز الى يوسف بقوله (يوسف أعرض عن هذا) أي امسك عن التحدث به لئلا يشيع في البلد ، أو يا يوسف لا تلتفت لقولها فقد ظهرت لي براءتك، ثم اقبل الى زليخا (واستغفري لذنبك) أي سلي زوجك أن لا يعاقبك على ذنبك (إنك كنت من الخاطئين) .

قوله تعالى :

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ
شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ
أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ
سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ
فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ
وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ
لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ
بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

آعتدت : مثل اعدّت ، والمتكأ : الوسادة ، والإستعصام:طلب العصمة من الله تعالىٰ والصاغرين : من الصَغار وهو الذل والهوان ، وقد ذكر سبحانه شياع هذه القصة (وقال نسوة في المدينة) قيل:انهنّ كنّ نساء كبار الحكم وحاشية الملك ، فلما سمعت بتعييرهنّ لها علىٰ فعلها والتشهير بها ، اتخذت زليخا مأدبة ودعت اربعين امرأة منهنّ وأعدت لهنّ مجلساً ووسائديتكين عليها وطعاماً وفي الطعام لكلِ واحدة منهنّ سكيناً لتقطع به اجزاء الطعام والفواكه ثم امرت يوسف (ع) بالخروج عليهنّ ولا يستطيع الممانعة لأنه في هيئة المملوك الواجب عليه الطاعة . (فلما رأينه اكبرنه) أي اعظمنه وتحيرنَ في جماله وصرنَ من الدهشة والذهول لجماله يقطعنَ بأيديهن بدل الفاكهة ولم يشعرنَ إلا بالدماء تجري من ايديهنّ دون أن يشعرنَ بالم لاشتغال قلوبهنّ بيوسف (ع) . (وقلنَ حاشَ لله) أن

يرتكب هذا الغلام ما زمته به امرأة العزيز لأنه بادي التقوى والعفة والحياء ، وقيل ، في معنى حاشَ لله : أي ليس هذا من جنس البشر لفرط جماله ، قالت امرأة العزيز هذا هو الذي لمتنني في أمره وحبه ، ثم اعترفت ببراءة يوسف (فاستعصم) اي امتنع عن القبيح ، ثم توعدته بايقاع المكروه به إن لم يطعها فيما تدعوه اليه .

وفي حديث ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (ع) : ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهنّ الى يوسف سراً عن صاحبتها تسأله الزيارة ، وقيل:انهنّ قلنّ له أطع مولاتك واقض حاجتها فانها المظلومة وانت ظالم لذلك دعا يوسف ربه (قال رب السجن احب اليّ مما يدعونني اليه) إن توطين النفس على السجن احب اليّ من توطيني على الزنا (وإلا تصرف عني كيدهنّ) بالطافك (أصب اليهنّ) وأخشى ان اميل الى قولهن (وأكنْ من الجاهلين) (ثم بدا لهم) أي ظهر لهم (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على نزاهة يوسف وعفّته وشدة تمنّعه (ليسجننه حتى حين) لأن المرأة قالت لزوجها إنّ هذا العبد قد فضحني لأنه يخبرهم أني راودته فحبسه بعد علمه ببراءته (حتى حين) أي حتى ينسى حديث المراودة ، وقيل:الى خمس سنوات أو سبع سنوات .

قوله تعالى :

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا
وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا
بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا
نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي

تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ
مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ
بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

أخبر سبحانه عن حال يوسف في السجن حيث دخل معه السجن شابان حدثان،وقيل: انهما كانا مملوكان لملك مصر الأكبر واسمه وليد بن ريّان ، وكان احد الشابّين صاحب شراب الملك والآخر صاحب طعامه يريد أن يسمه وظن أن الآخر ساعدة على ذلك ومالأه عليه ثم قصّا عليه رؤياهما ، وقيل:كانت الرؤيا مكذوبة وانما أرادا أن يمتحنا يوسف فذكرا له ما يناسب عملهما لعلهما يعرفان ما يؤول اليه امرهما (قال لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه) في منامكما (إلا نبأتكما بتأويله) في اليقظة (قبل أن يأتيكما) التأويل لأنه (ع) كره أن يخبرهما بالتأويل لما على احدهما من البلاء ، وقيل في تفسيره قولاً آخر ، وانه لا يأتيكما طعام من منزلكما إلا أخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته قبل أن يصلكما (ذلكما مما علّمني ربي) ثم دعاهم للتوحيد والإعتراف بالله ورسله واليوم الآخر .

قوله تعالى :

يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ

وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا
الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ
تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ
فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

الصاحب : الملازم لغيره على وجه الإختصاص ، وكما يقال لأصحاب النبي (ص) لملازمتهم له . والقيّم : المستقيم . والاستفتاء طلب الفتيا . والبضع : القطعة من الدهر . (أأرباب متفرقون) متباينون لا تملك لمَن عبدها ضراً ولا نفعاً (أم الله الواحد القهار) الذي اليه النفع والضر ، وأنّ هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله أنتم سميتموها ووصفتموها بالربوبية والألوهية ، لا حجّة لكم على عبادتها(إن الحكم إلا لله) فلا تجوز العبادة والخضوع لغير الله . ثم عبّر يوسف (ع) للسجينين عن رؤياهما (يا صاحبي السجن أما احدكما فيسقي ربه خمراً) اي انه ينجو من الهلكة ويخرج من السجن ويعود الى عمله ساقياً للملك (وأما الآخر فيصلب . . .) فعندها قال الذي كُتب عليه الصلب لم أر شيئاً وانما كنت العب ، فقال له يوسف (قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان) واخبار يوسف (ع) بذلك من أمور الغيب التي توحىٰ اليه من الله . وقال يوسف (للذي ظنّ انه ناج منهما) أي للذي اخبره بأنه ينجو من العقوبة ويعود لعمله في سقاية الملك

(اذكرني عند ربك) أي عند سيدك بأني محبوس ظلماً فانسىٰ الشيطان ذلك الساقي أن يذكر قصة يوسف وظلامته عند الملك .

وروي عن أبي عبدالله (ع) قال:علّم جبرائيل (ع) يوسف في حبسه فقال قل : في دبر كل صلاة فريضة (اللهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب) كما روي دعاء آخر .

قوله تعالىٰ :

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ
سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ
كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ
أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا
فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ

عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

الملك : هو القادر الواسع المقدرة ، والذي اليه السياسة والتدبير ، واضغاث الأحلام : الملتبسة ، والادّكار:من الذكر واصله إذتكار ، والصديق الكثير الصدق ، والفتيا الجواب ، والدأب العادة ، ويقال دأب في عمله اجتهد ، والغوث:هو نفع يأتي بعد شدة حاجة ، ومنه الغيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة . وقد أخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف (ع) حين رأى الملك رؤيا هائلة واشكل تعبيرها على قومه حتى عبّرها لهم يوسف .

والملك : هو ملك مصر ، وهو الوليد بن ريان ، والعزيز وزيره ، كما روى ذلك اكثر المفسرين وأنه رأى في منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف مهازيل حتى دخلت السمان في بطون العجاف . ورأى سبع سنبلات قد انعقد حبّها وأخر يابسات ، وكان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف ، وأن الساقي جثا بين يدي الملك وذكر امر يوسف وطلب أن يرسلوه الى يوسف في السجن ، فجاء الى يوسف وقصّ له رؤيا الملك وطلب منه تفسيرها (لعلّهم يعلمون) فضلك يا يوسف وعلمك فيخرجوك من السجن ، فعبّر يوسف (ع) عن رؤيا الملك ، وعن سنيّ المجاعة المقبلة ، وضرورة حفظ المحاصيل ، وادخارها في سنبلها لأنه احفظ لها من التلف وأنه سيأتي من بعد تلك السنين العجاف التي تأكل اغلب مدّخرات الناس،سيأتي (عام فيه يغاث الناس) أي يمطر الناس ويُنقذون من القحط . (وفيه يعصرون) الثمار وتكثر خيراتهم حيث يعصرون العنب والزيت والسمسم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الثالث عشر
من القران الكريم

قوله تعالىٰ :

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ
مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ
(٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ
لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢)
وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ
رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)

الخطب : الأمر الذي يعظم شأنه ، وحصحص: أي بان الحق ، والكيد : الاحتيال سراً لايصال الضرر الىٰ الغير . وقد أخبر سبحانه عن اخراج يوسف من السجن بعدما رجع ساقي الملك وهو يحمل تعبير يوسف لرؤيا الملك ولما جاء رسول الملك فقال ليوسف أجب الملك فإنه يدعوك، أبىٰ يوسف أن يخرج مع الرسول حتىٰ تتم تبرئته وتوضح براءته مما نسب اليه وأُدخل من اجله السجن وقال له (ارجع الىٰ ربك) أي الىٰ سيدك وهو الملك (فسأله ما بال النسوة . . .) ليعلم صحة براءتي . فأرسل الملك الىٰ النسوة ودعاهنّ (ما خطبكنّ إذ راودتنّ

يوسف . . . قلنَ حاشَ لله ما علمنا عليه من سوء) وما فعل شيئاً مما نسب اليه ، واعترفنَ ببراءته وبأنه حبس مظلوماً ، وحتىٰ امرأة العزيز كانت احرص النسوة علىٰ اثبات براءته حين (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) أي ظهر وتبيّن (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) ثم حكىٰ القرآن قول يوسف (ع) حين قال (ذلك ليعلم) عزيز مصر (أني لم أخنه بالغيب) في زوجته ، وقيل:إن هذا من كلام زليخا وإنها تريد ليعلم يوسف أني لم اخنه في غيبته واتهمه بما اتهمته به في حضوره أولاً (وماابرئ نفسي) هذا من كلام يوسف (ع) عند اكثر المفسرين وقيل هو تابع لكلام امرأة العزيز .

قوله تعالىٰ :

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

المكين:من المكانة وأصله التمكن في الأمر ، والتبوء اتخاذ منزل وأصله من باء يبوء إذا رجع ، وانّ الملك لما تبيّن له براءة يوسف وأمانته امر باحضاره وطلب أن يجعله خالصاً لنفسه يرجع اليه في المشاورة وتدبير المملكة ومهمات الأمور ، خاصة بعد أن قابل يوسف الملك وكلّمه فعرف فضله وعقله وأمانته . (قال انك اليوم لدينا مكين آمين) أي انك عندنا من اليوم فصاعداً ذو مكانة نافذ القول والأمر

مأمون ثقة ، ويروىٰ انّ يوسف (ع) لما خرج من السجن دعا للمسجونين ، وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار،وكتب على باب السجن: هذا قبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعـداء ، وقيل:انّ زليخا لما رأت يوسف في ايام عزّه وهو في موكب مهيب بكت وقالت : الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً والعبيد بالطاعة ملوكاً . فضمّهـا يوسف الىٰ عياله حتىٰ ماتت عنده ولم يتزوّجها ، وقيل:انه تزوجها بعد وفاة زوجها فوجدهـا عذراء وولدت له أولاداً. ويروىٰ أن يوسف (ع) لما مرّ بها قال لها ألست فعلتِ بي كذا وكذا ؟ قالت:يا نبي الله لا تلمني فإنّي بُليت ببلاء لم يبل به احد . قال:وما هو ؟ قالت : بُليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيراً في الدنيا ، وبُليت بأنه لم تكن بمصر امرأة اجمل منّي ولا اكثر مالاً مني ، وبُليت بزوج عنّين . فقال لها يوسف فما حاجتكِ ؟ قالت تسأل الله أن يرد عليّ شبابي فسأل الله فرد عليها فتزوجها يوسف وهي بكر .

سؤال : قالوا كيف جاز ليوسف أن يطلب الولاية من قبل الكفرة الطغاة ؟ وجوابه : لأنه (ع) علم انه يتمكن بذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق في مواضعها ، مضافاً الىٰ أنه نبي وتصرفاته بأمر من الله تعالىٰ . وفيها دلالة علىٰ جواز تولّي القضاء من جهة الباغي والظالم إذا كان يتمكن بذلك من اقامة احكام الدين ، وقد تمّ له ما أراد فبعد السنين العجاف والمجاعة دانت ليوسف الرقاب بحكم حاجتها لما عنده من مدّخرات الطعام ، واعترف الملك بحسن تصرف يوسف واصبح الملك يطيع يوسف في كل ما يقوله له حتى بلغ الأمر أخيراً أن هدىٰ الله الملك ومَن حوله وآمنوا بالله وبنبوة يوسف وشهدوا لله بالوحدانية والوجود ، وليوسف بالنبوة والحكمة والزعامة .

قوله تعالىٰ :

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ
مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم
مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ
تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا
سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا
بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

أخبر سبحانه أنه لما تمكّن يوسف بمصر ، وأصاب الناس ما أصابهم من القحط ، وقصدوا مصر نزل بآل يعقوب من القحط ما نزل بالناس ، فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني انه يباع الطعام بمصر وأن صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فانه سيحسن إليكم انشاء الله فدخلوا على يوسف وهم عشرة ، وبقي بنيامين أخا يوسف لأمه وابيه فعرفهم يوسف (ع) ولم يعرفوه هم لما عليه من لباس الملك ، ولم يكن يخطر ببالهم أنه يصير إلىٰ تلك الحالة ، وقال ابن عباس : وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه اربعين سنة فلذلك انكروه ، وحين سألهم قصّوا عليه قصتهم وأنهم أولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن ، وأن

ابوهم نبي ، وأنه لمحزون . ثم قال لهم يوسف : كلكم من اب وأم ؟ قالوا أبونا واحد وأمهاتنا شتىٰ . قال : فما حمل اباكم علىٰ أن سرحكم كلكم،الا حبس واحداً منكم يستأنس به ؟ قالوا:قد فعل حبس منّا واحداً وهو أصغرنا سناً لأنه اخ الذي هلك من أمه فأبونا يتسلّىٰ به ، فقال يوسف:فما الذي يعلم أن الذي تقولونه حق ؟ قالوا:يا أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا أحد ، فقال يوسف فائتوني بأخيكم الذي من ابيكم إن كنتم صادقين وأنا أرضىٰ بذلك ، قالوا إن أبانا يحزن علىٰ فراقه وسنراوده عنه ، قال فدعوا عندي رهينة حتىٰ تأتوني بأخيكم ، فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون ، أو أن يوسف اختار شمعون لأنه كان احسنهم رأياً فيه فخلفوه عنده (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) يوسف قال لعبيده وعماله الذين يكيلون الطعام اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤوا به في اوعيتهم ، وقيل:إن بضاعتهم كانت النعال والأدم والورق ، وقد أراد يوسف امتحانهم وامتحان امانتهم وليحثهم علىٰ الرجوع اليه ، وقيل:أنه رأىٰ لؤماً أخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه . وقد يقال : كيف لم يعرفهم يوسف نفسه مع علمه بشدة حزن ابيه عليه والجواب : أنه لم يؤذن له في التعريف استتماماً للمحنة عليه وعلى يعقوب ولمصالح أخرى يريدها الله تعالىٰ .

قوله تعالىٰ :

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا
كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا
وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ
يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

المبرة : الأطعمة التي تحمل من بلد الى بلد . قيل : إنهم لما دخلوا على أبيهم يعقوب وسلموا عليه سلاماً ضعيفاً فقال لهم يا بني ما لكم تسلمون سلاماً ضعيفاً ، وما لي لا أسمع صوت شمعون فيكم ؟ فقالوا : يا أبانا جئناك من عند اعظم الناس ملكاً ولم يرَ الناس مثله حكماً وعلماً وخشوعاً وسكينة ووقاراً ، ولئن كان لك شبيه فانه يشبهك ولكنا أهل بيت خلقنا للبلاء ، إنه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بنيامين برسالة منك إليه ليخبره عن حزنك وما الذي احزنك . (ولما فتحوا متاعهم) وأوعية طعامهم (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي)أي ما نطلب في منع أخينا عنه وما نكذب عليك فيما قلناه ، ولا ينبغي أن نخاف على أخينا ممن أحسن الينا هذا الإحسان (ونمير أهلنا ونحفظ أخانا) ونرده اليك (ونزداد كيل بعير) لأنه كان يكال لكل رجل حمل بعير (ذلك كيل يسير) سهل على الذي يمضي اليه(قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله) أي تعطوني ما يوثق به من الأيمان والعهود من الله (لتأتنني به إلا ان يحاط بكم) فتهلكوا جميعاً ، أو تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك .

قوله تعالى :

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ

وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

خاف يعقوب (ع) على أولاده لأنهم كانوا ذو جمال وهيبة وكمال ، اما لأنه خاف عليهم من الحسد ، أو أن تبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم أو يقتلهم ، وقد ورد في العين والحسد أخبار كثيرة ، وانه (ص) كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة (وما أغني عنكم من الله من شيء) أي وما ادفع من قضاء الله من شيء إن كان قد قضى عليكم الإصابة بالعين أو غير ذلك .

قوله تعالى :

وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾

قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾
قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾
قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي
رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ
قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ
مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الابتئاس : الإغتمام واجتلاب البؤس والحزن . والسقاية : الإناء التي يسقى منها ، والأذان والتأذين واحد وهو النداء الذي يسمع بالأذن ، ويقال آذنته بالشيء أي اعلمته ، والعير القافلة . وقد أخبر سبحانه عن دخول أولاد يعقوب على أخيهم يوسف ، وأن يوسف ضم اليه اخاه من ابيه وأمه وأنزله معه . وأنهم لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقال أحسنتم ثم أنزلهم واكرمهم وقال ليجلس كل بني أم على مائدة ، وجلسوا وبقي بنيامين قائماً فرداً فقال له يوسف ما لك لا تجلس ؟ قال إنك قلت ليجلس كل بني أم على مائدة وليس لي فيهم ابن أم ، فقال يوسف أفما كان لك ابن أم ؟ قال بلى ، قال يوسف فما فعل ؟ قال زعم هؤلاء ان الذئب أكله قال فما بلغ من حزنك عليه ؟ قال ولد لي احد عشر ابناً كلهم اشتققت له اسماً من اسمه ، فقال له يوسف أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده قال بنيامين إن لي أباً صالحاً وقد قال لي تزوج لعل الله

يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح ، فقال له يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال أخوة يوسف لقد فضل الله يوسف وأخاه حتى أن الملك قد أجلسه على مائدته (قال اني أنا اخوك) أي اطلعه على أنه اخوه ، وقيل:لم يطلعه وانما طيب نفسه وقال له:أنا اخوك أي مكان اخيك (فلما جهّزهم بجهازهم) أي اعطاهم ما جاؤوا لطلبه من الميرة امر أن يجعل الصاع في متاع اخيه ، وقيل:ان السقاية هي المشربة التي كان يشرب بها الملك وجعلت صاعاً ايام القحط وهي من الذهب أو الفضة المرصّعة بالجواهر ، وبعد رحيلهم نادى مناد (أيتها العير) القافلة (انكم لسارقون) ووصفهم بالسرقة أما أنه ليس من كلام يوسف بل هو كلام الغلمان والعمال ، أو أن يوسف (ع) عنى به انكم سرقتم يوسف من ابيه وألقيتموه في الجب (قالوا) أي أهل القافلة (واقبلوا عليهم) على غلمان يوسف وعماله (ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمَن جاء به) جائزة (حمل بعير) من الطعام (وأنا به زعيم) أي كفيل ضامن ، وقال اخوة يوسف (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) وإنه ليس من شأننا السرقة لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها اولاً في رحالهم لأنهم كانوا يحتملون وجودها سهواً في رحالهم (قالوا فما جزاؤه) أي فما جزاء السرقة ومَن سرق (قالوا جزاؤه مَن وجد في رحله فهو جزاؤه) وان السنة في بني اسرائيل وعند الملك استرقاق السارق أوكان يسترق سنة ، أو على قدر السرقة (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه) أي يوسف بدأ بتفتيش أوعية اخوانه لأبيه قبل تفتيش وعاء أخيه لأمه وابيه (ثم استخرجها من وعاء اخيه) ويبدو أن يوسف (ع) اراد أن يؤخّر اخاه عنده ويعطله من السفر معهم ولكن بحجة مشروعة عندهم وعند الملك .

قوله تعالى :

قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي

نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن
وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا
مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ
عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾

أخبر سبحانه عن اخوة يوسف (قالوا) ليوسف (إن يسرق) بنيامين (فقد سرق اخ له) من أمه فلبست سرقته بدعاً ، واختلف فيما وصفوه من السرقة على اقوال ، فقيل: ان عمة يوسف كانت تحضنه بعد وفاة أمه وتحبه حباً شديداً فلما ترعرع اراد يعقوب أن يسترده منها وكانت اكبر ولد اسحاق وعندها منطقة اسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادعت انه سرقها وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك عندها . وقيل: انه سرق صنماً لجده من أمه فكسره والقاه على الطريق (فأسرها يوسف في نفسه) أي اخفى يوسف تلك الكلمة (ولم يبدها لهم قال انتم شر مكاناً) في السرقة لأنكم سرقتم اخاكم (فلما استيئسوا منه) أي فلما ائيسوا من يوسف أن يجيبهم ويطلق لهم اخاهم بنيامين (خلصوا نجياً) أي انفردوا للمناجاة والتفاهم فيما يعملون (قال

كبيرهم) وهو روبين ابن خالة يوسف وهو الذي نهاهم عن قتل يوسف ، وقيل غيره (فلن ابرح الأرض) أي لا ازال بهذه الأرض (حتىٰ يأذن لي أبي) في الرجوع اليه ، أو ماذا اعمل من أجل أخي وخلاصه .

قوله تعالىٰ :

ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا
بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ
الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾
قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

القرية: الأرض الجامعة لمساكن كثيرة ، والكظم: تجرع الحزن وامساكه

في القلب ولا يبثه الى غيره ، والحرض المشرف على الهلاك ، والبث:الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه أي يفرقه ، والتحسس:طلب الشيء بالحاسة ، والتجسس نظيره .

وقد أخبر سبحانه أن كبير أولاد يعقوب سناً قال لهم (ارجعوا الى ابيكم) . واخبروه اننا شاهدنا الصاع اخرج من رحله في الظاهر (وما كنّا للغيب حافظين) أي إنا لم نعلم حين ا‌لمبنا منك أخانا أن يؤول أمره الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به . (واسأل القرية) أي اهل القرية (التي كنّا فيها) والقرية هي مصر وان ذلك الأمر شايع واسأل من شئت يخبرك (والعير التي اقبلنا فيها) أي القافلة التي قدمنا فيها (وتولى عنهم) أي اعرض عنهم لشدة الحزن ، وحزنه على حبس ولده بنيامين أهاج عليه حزن فراق يوسف (وقال يا أسفي على يوسف) أي يا طول حزني على يوسف (فهو كظيم) أي مملوء من الغم والحزن ممسك غيظه لا يشكوه لأهل زمانه (قالوا تا لله تفتأ تذكر يوسف) أي لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضاً) أي هرماً فاسد العقل قريباً من الموت ولعلهم قالوا ذلك تعطفاً ورحمة بأبيهم (قال انما اشكو بثي) أي همّي وحاجتي (وحزني الى الله واعلم من الله . . .) أي واعلم رؤيا يوسف واعلم انه حي (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) قيل انهم لما أخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف إذهبوا واستخبروا شأنهما ، فإنه القي في روعي ان الذي حبس بنيامين هو يوسف (ولا تيأسوا من روح الله) أي من رحمة الله .

قوله تعالى :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا

إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ
قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ
اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي
هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ولما قال يعقوب (ع) لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، خرجوا الى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف (قالوا . . . وجئنا ببضاعة مزجاة) أي رديئة قليلة لا تفي بثمن الطعام الذي نحتاجه (فاوف لنا الكيل) كما كنت توفي في السنين الماضية ، وتصدق علينا بأخينا ، قيل:ان يوسف (ع) لما عرفهم نفسه سألهم عن ابيه ، وقال ما فعل أبي بعدي ؟ قالوا ذهبت عيناه من الحزن ، ثم ذكرهم بما فعلوا بيوسف فتنبهوا (قالوا أإنك لأنت يوسف) فصدقهم و (قال أنا يوسف وهذا أخي) فاعترفوا بخطئهم وأنهم آثمين فيما فعلوه معه ومع ابيهم حينها (قال) يوسف لإخوته (لا تثريب عليكم اليوم) أي لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع ، ثم دعا لهم بالمغفرة ثم دعاهم للرجوع وحمل ابيهم وجميع اهليهم

والالتحاق به في مصر (اذهبوا بقميصي هذا فالقوه علىٰ وجه أبي يأتي بصيراً وائتوني بأهلكم أجمعين) .

قوله تعالىٰ :

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

(ولمّا فصلت العير) أي خرجت وانفصلت عن مصر متوجهةً الىٰ الشام ، قال يعقوب لأولاد أولاده الذين كانوا عنده (إني لأجد ريح . . .) أي لولا أن تسفّهوني وتضعّفون رأيّ وتكذبوني (قالوا تا لله انك . . .) لأنهم كانوا يعتقدون ان يوسف قد ماتٍ منذ سنين ، ولا يقصدون بالضلال الضلال عن الدين وانما يقصدون ان حب يوسف الشديد عنده مبالغ فيه حتىٰ جعله يتمنىٰ الأماني الفاسدة من حياة يوسف وعودته اليه ، وكأنهم اشفاقاً منهم علىٰ يعقوب وأن تلك الأماني شقاء وعناء وألم عليه (فلما أن جاء البشير) فالقىٰ بقميص يوسف علىٰ وجه يعقوب عاد يعقوب باذن الله بصيراً ، وعاودته قوته بعد الضعف وسروره بعد

الحزن ، قال يعقوب لمَن حوله من أولاده وغيرهم (ألم اقل لكم إني اعلم من الله ما لا تعلمون) اي اني كنت أعلم أن الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدائد عن انبيائه بالصبر ، وقد روي أن يعقوب كان يدعو لأولاده ويستغفر لهم مدة طويلة ومن جملة دعائه قوله فيما علّمه جبرائيل (ع) (يا رجاء المؤمنين لا تخيّب رجائي ، ويا غوث المؤمنين اغثني ، ويا غوث المؤمنين اعنّي ، ويا حبيب التوابين تب علي واستجب لهم) .

قوله تعالى :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن
شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ
سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ
مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا
يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن
تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

قيل : إن يوسف (ع) بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر ، وطلب أن يأتوه بأهلهم أجمعين ، فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في موكب من الجند وأهل مصر ، واعتنق يوسف أباه وقبّله وبكىٰ ، ورفعه ورفع خالته علىٰ سرير الملك تكريماً لهما ، والعرش السرير الرفيع (وخروا له ساجدين) فالمروي عن اهل البيت (ع) أن يعقوب واولاده ويوسف معهم خروا سجّداً شكراً لله تعالىٰ علىٰ اجتماع شملهم وما أتاهم الله من الملك والكرامة والسعة (وقال) يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياي) أي هذا تفسير ما رأيته أولاً ، وعدد نعم الله عليه ، وولد ليوسف من امرأة العزيز بعد ان تزوجها يوسف ولد له منها افرايم وميشا ورحمة امرأة أيوب (ع) وكان بين يوسف وبين موسىٰ (ع) أربعمائة سنة ، والبدو يعني البادية حيث أن يعقوب وأولاده كانوا يسكنون البادية ويرعون أغنامهم فيها . ويروىٰ أن يعقوب (ع) سأل يوسف عن صنيع اخوته به فقال يوسف يا أبت لا تسألني عن صنيع اخوتي بي وسل عن صنع الله بي . (ذلك) يا محمّد الذي قصصنا عليك من امر يوسف واخوته (من انباء الغيب نوحيه اليك) ليكون دلالة على صدق نبوتك ، وما كنت يا محمّد حاضراً عند اولاد يعقوب إذ أجمعوا أمرهم وعزموا على إلقاء يوسف في البئر وهم يمكرون ويحتالون في الخلاص منه .

قوله تعالىٰ :

وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم

﴿بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

(وما أكثر الناس) أي ليس أكثر الناس بمصدقين ولو حرصت واجتهدت في دعائهم للإيمان ومع أنك لم تسألهم أجراً على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة . فيصلح أن يكون لهم عذراً في عدم قبولهم دعوتك ، وأن القرآن عبرة وذكرى للعالمين (وكاين من آية)أي كم من حجة ودلالة تدل على وحدانية الله تعالى (في السموات والأرض) كالشمس والقمر والجبال والشجر ، وأحوال وآثار الأمم السالفة مع أن كل تلك الآيات واضحة فإن هؤلاء (يمرون عليها وهم عنها معرضون) عن التفكر والإعتبار بها (وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون) قيل:هم مشركوا قريش لأنهم كانوا يقرون بالله خالقاً ، ويعبدون الأصنام ويصفونها بأوصاف الآلهة ويطلبون منها ما يطلبون من الله فهم بذلك مشركون ، وقيل:نزلت في عموم مشركي العرب ، وكانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . وقيل:عن أهل الكتاب لأنهم آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل ثم اشركوا بإنكار القرآن وإنكار نبوة نبينا محمّد (ص) ، أو هم عموم المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويشركون في السر ، وقيل:هو شرك الطاعة لا شرك العبادة ، كما روي عن أبي عبدالله (ع) انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي . جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ، فقيل له لو قال لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت ؟ فقال (ع) لا بأس بهذا .

وعن الرضا (ع) انه شرك لا يبلغ به الكفر » (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية . .) أي أفأمن هؤلاء الكفار أن يأتيهم عذاب من الله سبحانه يغشاهم ويعميهم أو يستأصلهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي القيامة فجأة وفي غفلة (وهم لا يشعرون) بقيامها حيث تباغت الناس وهم في اسواقهم .

قوله تعالىٰ :

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى
وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

أمر سبحانه نبيه (ص) أن يبيّن للمشركين ما يدعو اليه (قل هذه سبيلي) وطريقي وسنتي ومنهاجي ، وهذه دعوتي وديني ، ادعو الىٰ توحيد الله أنا ومَن آمن بي واتبعني (وسبحان الله) أي تنزيهاً لله عما اشركوا (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله نداً أو ولداً . وفي الآية دلالة علىٰ فضل الدعاء الىٰ الله سبحانه والىٰ توحيده وعدله وفيها دلالة علىٰ أنه (ص) كان يدعو الىٰ الله في كل اوقاته وفيها دلالة ايضاً علىٰ أن الواجب في الداعي أن يكون علىٰ ثقة وبصيرة ودلالة واضحة بالحجة والبرهان لا بالتقليد (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم من اهل القرىٰ) أي الأمصار البلدان لأنهم أرجح عقلاً وعلماً من أهل البوادي ولأن اهل البادية يغلب عليهم القساوة والجفاء . (أفلم يسيروا) هؤلاء المشركين والمنكرين لنبوتك (في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأُمم المكذبين لرسلهم ، وكيف اهلكهم الله بعذاب الإبادة والإستئصال .

قوله تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

استيأس : بمعنى يأس. والبأس: الشدة . والقصص: الخبر . والعبرة الدلالة . والألباب العقول . وقد أخبر سبحانه عن حال الرسل مع أممهم وما نالوا منهم ، وفي ذلك تسلية للنبي محمّد (ص) (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) اهل العقول ، ويعني سبحانه قصص يوسف واخوته لأن نبينا محمّداً (ص) لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً وهو يحدثهم حديثاً صادقاً كمَن رأى وسمع ، وذلك دليل على رسالته ونزول الوحي إليه بذلك القصص .

تمت ولله الحمد سورة يوسف وتفسيرها

سورة الرعد

مكية كلها ، وقيل: إلا آخر آية منها فإنها مدنية نزلت في عبد الله بن سلام . وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما : (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ...) والتي بعدها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

آلمر : قد فسرناه في أول سورة البقرة ، وروي أن معناه أنا الله أعلم وأرى ، والكتاب هو القرآن ، وقيل: آيات الكتب السماوية المتقدمة ، والآيات الدلالات العجيبة المؤدية الى المعرفة بالله سبحانه (والذي أُنزل اليك من ربك الحق) أي القرآن الذي انزل هو الحق فاعتصم بالله واعمل بما في القرآن (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) ولا يصدقون بأنه منزل وحق ، ثم بيّن سبحانه الأدلة التي توجب التصديق بالخالق (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) بالبعث والنشور . وفي هذا

دلالةٌ علىٰ وجوب النظر المؤدي الىٰ معرفة الله تعالىٰ وبطلان التقليد بالعقائد .

قوله تعالىٰ :

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

مدّ الأرض : أي بسطها طولاً وعرضاً (وجعل فيها رواسي) اي جبالاً ثوابت لتمسك الأرض (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) والزوج في الحيوان الذكر والأنثىٰ ، وفي الثمار عبارة عن لونين ، وقد يراد ايضاً فحول النخيل والأشجار واناثها (يغشىٰ الليل النهار) أي يلبس ظلمة الليلة ضياء النهار (إن في ذلك لآيات) ودلالات واضحات علىٰ وحدانية الله (وجنات) أي بساتين (صنوان) نخلتان او اكثر من اصل واحد ، ومن أُصول شتىٰ (ونفضّل بعضها علىٰ بعض في الأكل) في الطعم واللون والرائحة مع أن الأرض والهواء والماء واحد (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) دلائل الله وبراهينه ويتفكرون فيها ويستدلون بها علىٰ وجود الله وقدرته وعظمته . . .

قوله تعالىٰ :

وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ
الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ
وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه علىٰ النفس ، والغل:طوق تشدّ به اليد الىٰ العنق ، والمثلات:العقوبات واحدها مثلة بفتح الميم وضم الثاء . (وإن تعجب) يا محمّد من قول هؤلاء الكفار في انكارهم للبعث مع اقرارهم بابتداء الخلق فأعجب ما في قولهم (أإذا كنا تراباً إإنا لفي خلق جديد) أُولئك المنكرون للبعث وجحدوا قدرة الله علىٰ البعث واستبعدوه (الأغلال في اعناقهم) اغلال الكفر في اعناقهم (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) يستعجلك يا محمّد هؤلاء المشركين بالعذاب قبل الرحمة حين قالوا فامطر علينا حجارة من السماء (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي العقوبات من المسخ والخسف والغرق فكيف يتجرأ هؤلاء علىٰ استعجال العقوبة ، وقيل:العقوبات التي تسير بها الأمثال(ويقول

الذين كفروا لولا أُنزل عليه آية من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسىٰ ، وكقوله تعالىٰ عن تمنيات الكفار : لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتىٰ نأخذ منه شيئاً ، ولن تنتهي اماني وتشهّيات الكفار والمشركين . (إنّما انت منذر ولكل قوم هاد) ومعناه إنما انت منذر أي مخوّف وهاد لكل قوم وليس إليك إنزال الآيات ، وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما أن المنذر هو محمّد (ص) والهادي للناس هو الله تعالىٰ .

وروىٰ الحاكم وأبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن حكم بن جبير عن أبي بردة الاسلمي قال : دعا رسول الله (ص) بالطهور وعنده علي بن أبي طالب فأخذ رسول الله بيد علي بعد ما تطهّر فألزمها[1] بصدره ثم قال : انما انت منذر ، ثم ردها الىٰ صدر علي ثم قال : ولكل قوم هاد ، ثم قال (ص) : إنك منارة الأنام وغاية الهدىٰ وأمير القرىٰ ، واشهد علىٰ ذلك أنك كذلك .

قوله تعالىٰ :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا

(١) وفي نسخة: فألصقها بصدره .

مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(وما تغيض الأرحام وما تزداد) أي يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من مدة الحمل وهي تسعة اشهر ويعلم ما تزاد عن التسعة اشهر ، وقيل: ما تغيض الأرحام ، من انقطاع الحيض أيام الحمل وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع (وكل شيء عنده بمقدار) من الحمل والرزق والأجل . (عالم الغيب والشهادة) أي عالم ما غاب عن حس الناس وما شاهدوه والسر والعلانية . (الكبير) وهو القادر على جميع الأشياء ، أو هو الذي كبر عن مشابهة مخلوقاته (المتعال) الذي علا كل شيء بقدرته (سواء) عند الله (منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل) مستتر ومتوار (وسارب بالنهار) أي سالك في سربه ماض في شؤونه وحوائجه في النهار (له معقبات) اختلف في عود ضمير (له) فمنها انه يعود الى من اسر القول ومن جهر به ، أو يعود الى النبي محمد (ص) في قوله تعالى (إنما أنت منذر) . أما المعقبات ـ فهم على قول ـ الملائكة يتعاقب ملائكة الليل ملائكة النهار وهم الحفظة الذي يحفظون على العبد عمله ، أو هم الملائكة الذين يحفظونه من المهالك . وقيل: من أمر الله أي بأمر الله (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والحال الجميلة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الطاعة فيعصون ربهم ويقتل بعضهم بعضاً (وإذا أراد الله بقوم سوءً) أي عذاباً (فلا مرد له) ولا دافع له . وقيل السوء : البلاء من المرض وغيره فلا مرد لبلائه .

قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ
الصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى اللَّهِ وَهُوَ
شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِ
وَمَا دُعَآءُ الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾

أخبر سبحانه عن كمال قدرته (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) خوفاً من الصواعق وطمعاً فيما يحمله الغيث من نماء للزرع والحيوان (وينشىء السحاب الثقال) بما تحمله من الماء ، ويرفعها من الأرض الى الجو (ويسبح الرعد بحمده) تنزيهاً لله تعالى ووجوب حمده ، وكان النبي (ص) إذا سمع صوت الرعد قال : سبحان من يسبح الرعد بحمده ، أو سبحان الذي يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ، وهو على كل شيء قدير . (والملائكة من خيفته) أي ويسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته (وهم يجادلون في الله) أي ان هؤلاء الجهال المشركون مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون أهل التوحيد (وهو شديد المحال) أي شديد الأخذ ، أو شديد القوة والعقوبة (له دعوة الحق) أي لله دعوة الحق وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، أو انها كل دعوة يُدعى بها الى الله مخلصاً فالله يجيبه . (كباسط كفّيه الى الماء ليبلغ . . .) هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ورجا غير الله أن ينفعه ، وأن مثله كمثل رجل بسط كفّيه الى

الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه لبعد المسافة بينهما ، فكذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لا يصل نفعها إليهم (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أي ليس دعاؤهم الأصنام من دون الله إلا في ذهاب الحق والصواب وضلال عن طريق الاجابة والنفع (ولله يسجد من في السموات والأرض) أي الملائكة وسائر المكلفين (طوعاً وكرهاً) أي يسجد المؤمن لله طوعاً ، ويسجد الكافر كرهاً حين يخاف السيف ، أو ان المؤمن يخضع لله طوعاً وتعبداً ، والكافر يخضع لله كرهاً حينما يبتلى أو يحتاج الى الله في الآلام والأسقام والشدائد فانه يخضع ويدعو الله ويستنجد به (وظلالهم) أي ويسجد ظلالهم لله (بالغدو والآصال) أي العشيات .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمٰتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوٰحِدُ الْقَهّٰرُ ﴿١٦﴾

لما بيّن سبحانه في الآيات السابقة انه المستحق للعبادة وأن له ما في السموات والأرض ، عقّبه بما يجري مجرى الحجة والبرهان على ذلك (قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار (من رب السموات والأرض) أي من مدبرهما ومصرف شؤونهما ؟ فان لم يجيبوا بالحق (قل الله) ولا يصح لهم أن يتخذوا من دون الله

أولياء (لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً) ومَن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فمن الأولىٰ أن لا يملك لغيره ذلك فكيف يستحق العبادة (قل هل يستوي الأعمىٰ والبصير) أي كما لا يستوي الأعمىٰ والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل علىٰ بصيرة (أم هل تستوي الظلمات والنور) أي هل يستوي الكفر والإيمان (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه) أي هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا افعالاً مثل خلق الله تعالىٰ من الأجسام والألوان ، فاشتبه عليهم ما خلقه الله وما خلقته الأوثان ؟ فظنوا لذلك أن الأوثان تستحق العبادة لأن افعالها مثل افعال الله ؟ (قل) لهم إن مَن يستحق العبادة هو (الله خالق كل شيء وهو الواحد) أي المتفرد باستحقاق العبادة ، وأنه الواحد في الألوهية لا ثاني له (القهار) الذي يقهر كل قادر سواه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا
رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ
مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَٰطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰٓئِكَ
لَهُمْ سُوٓءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

الوادي : سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر . وقد ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل ، أحدهما الماء وما يعلوه من الزبد . والثاني ما توقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرهما وما يعلوه من الزبد . (فاحتمل السيل زبداً رابياً) أي طافياً عالياً فوق الماء ، وقد شبه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للخلق ، والباطل بالزبد الذاهب باطلاً لا يحمل إلا الأوساخ والذي يذهب دون أن ينتفع به أحد (ومما يوقدون عليه في النار) وهو الذهب والفضة والرصاص وأنواع المعادن الأخرى مما اختلط النافع فيه بغيره ، ومما لا ينتفع به إلا بإذابته بالنار واستخلاص النافع منه سواء ما كان منه للحلية والتجميل ، أو للمتاع والأواني والمصنوعات والمسبوكات الأخرى (ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) أي كما أن الماء فيه زبد يطفو على وجهه لا ينتفع به فكذلك هذه المعادن والأشياء التي تستخرج من المعادن وتوقد عليها النار لعزل الخالص المفيد من الخبث الذي لا فائدة فيه وهو ما يسمى بنفايات المعادن (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي يضرب الله المثل ، وان الحق والباطل كتلك المعادن وما يعلق بها من القشور والنفايات (فاما الزبد فيذهب جفاء) أي يتفرق ولا ينتفع منه شيء (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والمعدن الصافي (فيمكث في الأرض) فينفع الناس وكذلك الحق والباطل وإن مثل المؤمن وعقيدته الصالحة كمثل الماء الصافي والمعدن الصافي يبقى وينتفع به كل شيء ، ومثل الكافر وكفره وضلاله كمثل الزبد وأوساخ المعادن وإن ظهرت وتعالت بين الناس إلا أنها تذهب وتزول ولا نفع فيها لما حولها ولا خير يرجى منها ، وان (الذين لم يستجيبوا له) أي لله تعالى ولم يؤمنوا بما أرسل من رسل (لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به) أي جعلوا ذلك فدية لأنفسهم من العذاب ولن يقبل منهم (ومأواهم جهنم) مصيرهم الى جهنم (وبئس المهاد) أي بئس ما مهدوا لأنفسهم ، والمهاد الفراش .

قوله تعالى :

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ
وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ
وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ
عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

بيّن سبحانه الفرق بين المؤمن والكافر ، وإن المؤمن يبصر ما فيه رشده فيتبعه والكافر يتعامى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه فيكون كالأعمى الذي يسير الى الهاوية والهلاك (إنما يتذكر أُولوا الالباب) اي يتفكر ويستدل وينتفع ذوو العقول والمعرفة (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) أي يؤدون ما عهد الله اليهم وألزمهم إياه عقلاً وسمعاً ، لأن العقل يحكم بأشياء لا بد من تنفيذها واتباعها ، كالاعتراف بوجود صانع الكون ، وأن للعالم مدبر ، وحاجة الكون

ومَن فيه الى وجود الخالق والمهم من صفاته، والعهد الشرعي هو ما أخذه النبي (ص) على المؤمنين أن يطيعوه ولا يعصوه (والذين يصلون ما امر الله به أن يوصل) قيل: المراد به الايمان بجميع الرسل والكتب، وقيل: هو صلة محمّد ومؤازرته والجهاد معه ، وقيل: هو صلة الرحم لرحم آل محمّد ، أو لعموم الرحم ، ولا مضادة بين جميع المعاني ، وجميعها مطلوب من المؤمنين أن يصلوها ويؤدوها لأنها مما أمر الله به أن يوصل (ويخافون سوء الحساب) وهو الإستقصاء والدقة في الحساب (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي يدفعون المعصية بفعل الطاعة أو بمعنى يدفعون إساءة من أساء اليهم بالإحسان والعفو (أولئك) الذين هذه صفاتهم (لهم عقبى الدار) من الجنة وثوابها وهي العاقبة المحمودة (جنات عدن) أي بساتين عامرة دائمة ، وقيل: هي مدينة أو محل في الجنة فيها الانبياء والشهداء . (يدخلونها ومَن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي أولادهم ، ومَن صلح أي من آمن وصدق فمن لطف الله بعباده المؤمنين ، ولعلمه بأن ذلك مدعاة لسرورهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) قيل: أريد من أبواب الخير التي عملوها من باب الصلاة والزكاة والصيام والبر و . و . و . ، وقيل: من ابواب قصورهم ومساكنهم في الجنة بالتحية من الله سبحانه ، وبالتحف والهدايا ويخاطبونهم (سلام عليكم بما صبرتم) أي سلّمكم الله من الأهوال والمكاره بصبركم على شدائد الدنيا ومحنها التي تعرضتم لها في طاعة الله (فنعم عقبى الدار) .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ

وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا
بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإنابة : الرجوع الى الحق بالتوبة .

لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة ، عقّبه بذكر من هم على خلاف ذلك ، والفساد في الأرض الدعاء الى غير الله ، والوقوف بوجه الانبياء والمصلحين ، وقيل:الفساد في الأرض العمل فيها بمعاصي الله والظلم لعباده وتخريب بلاده (أُولئك لهم اللعنة) وهي الطرد والابعاد عن رحمة الله وجنته (الله يبسط الرزق لمَن يشاء ويقدر) أي يوسع الرزق بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في التضييق (وفرحوا بالحياة الدنيا) أي فرحوا بما أُوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناء الدنيا وبقاء الآخرة وخلود ما فيها (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) لا قيمة له فلا يقابل نعيم الآخرة ولا يستحق أن ينسى أمر الآخرة ونعيمها . (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي هلّا أنزل على محمّد معجزة من ربه (قل) يا محمّد (إن الله يضل مَن يشاء) عن طريق الجنة بسوء أفعال العبد وعظم معاصيه

(ويهدي إليه من أناب) أي رجع إلى الله بالطاعة (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أي اعترفوا بتوحيد الله وصفاته ونبوة النبي محمّد (ص) وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه ، والذكر حصول المعنىٰ في النفس (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وفيه حث للعباد علىٰ تسكين القلب الى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة فان وعده سبحانه صادق حق واقع لا محالة (طوبىٰ لهم) أي لهم الفرح والغبطة والخير والجنة والحسنىٰ الدائمة ، أو بمعنى عيشهم طيّب ، وقيل طوبىٰ : شجرة في الجنة في دار كل مؤمن منها غصن ، وفي ذلك أخبار كثيرة .

قوله تعالىٰ :

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

نزلت الآية الأولىٰ في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب صلح فقال رسول الله

(ص) لعلي (ع) أُكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . . . فقال سهيل بن عمر والمشركون:ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب ، أُكتب بسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ، ثم قال رسول الله (ص):أُكتب هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله ، فقال مشركوا قريش:لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ، ولكن أُكتب هذا ما صالح محمّد بن عبدالله ، فقال اصحاب رسول الله (ص):دعنا نقاتلهم،قال (ص):لا ولكن أُكتبوا كما يريدون . وقيل:انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي (ص) أُسجدوا للرحمن،قالوا:وما الرحمن ؟ استفهام انكار .

ونزلت الآية الأُخرىٰ في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل وعبدالله بن أبي أُمية المخزومي ، جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى النبي (ص) فأتاهم فقال له عبد الله بن أبي أُمية:إن سرّك أن نتبعك فسيّر لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنّا حتى تنفسخ فإنها ارض ضيّقة ، واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً حتىٰ نغرس ونزرع فلست كما زعمت أهون على ربك من داود (ع) حيث سخّر له الجبال تسبح معه أو سخّر لنا الريح فنركبها الى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح ، فكما زعمت لنا فلست أهون على ربك من سليمان ، واحيي لنا جدك قصياً أو مَن شئت مِن موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل ، فإنّ عيسى كان يحيّ الموتىٰ ولست بأهون علىٰ الله منه . فأنزل الله تعالى (ولو أن قرآناً سيّرت به . . .) (كذلك أرسلناك) أي كما انعمنا علىٰ المذكورين بالثواب في الجنة انعمنا عليهم بارسالك اليهم ، أو كما ارسلنا الأنبياء قبلك أرسلناك (في أُمة قد خلت من قبلها أُمم) أي في جماعة مضت من قبلها قرون وجماعات ، والقارعة : النازلة تقرعهم من الحرب والجدب والقتل والأسر ، أو أن القارعة هي سرايا النبي محمّد (ص) التي كان يبعثها اليهم .

قوله تعالى :

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

(فأمليت للذين كفروا) أي امهلتهم وأطلت مدتهم ليتوبوا ، ولتتم الحجّة عليهم (ثم أخذتهم) اهلكتهم وأنزلت عليهم عذابي (أفمَن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي بتدبيركل نفس وحفظها وتسجيل اعمالها ورزقها ، كمَن ليس بهذه الصفات من الاصنام التي لا تنفع ولا تضر (قل) يا محمّد لهؤلاء المشركين (سمّوهم) أي صفوه وسموه ما تعبدون من دون الله واذكروا لهم من صفات الألوهية هل ترونها تنطبق عليهم وسموا واذكروا ماذا خلقوا وهل ضروا أو نفعوا كما هي صفات من يستحق العبادة (أم تنبؤنه بما لا يعلم في الأرض) أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه (أم بظاهر من القول) تقولونه باطلاً لا حقيقة (بل زُين للذين كفروا مكرهم) أي زين لهم الشيطان ، أو رؤساؤهم زيّنوا لهم

مكرهم بالرسول وكفرهم بالله وكذبهم (وصدوا عن السبيل .. لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والأسر أو بالمصائب والأمراض (ولعذاب الآخرة اشق) وأشد وأغلظ لدوامه وكثرته .

قوله تعالىٰ :

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

لما تقدم ذكر ما أعد الله للكافرين عقّبه سبحانه بذكر ما أعده للمؤمنين فقال (مثل الجنة التي وعد المتقون . . .) وعقّبه بالوعد والوعيد للكافرين المنكرين (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل اليك) يريد أصحاب النبي (ص) الذين آمنوا به وصدقوه أُعطوا القرآن وفرحوا بانزاله (ومن الأحزاب مَن ينكر بعضه) يعني اليهود والنصارىٰ والمجوس انكروا بعض ما جاء في القرآن الكريم . (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) أي كما أنزلنا الكتب إلى من

تقدم من الأنبياء بلسانهم أنزلناه اليك حكمة عربية، والحكم هنا بمعنى الحكمة ، أو بمعنى الأحكام وبيان الحلال والحرام (ولئن اتبعت أهواءهم) خطاب للنبي محمد (ص) أي لئن وافقت وطلبت ما يهواه الذين كفروا ، والهوى ميل الطباع الى شيء بالشهوة (بعد ما جاءك من العلم) والمعجزات والدلالات (مالك من الله من ولي) ونصر يعينك ويخلصك من عذابه (ولا واق) يقيك منه .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا
كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ
بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا
الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

قال ابن عباس : عيّروا رسول الله (ص) بكثرة تزوج النساء ، وقالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن تزوج النساء ، فنزلت الآية . . وكان لسليمان (ع) نساء كثيرة ، وكذلك داود (ع) فلا ينبغي أن يستنكر على رسول الله (ص) التزويج والأولاد ، وروي أن ابا عبدالله (ع) قرأ هذه الآية ثم أومى الى صدره فقال : نحن والله ذرية رسول الله . (لكل أجل كتاب) أي لكل أجل مقدر كتاب أثبت فيه ولكل أمر قضاه الله كتاب كتب فيه ، وقيل بمعنى أن لكل كتاب سماوي وقت يعمل به ، فللتوراة وقت ، وللإنجيل وقت ، وللقرآن بقية اوقات الدنيا (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وذلك بحكم نسخ الأحكام ووجود الناس

والمنسوخ في القرآن الكريم ، على تفصيل في معنىٰ النسخ وما يصح منه وما لا يصح . وقيل في معنىٰ قوله تعالىٰ (يمحو الله . . .) انه تعالىٰ يمحو ما يشاء من ذنوب عباده المؤمنين ويُثبت أُخرىٰ تبعاً لموازين العدل ، وقيل:هو عام في الأحكام والأعمال والأرزاق والأعمار ، والسعادة والشقاء ، والمحن والمصائب . ومنها ما يزول بالدعاء والصدقة . وأم الكتاب : اصل الكتاب . وقيل : انه سبحانه يمحو ما يشاء بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات مصداقاً لقوله تعالىٰ : إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.(وإما نرينّك) يا محمّد (بعض الذي نعدهم) أي نعد الكفار من نصر المؤمنين عليهم وتمكينك منهم بالقتل والأسر ترىٰ ذلك كله في حياتك (أو نتوفينك) أي نقبضك قبل تمام نصر الله على الكُفار فلا تنتظر ان يكون جميع ذلك في حياتك فلا تبتأس من عدم حصول جميع ذلك في حياتك (فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب) والمجازاة والانتقام منهم ، وفي هذا دلالة على أن الإسلام سيظهر علىٰ سائر الأديان .

قوله تعالىٰ :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

أولَم يَرَ هؤلاء الكفار أنّا ننقص اطراف الأرض بإماتة أهلها ، أو معنىٰ ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها ، أو ننقصها من اطرافها بالفتوح علىٰ المسلمين فينقصُ الكافرون بنقصان بلادهم . (وقد مكر الذين من قبلهم) مِن كفار الأُمم السابقة مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم ، ودبّروا في تكذيب الرسل ما وسعهم فأبطل الله مكرهم (فلله المكر جميعاً) أي لله الأمر والتدبير جميعاً فيرد عليهم مكرهم بالجزاء أو بما ينصب من الآيات والحجج التي تبطل مكرهم . (قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم) بما اظهر من الآيات وأبان من الدلالات علىٰ نبوتي ، فهو الحكم بيني وبينكم علىٰ انكاركم نبوتي (ومَن عنده علم الكتاب) قيل:ان الذي عنده علم الكتاب هو الله سبحانه والعطف هنا للتأكيد. وقيل:المراد هم مؤمنوا أهل الكتاب ممن يشهدون بصحة رسالة محمّد (ص) أو المراد عنده علم الكتاب هم حملة الكتاب وعلماؤه بعد رسول الله (ص) وهم اهل البيت عليهم السلام .

تمت ولله الحمد سورة الرعد وتفسيرها

سورة ابراهيم

قال ابن عباس وقتادة والحسن : هي
مكية إلا آيتان نزلتا في قتلى بدر من
المشركين (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفراً . . . الى قوله فبئس القرار)

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد (١) الله الذي له ما في السموات
وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد (٢) الذين يستحبون
الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجاً أولئك في ضلال بعيد (٣)

(آلر) قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في أوائل السور ، واختلاف الآراء فيها في أول البقرة ، وأن القرآن كتاب منزل اليك يا محمّد لتُخرج به الناس من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان بالله (الذي له ما في السموات والارض) يتصرف فيهما كيف يشاء دون معين ولا منازع (وويل للكافرين من عذاب شديد) غليظ أليم مضاعف لأنهم آثروا الحياة الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، وسلكوا طريقاً معوجاً في الحياة ، ولم يكتفوا بكفرهم وانحرافهم عن الصراط المستقيم بل

(ويصدّون عن سبيل الله) أي يمنعون غيرهم من سلوك السبيل المؤدي الى معرفة الله وطاعته ويحثون على اتباع الطرق المعوجة وبذلك يفقدون السعادة في الدنيا والآخرة لأنهم عدلوا عن الحق والاستقامة .

قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

بيّن سبحانه انه انّما يرسل الرسل الى كل قوم بلغتهم ليكون اقرب الى الفهم واقطع للعذر وقد ارسل الله تعالى نبينا محمّداً (ص) الى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب ، وإلى جميع الخلق (فيضل الله مَن يشاء) بانصرافهم عن طريق الخير والجنة لإستحقاقهم العذاب ، فمَن تفكر وتدبّر اهتدى ونبّهه الله بلطفه ، ومَن اعرض عن ذكر الله وآياته خذله الله وأخزاه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي

بالمعاجز والدلالات (ان أخرج قومك من الظلمات الى النور) من الكفر إلى الايمان . . (وذكرهم بأيام الله) وما أحل الله بالأمم السابقة ، وهلاك من هلك منهم باصرارهم على الكفر ، واعراضهم عن آيات الله وحججه ونعمه ونقمه في عباده وفي كل ذلك آية وبرهان .

قوله تعالى :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ
إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ
وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ
مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا
إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

التأذن : الاعلام ، لما قدم سبحانه ذكر نعمه على عباده اتبعه بذكر ما يلزم عليها من الشكر (وإذ تأذن ربكم) أي واذكروا إذ أعلم ربكم، أو قال ربكم (لئن شكرتم لأزيدنكم) في النعم ، قال أبو عبدالله (ع) في هذه الآية ايما عبد انعمت عليه نعمة فأقر بها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه ، لم ينفد كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم) قيل:إن هذا الخطاب متوجه الى أمة نبينا (ص) فذكرت باخبار من تقدمها من الأمم ، وقيل:انه من قول موسى (ع) (فردوا ايديهم في افواههم) اختلفوا في معناه منها:ان معناه عضوا على اصابعهم من شدة الغيظ ، أو معناه جعلوا ايديهم في افواه الانبياء تكذيباً لهم ، أو بمعنى انهم وضعوا ايديهم على أفواههم مؤمنين بذلك الى الرسل أن اسكتوا عما تدعوننا إليه، وقيل غير ذلك ، وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه لا يريد الكفر والشرك ، وانما يريد الخير والايمان ، وانه انما بعث الرسل الى الكفار رحمة وفضلاً عليهم ليؤمنوا فإنه قال سبحانه (يدعوكم ليغفر لكم) .

قوله تعالى :

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

حكى سبحانه جواب الرسل للكفار واعترافهم بأنهم بشر ولسنا ملائكة

ولكن الله من علينا بالنبوة ، وعزّزنا بسلطان الحجج والبراهين على صحة دعوانا (وقد هدانا سبلنا) أي عرّفنا طريق التوكل عليه ودلنا على سبيله ومعرفته ، وضمن لنا الثواب ، كما انه سبحانه يكفينا امر الكفار وينصرنا عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) .

قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي
مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾
وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي
وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾
مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ
اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ
ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

فأوحى الله الى رسله لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم إنا نهلك

الظالمين ونسكنكم ارضهم من بعدهم ، وفي معناه ما جاء في الحديث: مَن آذىٰ جاره ورّثه الله داره . (واستفتحوا) أي طلب الرسل الفتح والنصر من عند الله علىٰ الكفار ، وقيل: معناه استفتح الكفار العذاب الذي توعّدهم به الأنبياء حيث انهم يكذبون به (ويسقى من ماءٍ صديد) والصديد: القيح يسيل من الجرح ، والقيح دم مختلط بمدة (ويأتيه الموت من كل مكان) أي يأتيه شدائد الموت وآلامه من جميع اجزاء جسده ظاهره وباطنه (وما هو بميّت) أي رغم تلك الآلام فإنه لا يموت ويستريح (ومن ورائه) أي من وراء هذا الكافر (عذاب غليظ) شديد موجع ، ثم اخبر سبحانه عمّا ينال الكفار من الحسرة على ما فرطوا (مثل الذين كفروا بربهم) وانهم لا ينتفعون بأعمالهم وتكون اعمالهم (كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف) شديد الريح فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق في شدة الريح فكذلك هؤلاء الكفار (لا يقدرون مما كسبوا علىٰ شيءٍ ذلك هو الضلال البعيد) عن النفع والصواب .

قوله تعالىٰ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) وَبَرَزُوا لِلَّهِ
جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ
أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ
لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١)

بيّن سبحانه أنه انما خلق الخلق ليعبدوه ويؤمنوا به ، والخطاب للنبي (ص)

(ألم ترَ أن الله . . .) (وما ذلك على الله بعزيز) أي وما إهلاككم والإتيان بخلق جديد ممتنع ولا متعذر على الله تعالى (وبرزوا لله جميعاً) اخبر سبحانه أن الخلق يبرزون يوم القيامة ويخرجون من قبورهم (فقال الضعفاء للذين استكبروا) عن الايمان وهم القادة وعلماء السوء الذين يستكبرون عن الحق واتباعه (إنا كنّا لكم تبعاً) في الكفر مقلدون لكم وتابعون في الكفر (فهل انتم مغنون . .) وهل تدفعون عنّا شيئاً من عذاب الله الذي حل بنا (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) . أي قال الرؤساء للاتباع لو هدانا الله الى طريق الخلاص من العقاب والوصول الى النعيم والثواب لخلصناكم معنا ، لكن لا مطمع لنا ولكم في ذلك . وفي الآية حثّ سبحانه على النظر ، وحذر من التقليد ، وإلى هذا اشار امير المؤمنين علي (ع) في قوله للحارث : يا حارث ، الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله .

قوله تعالى :

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

الصراخ : الإغاثة باجابة الصارخ ، لما تقدم وعيد الكفار ، وصفة الحشر وما يجري فيه من الجدال بين الاتباع والمتبوعين ، عقّب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم (لما قضي الأمر) أي فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل

اهل الجنة الجنة ، واهل النار الىٰ النار . وفي هذه الآية دلالة علىٰ أن الشيطان لا يقدر علىٰ أكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس له حجّة ولا سلطان علىٰ البشر .

قوله تعالىٰ :

وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

لما تقدم وعيد الكفار ، عقّبه سبحانه بالوعد للمؤمنين ، ثم ضرب الله سبحانه مثلاً يقرب من افهام السامعين ترغيباً في اتباع الحق (ألَم ترَ) اي ألم تعلم يا محمّد (كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً) وهي كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله ، وقيل:هي كل كلام امر الله تعالىٰ به من الطاعات (كشجرة طيبة) قيل:انها شجرة الجنة ، وروىٰ ابن عقدة عن أبي جعفر (ع) أن الشجرة رسول الله (ص) وفرعها علي (ع) ، وعنصر الشجرة فاطمة ، وثمرتها أولادها ، وأغصانها وأوراقها شيعتنا . وقيل اراد بالشجرة الطيبة المؤمن (ومثل كلمة خبيثة) وهي كلمة الكفر والشرك ، وقيل:هو كل كلام في معصية .

قوله تعالى :

يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللهُ الظّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ
يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

لما قدم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقّبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة (وفي الآخرة) أكثر المفسرين على أنه سؤال القبر، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام (ويضل الله الظالمين) أي يضلهم عن التثبيت في الدنيا والآخرة (ألم تر) يا محمّد (الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) روي عن الصادق (ع) انه قال:نحن والله نعمة الله التي أنعمها ، أنعم بها على عباده ، وبنا يفوز مَن فاز . ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله ، قيل:أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة ، وسأل رجل امير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال:هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، وقيل:انهم جبلة ابن الأيهم ومَن اتبعوه من العرب تنصّروا ولحقوا بالروم . والبوار الهلاك ، والأنداد:الامثال والنظراء .

قوله تعالى :

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ

سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

(قل) يا محمّد (لعبادي الذين آمنوا) أي اعترفوا بتوحيد الله وعدله من جميع المؤمنين قل لهم (يقيموا الصلاة) يؤدّوها بأوقاتها (وينفقوا سراً وعلانية) لأن للسر فوائده وللعلن فوائده (من قبل أن يأتي . . .) وذلك يوم القيامة الذي لا يقبل فيه بيع وبدل يتخلص فيه الإنسان من النار ، ولا مصادقة تؤثر فينجي الصديق صديقه . ثم بيّن سبحانه أنه وحده المستحق للألوهية (الله الذي خلق . . .) (وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها) لكثرتها ، وفي الحديث:إن حق الله تعالىٰ أثقل من أن يقوم به العباد ، فإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن اصبحوا تائبين وأمسوا تائبين (إن الإنسان لظلوم) كثير الظلم لنفسه (كفار) لنعم الله .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن
نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى

فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي
أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ
تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ
﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا
اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

(وإذ قال ابراهيم) واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء (رب انهن اضللن كثيراً من الناس) أي بسبب تلك الأصنام ضل كثير من الناس ، ثم حكى سبحانه تمام دعاء ابراهيم (ع) (ربنا إني أسكنت من ذريتي) يريد اسماعيل (ع) مع أمه هاجر وهو اكبر ولده (بوادٍ غير ذي زرع) وادي مكة وهو الأبطح ، وكان خالياً من الزرع والضرع (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق) . قال ابن عباس : ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة . وقال سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم (ع) إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة . (ربنا اغفر لي ولوالدي) استدل الإمامية بهذا على أن أبوي ابراهيم (ع) لم يكونا كافرين فلو كانا كافرين لما

سأل المغفرة لهما يوم القيامة ،فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ، فصح أن اباه الذي كان كافراً إنّما هو جده لأمه ، أو عمه ، على خلاف .

قوله تعالىٰ :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

أي يؤخر عقاب الظالمين ومجازاتهم الىٰ يوم القيامة ، وهو اليوم الذي تكون فيه الأبصار شاخصة لا تغمض لهول ما ترىٰ في ذلك اليوم للتحيّر والرعب ، أو للإصغاء والتوجه نحو الداعي الذي يدعوهم (مهطعين) أي مسرعين ، او دائمي النظر (مقنعي رؤوسهم) اي رافعي رؤوسهم إلى السماء ، وقيل:ناكسي رؤوسهم من الخوف والذل ، (وأفئدتهم هواء) اي قلوبهم خالية من كل شيء ، أو من كل سرور وطمع في الخير لشدة ما يرون من الأهوال . (وانذر الناس) يا محمّد وهو عام لكل مكلف ، وخوّفهم العذاب الذي يأتيهم يوم القيامة الذي يقول فيه

الظالمون (ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك) أي ردّنا الىٰ الدنيا نجب دعوتك (ونتبع الرسل) فيقول الله لهم (أولَم تكونوا اقسمتم) حلفتم (من قبل ما لكم من زوال) وانكم خالدون في الدنيا لا تنتقلون منها إلىٰ الآخرة ؟

قوله تعالىٰ :

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

أبان سبحانه عن مكر الكفار بالأنبياء والرسل وذكر ذلك تسلية لنبينا محمّد (ص) (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) علىٰ ما وعدهم به من النصر والظفر بالكفار (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) حين تبدل صورة الأرض وهيئتها وتبدل آكامها وجبالها وأشجارها وتبقىٰ أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، وتبدل السماوات فيذهب بشمسها وقمرها ونجومها ،

وقيل غير ذلك من معنى التبدل (وبرزوا لله) أي ظهروا من قبورهم للمحاسبة بين يدي الله (الواحد القهار) الذي قهر عباده بالموت (وترى المجرمين) الكفار تراهم في ذلك اليوم (مقرنين في الأصفاد) في الأغلال قرنت أيديهم إلى أعناقهم ، وقيل يقرن بعضهم الى بعض (سرابيلهم) قمصانهم (من قطران) وهو ما يطلى به الابل سائل اسود نزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ، ثم ترسل النار عليهم لتكون اسرع اليهم وأشد في العذاب عليهم (هذا بلاغ للناس) إشارة للقرآن الكريم ، وانه عظة بالغة كافية للناس ، وقيل اشارة إلى ما تقدم ذكره من الوعيد والعذاب ، وان فيه كفاية لمن تدبر .

وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج اليه الناس من أمور الدنيا والدين (وليذكر أولوا الألباب) دلالة على انه أراد من الجميع التدبر والتذكر ، وعلى العقل حجة ، لأن غير ذي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار .

تمت ولله الحمد سورة ابراهيم وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الرابع عشر
من القرآن الكريم

سورة الحجر

مكية في قول قتادة ومجاهد . وقال الحسن
إلا قوله «ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن
العظيم» وقوله «كما أنزلنا على المقتسمين الذين
جعلوا القرآن عضين» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١) رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)
مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)

لما ختم الله سبحانه سورة إبراهيم (ع) بذكر القرآن، وأنه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام افتتح هذه السورة بذكر القرآن وأنه مبين للأحكام . قرأ اهل المدينة وعصم بتخفيف الباء (ربما) والباقون قرأوا بالتشديد (آلر) وقد تقدم الكلام في هذه الحروف واقوال العلماء فيها . (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أي هذه آيات الكتاب وآيات قرآن مبين مميز بين الحق والباطل ، أو مبيّن للحلال والحرام والأوامر والنواهي والأدلة ، وقيل:المراد به الكتب المنزلة قبل القرآن . (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أي ربما يتمنى الكفار الإسلام في الآخرة حينما

يروا مصير المسلمين إلى الجنة ومصيرهم الى النار . (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) أي دعهم يأكلوا في دنياهم أكل الأنعام ويتمتعوا فيما بريدون وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي (ص) والقرآن (فسوف يعلمون) وبال ذلك يوم القيامة (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) أي لم نهلك اهل قرية فيما مضى إلا وكان لهم أجل مكتوب ، سيبلغونه ، فلا يغر هؤلاء الكفار إمهالي إياهم ، انما يُنزل العذاب بهم في الوقت المقدر لذلك ، (ما تسبق من أمة أجلها) فتهلك قبل ذلك ، ولا تتأخر عن أجلها المقدر لهلاكها .

قوله تعالى :

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْمَا تَأْتِينَا
بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ
إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ

جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾

(وقالوا) أي قال المشركون للنبي محمّد (ص) (يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر) أي القرآن كما تزعم (إنك لمجنون) في دعواك ووأهم أنا نتبعك ونؤمن بك ، ولو كنت صادقاً فيما تدعيه لجئتنا بالملائكة يشهدون لك على صدق قولك ، فيجيبهم سبحانه انا لا ننزل الملائكة إلا بالحق الذي هو الموت أو لا ينزلون إلا بعذاب الإستئصال والإهلاك إن لم يؤمنوا ، وقيل: ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة (وما كانوا إذاً منظرين) أي أن الملائكة حين ينزلون لا يمهلون ساعة (إنا نحن نزلنا الذكر) القرآن (وإنا له لحافظون) عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير ومتكفل بحفظه إلى آخر الدهر . وفي هذه الآية دلالة على أن القرآن محدث (ولقد ارسلنا من قبلك) يا محمّد رسلاً في الأمم الأولين ، وهذا تسلية للنبي (ص) إذ أخبره أن كل رسول كان مبتلى بقومه واستهزائهم بالرسل . (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) بمعنى إنا نسلك الذكر وهو القرآن في قلوب الكفار ونلقيه في قلوبهم ، أو بمعنى كذلك نفهمهم إياه وانهم مع ذلك (لا يؤمنون) مصرّين على سنّة من تقدمهم في تكذيب الرسل (وقد خلت سنّة الأولين) أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسلهم تدعوهم الى كتب الله المنزلة ثم لا يؤمنون ، وقيل: مضت سنّة الأولين بأن عوجلوا بعذاب الإستئصال حين يصرّون على الكفر (ولو فتحنا عليهم) أي على المشركين (باباً من السماء) ينظرون اليه فظلت الملائكة تصعد وتنزل في ذلك الباب، وقيل: غير ذلك (لقالوا إنما سكّرت أبصارنا)

أي غشيت أو غطيت (بل نحن قوم مسحورون) سحرنا محمد بسحره وأرانا خلاف الحقيقة ، ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد (ولقد جعلنا) أي خلقنا وهيأنا (في السماء بروجاً) منازل الشمس والقمر (وزيناها للناظرين) بالكواكب النيرة عن أبي عبدالله (ع) وهي اثنا عشر برجاً . (وحفظناها) أي السماء ، (من كل شيطان رجيم) أي مرجوم مرمي بالشهب،وقيل:رجيم بمعنى ملعون مشؤوم (إلا من استرق السمع) أي من حاول أخذ السمع من السماء (فاتبعه شهاب مبين) شعلة نار ظاهرة لأهل الأرض .

قوله تعالى :

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ
بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا
بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي
وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

لما تقدم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعم اتبعه بذكر الأرض (والأرض

مددناها) أي بسطناها وجعلنا لها طولاً وعرضاً (وألقينا فيها رواسي) جبالاً ثابتة (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) أي مقدر معلوم وهو كل ما تخرجه الأرض،وقال السيد المرتضى قدس الله روحه:المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرة داخلة في باب العبث . (وجعلنا لكم فيها معايش) أي خلقنا لكم في الأرض معايش من زرع ونبات،وقيل:مطاعم ومشارب (ومَن لستم له برازقين) من الدواب وغيرها مما تعولون بهم فإن الله هو الرازق لهم ، وليس من شيء ينزل من السماء وينبت من الأرض (إلا عندنا خزائنه) وقادرون عليه (وما ننزله إلا بقدر) بما تقتضيه الحكمة وبحسب المصلحة والحاجة (وأرسلنا الرياح لواقح) أي ملقحة للسحاب محمّلة بالمطر ، وأسقيناكم ذلك الماء ومكناكم منه ، وما أنتم أيها الناس له بحافظين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ويحفظه في الأرض ثم يخرجه من العيون بقدر الحاجة ، ونحن الوارثون للأرض ومَن عليها ، (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) أي الماضين والباقين من الأولين والآخرين ، وقيل:المستقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين عنها أو المتقدمين في الخير والمبطئين (وإن ربك) يا محمّد أو أيها السامع هو الذي يجمعهم يوم القيامة ويبعثهم بعد إماتتهم للحساب والمجازات بالأعمال .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾
وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ
لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾

لما ذكر سبحانه الإحياء والإماتة والنشأة الثانية عقبه ببيان النشأة الأولى (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم (من صلصال) من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة أي صوت ، وقيل: طين منتن (من حمأ) من طين متغير (مسنون) مصبوب ، او الرطب ، او الطين المصور ، وخلقنا الجان من قبل خلق آدم من نار لها ريح حارة، وقيل السموم النار الملتهبة ، وروي عن ابن عباس قال : كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار ، واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة (إني خالق) أي سأخلق (بشراً) أي آدم ، وسمّي بشراً لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف (فاذا سويته) وعدلت صورته (ونفخت فيه من روحي) أي اجريت الروح في آدم (فقعوا له ساجدين) أي فخروا له ساجدين (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) توكيد بعد توكيد أي فسجدوا كلهم في حالة واحدة(إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين) فلم يسجد معهم . وقد سبق القول في سورة البقرة في أن ابليس هل كان من الملائكة أو لم يكن . ثم خاطب الله سبحانه ابليس لِمَ لَم تكن مع الساجدين (قال) ابليس مجيباً لهذا الكلام ما كان ينبغي أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) لأني اشرف منه أصلاً (قال) الله

سبحانه لأبليس (فاخرج منها) من الجنة،وقيل:من السماء ، وقيل:من الأرض مشؤ وم مطرود ملعون . وعليك اللعنة والأبعاد من رحمة الله (الى يوم الدين) يوم القيامة ، وان الله سبحانه قد لعنه وأهل السماء والأرض يلعنونه لعنة لازمة لأبليس الى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك الجزاء والعذاب بالنار .

قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

بيّن سبحانه ما سأله به ابليس عند أياسه من الآخرة (قال ربّ فانظرني) أي أمهلني (الى يوم يبعثون) فأمهله الله ورفع عنه العذاب الى يوم القيامة ، أو الى الوقت الذي قدر الله أجله وهو معلوم عند الله ، قال ابليس بعد ذلك (ربّ بما أغويتني لأزيننّ لهم . . .) الإغواء هنا بمعنى الخيبة ، أي بما خيّبتني من رحمتك لأخيّبنهم بالدعاء الى معصيتك ولأزيننّ الباطل لأولاد آدم وذرياته (إلا عبادك منهم

المخلصين) الذين اخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان فليس للشيطان عليهم سبيل . قال الله سبحانه (هذا صراط عليّ مستقيم) معناه:هذا دين مستقيم عليَّ بيانه وعلىٰ بني آدم الهداية (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) عباده الذين يطيعوه وينتهون عن نواهيه لا قدرة للشيطان علىٰ أن يحملهم علىٰ المعاصي ، وهذا يدل علىٰ أن الجن لا يقدرون علىٰ الإضرار ببني آدم (إلا مَن اتبعك من الغاوين) فإن مَن اتبعك منهم جعل لك علىٰ نفسه سلطاناً (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) أي موعد ابليس ومَن تبعه (لها سبعة ابواب) أي للنار .

روي عن أمير المؤمنين (ع) أن جهنم لها سبعة ابواب اطباق بعضها فوق بعض ووضع إحدىٰ يديه علىٰ الأُخرىٰ فقال هكذا ، وإن الله وضع الجنان علىٰ العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض ، فأسفلها جهنم ، وفوقها لظىٰ ، وفوقها الحطمة ، وفوقها سقر ، وفوقها الجحيم ، وفوقها السعير ، وفوقها الهاوية . (لكل باب منهم) أي من الغاوين (جزء مقسوم) ونصيب مفروض .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

لما ذكر سبحانه عباده المخلصين، عقّبه بذكر حالهم في الآخرة، وأن الذين يتقون عقاب الله ويجتنبون معاصيه سينقلبون في الآخرة إلى نعيم وبساتين وعيون من ماءٍ وخمرٍ وعسلٍ يجري في مجاري تلك الجنائن ، ويقال لهم ادخلوا الجنة

بسلامة من الآفات آمنين من الإخراج من الجنة (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي وأزلنا عن صدور اهل الجنة ما فيها من اسباب العداوة من الحقد والحسد والتنافس والتباغض فيصبحوا اخوانا متحابين على مجالس السرور متقابلين في الجنة ، لا يمسّهم في الجنة نصب ، أي تعب وعناء . (نبّىء) يا محمّد (عبادي أني أنا الغفور) الساتر لذنوب المؤمنين (الرحيم) كثير الرحمة لهم ويجب أن لا يعولوا على محض غفراني ويكسلوا عن العمل (وأن عذابي هو العذاب الأليم) .

قوله تعالى :

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟
سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ
بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ
﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن
يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة ابراهيم (ع) وقوم لوط ، مصدقاً لما ذكره وارشاداً الى الدلالة بالعاجل على الآجل . وأخبرهم عن الملائكة الذين جاؤا الى ابراهيم بصورة الأضياف وسلّموا عليه وبشروه بالولد وأنه يكون إذا بلغ عليماً (قال) ابراهيم (ابشرتموني) بالمولود وأنا في حالة الكبر الذي يوجب اليأس

من الولد (فبِمَ تبشرون) أبأمر الله تعالى فأثق به ؟ قالت الملائكة إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله سبحانه (فلا تكن من القانطين) أي اليائسين ، فأجابهم ابراهيم (ع) ومن الذي ييأس من رحمة الله (إلا الضالون) عن الحق الجاهلون بقدرة الله تعالى (قال) ابراهيم (ع) للملائكة (فما خطبكم أيها المرسلون) ما الأمر الجليل الذي بعثتم به وما شأنكم (قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين) مذنبين كافرين ، واقتصروا على هذا لأن من المعلوم أن الملائكة إنما يُرسلون الى المجرمين للعذاب والهلاك (إلا آل لوط) استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته ، فإنا نخلصهم أجمعين من العذاب ، باستثناء امرأة لوط لأنها كانت كافرة ، وحكمنا أنها تهلك كما يهلكون .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ
﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ
أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ
﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ
﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا
تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ

الْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

أخبر سبحانه أن الملائكة لما خرجوا من ابراهيم (ع) أتوا لوطاً (ع) يبشرونه بهلاك قومه فأجابهم إني أنكركم فعرّفوني أنفسكم ليطمئنّ قلبي (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي جئناك بالعذاب الذي كان قومك يشكون فيه (فأسر بأهلك) بعدما يمضي أكثر الليل ويبقى قطعة منه واقتف أثرهم فلا يتخلّف من الناجين احد (ولا يلتفت منكم أحد) وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعوا ولا يحتمل قلبهم ذلك ، واذهبوا الى الموضع الذي أمركم الله بالذهاب اليه وهو الشام (وقضينا اليه ذلك) أي أخبرنا لوطاً بما نزل به من العذاب (أن دابر هؤلاء مقطوع) يعني آخر من يبقى من المجرمين يهلك وقت الصبح بحيث لا يبقى منهم أثر ولا عقب (وجاء أهل المدينة يستبشرون) طمعاً في أن ينالوا الفجور من ضيوف لوط يبشّر بعضهم بعضاً قال لوط للمجرمين من قومه (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بقصدكم اياهم بالسوء (واتقوا الله) باجتناب معاصيه ، وكان هذا القول من لوط قبل أن يعلم انهم ملائكة بُعثوا لإهلاك قومه (قالوا أوَلَم ننهك عن العالمين) أي قال قوم لوط أوَلم ننهك أن تجير أو تضيف أحداً (قال) لوط لهم (هؤلاء بناتي) فتزوّجوا إن كان لكم رغبة في التزويج ، قيل: وانما قال ذلك للرؤساء الذين يمنعون اتباعهم ، وقيل: اراد بناتي بنات قومه عرضهنّ عليهم للتزويج والإستغناء بهنّ عن الذكور (لعمرك) أي وحياتك يا محمّد إنهم لفي غفلتهم يتحيّرون ويترددون فلا يبصرون طريق الرشد .

قوله تعالى :

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا

عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا
لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ
الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾
وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ
﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

أخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط، وأنهم أخذهم العذاب الذي بدأ بالصوت الهائل عند شروق الشمس (فجعلنا عاليها سافلها و . . .) مضى تفسيره في سورة هود (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) أي إن فيما سبق ذكره من إهلاك قوم لوط دلالات للمتفكرين المعتبرين المتفرسين ، وقد صح عن النبي (ص) أنه قال : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، وقال (ص) : إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم ثم قرأ (ص) هذه الآية . (وإنها لبسبيل مقيم) معناه: أن مدينة لوط تقع على طريق يسلكه الناس فينظرون الى آثارهم ويعتبرون بها ، وهي مدينة سدوم ، وقال قتادة : إن قرى لوط بين المدينة والشام ، وفيه عبرة ودلالة للمؤمنين الذين انتفعوا بتلك الآيات والدلالات (وإن كان اصحاب الأيكة لظالمين) وهم اهل الشجرة الذين أرسل اليهم شعيب (ع) ، وأرسل الى أهل مدين فأهلكوا

بالصيحة ، وأما اصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها فعاقبهم الله بالحر سبعة أيام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها فلما اجتمعوا تحتها ارسل الله منها صاعقة فأحرقتهم جميعاً (وإنهما لبإمام مبين) معناه وإن مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة على الطريق العام البيّن يؤمّه الناس ، وقيل: بمعنى حديث مدينتي لوط وشعيب احصيناه في كتاب محفوظ مبين . (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) الحجر اسم البلد الذي كان فيه ثمود ، أو اسم الوادي الذي يسكنونه ، وانهم بتكذيبهم صالحاً كذبوا جميع الرسل لأنه يدعو الى ما دعى اليه الرسل ، وقيل: بعث الله اليهم رسلاً منهم صالحاً (وآتيناهم آياتنا) الدالة على صدق الأنبياء (ع) فأعرضوا عن التفكر بتلك الآيات والإستدلال بها وكان قوم صالح من قوة الأجسام بحيث ينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها آمنين من خرابها ، وقيل: آمنين من الموت لطول أعمارهم ، فأهلكوا بالصيحة في الصباح فلم يدفع العذاب عنهم قوتهم وبيوتهم وطول اعمارهم (وما كانوا يكسبون) من الأموال والأولاد .

قوله تعالى :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾

(وما خلقنا السموات والأرض . . . .) معناه:ما خلقناهما عبثاً بل بما تقتضيه الحكمة . (وإن الساعة لآتية) وهي يوم القيامة بلا شك ، وفيها يجازي الخلائق كلهم فأعرض يا محمّد عن مجازات المشركين واعف عفواً جميلاً ، حكي عن علي (ع) أن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب ، وقيل:هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ ، إن ربك عليم بتدبير خلقه لا يخفى عليه ما يجري بينكم . قيل:ان الآية منسوخة بآية القتال ، وقيل:لا نسخ فيها بل هي فيما بين النبي (ص) وبينهم ، لا فيما أمر به من الجهاد .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ثم ذكر سبحانه ما خصّ به نبيه محمّداً (ص) من النعم فقال (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) والسبع المثاني:هي سورة الفاتحة،كما هو مروي عن علي وآل البيت (ع) وجملة من الصحابة ، وقيل:هي السبع الطوال من أول القرآن ، وقيل المراد بالمثاني كل القرآن ،ومَن فسرها بالفاتحة ذكر في سبب تسميتها بالمثاني وجوهاً ، منها:لأنها تثنّى قراءتها في كل صلاة ، وقيل:لأن فيها الثناء على الله مرتين الرحمن الرحيم . وقيل غير ذلك (والقرآن العظيم) تقديره وآتيناك القرآن العظيم (لا تمدّنّ عينيك الى . . .) أي لا ترفعنّ عينيك لما عند هؤلاء الكفار من الأموال والأولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا ، فانها في معرض الزوال والفناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء (ولا تحزن عليهم) على كفار قريش لأنهم لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب ،أو لما يصيرون اليه من عذاب النار بكفرهم (واخفض جناحك للمؤمنين) أي ألِن جانبك لهم وارفق بهم وتواضع للمؤمنين وقل إني أنا المعلّم النذير المبين لكم ما تحتاجون اليه (كما أنزلنا على المقتسمين) أي إنا انزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى لأنهم اقتسموا كتب

الله تعالىٰ فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها (الذين جعلوا القرآن عِضين) أي فرّقوه وجعلوه أعضاءً كأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وقيل: في معناه أني أنذركم عذاباً كما أنزلنا علىٰ المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله (ص) وعن الايمان به . قال مقاتل : وكانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد ابن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتىٰ مكة لا تغتروا بالخارج منها المدعي النبوة . فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شرّ ميتة ، ثم وصفهم الذين جعلوا القرآن عضين أي جزّؤوه أجزاءً فقالوا سحر ، وقالوا أساطير الأولين ، وقالوا مفترىٰ . . .

قوله تعالىٰ :

فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

لما بيّن سبحانه كفر المشركين بالقرآن ، بيّن عقب ذلك لنبيه (ص) أنه سبحانه يسألهم عمّا فعلوه ويجازيهم عليه (فوربك) يا محمّد اقسم الله بنفسه وأضاف نفسه الىٰ نبيه (ص) تشريفاً له وتنبيهاً للخلق علىٰ عظيم منزلة الرسول عند الله ، لنسألن هؤلاء الكفار لم عصيتم وما حجّتكم في ذلك ؟ (فاصدع بما تؤمر) أي أظهر وأعلن وصرح بما أمرت به غير خائف (وأعرض عن المشركين) أي لا تخاصمهم إلىٰ أن تؤمر بقتالهم أو بمعنىٰ لا تلتفت اليهم وأعرض عن مجاوبتهم إذ

آذوك (إنا كفيناك المستهزئين) واستهزاءهم بأن اهلكناهم وكانوا خمسة نفر من قريش : العاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، وأبو زمعة الأسود بن المطلب ، والأسود بن يغوث ، والحرث بن قيس . وقيل:سادسهم الحارث بن الطلاطلة وأمه عيطة ، ولهلاكهم قصة مذكورة . ثم توعّد المشركين الذين اتخذوا معه إلهاً يعبدونه ، (ولقد نعلم انك) يا محمّد (يضيق صدرك) أي قلبك (بما يقولون) من تكذيبك والإستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) قل سبحان الله وبحمده (وكن مع الساجدين) المصلّين وكان رسول الله (ص) إذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة. (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) الموت ، وسمّي الموت يقيناً لأنه موقن به أي اعبد ربك وأقم العبادة أبداً ما دمت حياً .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمت ولله الحمد سورة الحجر وتفسيرها

سورة النحل

اربعون آية من أولها مكية والباقي من قوله «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا» الى آخر السورة مدنية . وقيل غير ذلك في مكيها ومدنيها . ومجموع آياتها مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

(أتى أمر الله) أي قرب أمر الله بعقاب هؤلاء المشركين المصرّين على الكفر والتكذيب . وروي أن المشركين قالوا للنبي (ص) ائتنا بعذاب الله فقال سبحانه إن أمر الله آت وكل ما هو آت دان . وقيل:أمر الله أحكامه وفرائضه ، وقيل هو يوم القيامة (فلا تستعجلوه) أيها المشركين المكذبين (ينزل الملائكة بالروح من أمره) أي بالوحي ، وقيل:بالقرآن (على مَن يشاء من عباده) ممّن صلح للنبوة ، وأن الملائكة تنزل بأن أنذروا اهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا:أي مروهم بالتوحيد وبأن لا يشركوا ، واتقوا مخالفتي .

قوله تعالى :

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ

الإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا
لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

لما تقدم ذكر بعث الملائكة للإنذار وبيان التوحيد وشرايع الإسلام ، اتبعه سبحانه بالإحتجاج على الخلق بالخلق ، وتعداد صنوف الأنعام ، وأنه خلق السماوات والأرض يستدل بهما على معرفته وكمال قدرته وحكمته (تعالى عمّا يشركون) أي تقدس عن أن يكون له شريك (خلق الإنسان من نطفة) والنطفة الماء القليل غير أنه صار بالتعارف إسماً لماء الفحل ، وأنه سبحانه خلق الإنسان من نطفة مهينة دبّرها سبحانه وصورها حتى صارت انساناً يخاصم عن نفسه ويبين عمّا في ضميره ، وخصيم بمعنى: مجادل بالباطل ، وخلق الانعام من الماء كما خلقكم . واكثر ما يتناول الانعام الابل ، ويتناول البقر والغنم أيضاً ، وفي اللغة: هي ذوات الأخفاف والأظلاف دون ذوات الحوافر (لكم فيها دفء) لباس تستدفئون به من صوفها ووبرها وشعرها ، ولكم فيها منافع أُخر من الحمل والركوب وحرث الأرض والزرع والنسل (ومنها تأكلون) اللحوم (ولكم فيها جمال) منظر وزينة حين تردونها الى مراحها وحين ترسلونها الى مراعيها ، وتحمل الأبل والبقر احمالكم الثقيلة الى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تبلغوه إلا بكلفة ومشقة لولا أن الله سخر هذه الانعام لكم .

قوله تعالىٰ :

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ
تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ
وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

عطف سبحانه علىٰ ما عدد من صنوف انعامه فقال: (والخيل) أي وخلق الخيل و . و . . . لتركبوها ، ولتتزينوا بها ، وليس في هذا ما يدل علىٰ تحريم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير ، وقد روىٰ البخاري في الصحيح مرفوعاً الىٰ اسماء بنت أبي بكر قالت اكلنا لحم فرس على عهد رسول الله (ص) .

(ويخلق ما لا تعلمون) من أنواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم (وعلىٰ الله قصد السبيل) ومعناه واجب علىٰ الله في عدله بيان الطريق المستقيم ، وهو بيان الهدىٰ من الضلال ، والحرام من الحلال (ومنها جائر) أي حائد عن

الحق (ولو شاء لهداكم اجمعين) بالجبر والاكراه فإنه سبحانه قادر على ذلك ، ولكنه سبحانه ارشدهم ودعاهم الى الهدى وبيّن لهم الضلالة والردى ، وترك لهم اختيار السبيل الذي يبغونه ليستحق المحسن الثواب والمسيء العقاب . ثم ذكر سبحانه نعمة أُخرى دالة على وحدانيته فقال (هو الذي أنزل من السماء ماءً) وهو المطر شراب تشربونه وتشرب أشجاركم ، أو بمعنى ومنه ينبت شجر ونبات (فيه تسيمون) أي:ترعون انعامكم ، والسائمة:هي التي ترعى في المراعي العامة ويقابلها المعلوفة . (ينبت لكم به الزرع والزيتون . .) أي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء وفي ذلك دلالة وحجة (لقوم يتفكرون) في عظمة الله ومخلوقاته. (وسخر لكم الليل و . .) والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر ، لأن الليل هو حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر والنجوم وما فيها من منافع للخلق فلا بد أن يكون المدبر لذلك حكيماً عالماً قادراً (وما ذرأ لكم في الأرض) أي سخر لكم ما خلقه من الأرض من الملابس والمآكل والمساكن والنبات والمعادن إن في ذلك آية ودلالة (لقوم يذكرون) ويتفكرون في الأدلة فيعتبرون فيها .

قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ

هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾
وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

عدّد سبحانه نوعاً آخر من أنواع نعمه ، وأنه ذلل لكم البحر وسهل لكم ركوبه ، ولتصطادوا منه انواع السمك وتأكلوا لحمه (وتستخرجوا منه حلية) من اللآلي الأحجار الكريمة التي تستخرج بالغوص من البحر (تلبسونها) وتتزين بها نساؤكم وترى أيها الإنسان السفن تشق البحر وتجري فيه (ولتبتغوا من فضله) أي لتركبوه للتجارة وطلب فضل الله تعالى ، ولكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها ويثيبكم عليها (وألقى في الأرض رواسي) أي جبالاً عالية وثابتة لئلا تتحرك الأرض بكم ، وجعل في الأرض انهاراً (وسبلاً) أي طرقاً تهتدون بها الى حيث تريدون من البلاد (وعلامات) أي وجعل لكم علامات ومعالم للطرق من الجبال وغيرها (وبالنجم هم يهتدون) ليلاً ، وقيل: اراد بالاهتداء الى القبلة .

قال ابن عباس: سألت رسول الله (ص) عنه فقال : الجدي علامة قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم . وقال ابو عبدالله (ع): نحن العلامات والنجم رسول الله (ص) .وقال(ص): إن الله جعل النجوم أماناً لأهل السماء وجعل اهل بيتي اماناً لأهل الأرض(أفمن يخلق كمن لا يخلق) أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة ؟ كالأصنام التي لا تخلق شيئاً ؟ كيف يسوّى بينهما (أفلا تذكرون) أيها المشركون وتعتبرون ، وإن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لم يمكنكم احصاؤها (إن الله غفور) لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها .

قوله تعالىٰ :

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

لما قدم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه وكمال قدرته ، عقّبه ببيان علمه بسريرة كل أحد وعلانيته ، وبيّن بطلان الاشراك في عبادته ، وأن الاصنام التي يدعوها المشركون لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مربوبة لأنها منحوتة من الحجر أو الخشب ومما هو من مخلوقات الله تعالىٰ وأن تلك الأصنام اموات غير أحياء لا بالسابق ولا في المستقبل ، ولا تشعر هذه الاصنام متى تبعث ، وقيل: أن الكفار في حكم الاموات ، ثم خاطب سبحانه عباده بأن (إلهكم إله واحد) لا يقدر على ما يستحق به العبادة غيره (فالذين لا يؤمنون بالأخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للحق (وهم مستكبرون) عن الطاعة للحق (لا جرم) أي حقاً وهو بمنزلة اليمين بأن هذا الأمر هو معلوم حقاً (إن الله يعلم ما يسرون . . .) .

قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٤)
لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ
يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ
ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ إِنَّ
ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٧) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَٱدْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا
فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

أبان سبحانه عن أحوال المشركين وأقوالهم ، وأنه إذا قيل لمشركي قريش (ماذا أنزل ربكم) على محمد (ص) قالوا أحاديث الأولين الكاذبة، وعاقبتهم أن

حملوا أوزار كفرهم تامة يوم القيامة ، ويحملون مع أوزارهم أوزار الذين أضلوهم عن سبيل الله وصدّوهم عن اتباع الحق ، وروي عن النبي (ص) أنه قال : ايّما داعٍ دعىٰ الىٰ الهدىٰ فاتبع فله مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أُجورهم شيئاً ، وأيّما داعٍ دعىٰ الىٰ ضلالة فاتبع عليه فإن عليه مثل أوزار مَن اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً (ألا ساء ما يزرون) أي بئس الحمل حملهم من الآثام (قد مكر الذين من قبلهم) أي من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم بتكذيبهم وايذائهم ، وفي ذلك تسلية لنبينا محمّد (ص) (فأتىٰ الله بنيانهم من القواعد) أي هدم ما بنوه لحرب الله وحرب رسله ، قال ابن عباس : يعني نمرود ابن كنعان حين بنىٰ صرحاً طويلاً ورام منه الصعود الىٰ السماء ليقاتل أهلها بزعمه فأرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر وخر عليهم الباقي ، وقيل:هو بخت نصر، وقيل:أن هذا مثلاً ضربه الله سبحانه لاستئصالهم ولا قاعدة هناك ولا سقف (فخر عليهم السقف من فوقهم) وقوله من فوقهم للتأكيد ، أو للتأكيد علىٰ انهم كانوا تحته وجاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا انهم علىٰ حق فكانوا لا يتوقعون العذاب ، ومع ذلك فإنه تعالىٰ يذلهم ويخزيهم يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد ويقول لهم الله توبيخاً لهم (أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تعادون المؤمنين ، ومن قرأ تشاقونِ بكسر النون يكون بمعنىٰ تعادونني فيهم (وقال الذين أُوتوا العلم) بالله تعالىٰ وبدينه وشرائعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة ، إن الخزي والهوان اليوم علىٰ الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده وصدق رسله ، الذين يقبض ملك الموت وأعوانه ارواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم باصرارهم على الكفر ، وحينها استسلموا للحق وانقادوا بوقت لا ينفعهم الانقياد والطاعة ،وبدؤا ينكرون اعمالهم (ما كنا نعمل من سوء) فكذبهم الله تعالىٰ وقال (بلىٰ) قد فعلتم (فلبئس مثوىٰ المتكبرين) أي بئس منزل المتكبرين عن قبول الحق .

قوله تعالىٰ :

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾
جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ
وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

لما قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه (ص) عقّبه بذكر أقوال المؤمنين وبيان أن الآخرة خير وأنها نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، وأن لهم في الجنان ما يشتهون من النعم (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) أي طيبي الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك ، أو طيبةً نفوسهم بالمصير اليه لعلمهم بما لهم عنده سبحانه من الثواب ، تقول الملائكة لهم (سلام عليكم) أي سلام لكم من كل سوء (ادخلوا الجنة بما كنتم

تعملون) قيل:أن قول الملائكة للمؤمنين عند خروجهم من قبورهم يبشرونهم بذلك ، ثم أخبر سبحانه أن الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحدوا التوحيد فأهلكهم الله بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك فأصابهم عقاب سيئاتهم وحل بهم جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) بالله ورسله .

قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

عاد سبحانه إلى حكاية أقوال المشركين ، وأنهم قالوا لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام ، وكذلك اباؤنا الذين اقتدينا بهم لو شاء لم يتركهم يعبدون الأصنام ، وكذلك لو أراد لصرفنا ومنعنا من أن نحرم البحيرة والسائبة وغيرهما بل كل شيء من الله وبمشيئته (كذلك فعل الذين من قبلهم) من الكفار وادعوا مثل دعوتهم ، وكذبوا الرسل وجحدوا بآيات الله ،وحينها ليس(على الرسل إلا البلاغ

المبين) وكما بعثناك يا محمّد(بعثنا في كل أمة رسولاً)، ودعوة جميع الرسل لقومهم (أن أعبدوا الله) واجتنبوا عبادة الطاغوت ، الذي هو الشيطان وكل داعٍ يدعو الى الضلال . (فمنهم) أي من الأمم ومن البشر الذين بعث اليهم الأنبياء مَن هداه الله وانتفع بما جاءته من الآيات والحجج (ومنهم مَن حقّت عليه الضلالة) حيث أعرض عن الرسل ، فانظروا كيف حقّت على المكذبين العقوبة ، فاجتنبوا مسلكهم لئلّا ينزل بكم ما نزل بهم من العذاب والمصير السيء ، ثم إنك يا محمّد لا تحزن على اصرار مَن أصرّ على ضلاله وانهماكه بالكفر وليس ذلك بتقصير منك في الدعوة وإنما بشقوتهم وعنادهم ، ثم أخبر سبحانه رسوله بأن هؤلاء لا يؤمنون أبداً بعد أن مرت عليهم الحجج والبراهين وبلغتهم الدعوة فلم يستجيبوا (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم ويخلصونهم من العقاب ، وليس في الآية معنى الجبر الذي يتوهمه المجبرة ، وانما هو إخبار عن اصرار ، القوم الكافرين .

قوله تعالى :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٠)

حكى سبحانه عن المشركين نوعاً آخر من كفرهم ، وأنهم يبالغون في الأيمان على عدم البعث والحشر والحساب ، وأنه يُحيي مَن يموت بعد موته

فكذبهم الله بذلك حيث قال « بلىٰ وعداً عليه حقاً » ذلك الوعد بالحشر واحياء الموتىٰ ليوم الحساب ولولا الحشر والبعث لما حسنت التكاليف ، وأنه سبحانه يحشر الخلائق يوم القيامة ليبيّن لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا ، وأن ذلك الحشر وبعث الأموات هيّن علىٰ الله لا يتعذر علىٰ عظيم قدرته شيء وأنه اذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

قوله تعالىٰ :

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

الآية الأُولىٰ نزلت في المعذبين بمكة من المؤمنين الأولين مثل صهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم ، وأن الله مكّنهم في المدينة المنورة ، وذكر أن صهيباً قال لأهل مكة أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم وإن كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي ودعوني ، فأعطاهم ماله وهاجر الىٰ رسول الله (ص) فقال له ابو بكر : ربح البيع يا صهيب . (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) أي الذين فارقوا أوطانهم وأهليهم فراراً بدينهم واتباعاً لنبيّهم في سبيل الله وابتغاءً

لمرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذبوهم بمكة (لنبوّئنّهم في الدنيا حسنةً) أي بلدة حسنة بدل أوطانهم التي أخرجوا منها ، أو هاجروا منها ، والبلدة الحسنة التي بوّأ الله المؤمنين بها هي المدينة المنورة ، وقيل:لنعطينهم حالة حسنة وهي النصر والفتح . (ولأجر الآخرة أكبر) مما أعطيناهم في الدنيا لو كان الكفار يعلمون ذلك.وقيل:لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لازدادوا حرصاً على الدين وتمسكاً به.(والذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وهم المهاجرون الذين صبروا على اذى المشركين ، وفوّضوا امرهم الى الله تعالى .

(وما أرسلنا من قبلك) يا محمّد من رسل الى الأمم الماضية (إلاّ رجالاً) من البشر ، لأن مشركي مكة كانوا ينكرون أن يُرسل اليهم بشر مثلهم ، فبيّن سبحانه أنه لا يصلح أن يكون الرسول الى البشر إلا إذا كان منهم يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون منه (فاسألوا أهل الذكر) وهم أهل العلم بأخبار من مضى من مؤمنين كانوا أو كفاراً ، وقيل:المراد بأهل الذكر أهل الكتاب أي فاسألوا أهل التوراة والإنجيل يا مشركي مكة فيخبروكم بأخبار الرسل وصفاتهم ، وقيل:المراد بأهل الذكر اهل القرآن ، وروى جابر ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال : نحن اهل الذكر . (بالبيّنات والزبر) أي انا ارسلنا رسلنا بالبيّنات والزبر وهي البراهين (وأنزلنا اليك) يا محمّد (الذكر) وهو القرآن (لتبيّن للناس ما نزل اليهم) في القرآن من الأحكام والشرايع والدلائل على توحيد الله (ولعلهم يتفكرون) في ذلك فيعلموا أنه الحق ، وفي ذلك دلالةٌ على أن الله اراد من البشر التفكر والنظر المؤدي الى المعرفة .

قوله تعالى :

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم

بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ
وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(أفأمن الذين مكروا السيئات) أي شيء آمن القوم الذين دبروا التدابير السيئة في توهين أمر النبي (ص) وإطفاء نور الدين وإيذاء المؤمنين أفامنوا (أن يخسف الله بهم الأرض) عقوبة لهم كما خسفها بقارون .

(أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) قال ابن عباس:يعني يوم بدر وذلك أنهم أُهلكوا يوم بدر وما كانوا يتوقعون ذلك ، أو يأخذهم العذاب في تصرفهم في أسفارهم وأعمالهم ، وتقلّبهم في كل الأحوال ، ولا يعجزون الله ولا يفوتونه عندما يريد إهلاكهم (أو يأخذهم علىٰ تخوّفٍ) ونقصهم بالقتل والموت ونقص اطرافهم ، أو بتخوفهم حين نزول العذاب علىٰ أهل قرية أُخرىٰ ، أو بنقص من الأموال والأنفس ، ومن رأفته ورحمته بكم أن أمهلكم لتتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالعقوبة . أولم ينظر هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالىٰ ، وكذبوا نبيّه (ص) الىٰ ما خلق الله من شيء من شجر وجبل يتفيئوا ظلاله عن جانب اليمين والشمال (وهم داخرون) أي اذلة صاغرون لله (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالىٰ وهذا من صفة الملائكة لأنه قال (يخافون ربهم

من فوقهم ويفعلون ما يؤ مـرون) وإنمـا قال من فوقهـم لأن المراد يخافـون عقاب ربهم ، واكثر ما يأتي العقاب المهلك من فوق ، أو بمعنى أن الله لما كان موصوفاً بأنه عالٍ متعالٍ قادر حسن أن يوصف بالعلو والارتفاع ، ومثله في المعنى قولـه « وهو القاهر فوق عباده » .

قوله تعالى :

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

لما بيّن سبحانه دلائل قدرته والهيته عقّبه بالتنبيه على وحدانيته ودعاهم أن لا تعبدوا مع الله الهاً آخر فتشركوا لأنه لا يستحق العبادة سواه فانهكم إله واحد لا إله غيره فارهبوا عقابي وسطوتي ولا تخشوا غيري ،وورد عن بعضهم أنه قال : نهاك ربك أن تتخذ الهين فاتخذت آلهة ، عبدت نفسك وهواك ودنياك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فأنى تكون موحداً . (وله الدين واصباً) أي وله الطاعة دائمةً واجبةً على الدوام ، أو وله الدين خالصاً أو وله الملك دائماً لا يزول (أفغير الله تتقون) وتخشون ، استفهام فيه توبيخ كيف تعبدون غيره وتتقونه ، وجميع ما بكم من نعم

من عند الله (ثم إذا مسّكم الضر) مثل المرض والشدة والبلاء وغير ذلك (فاليه تجئرون) أي ترفعون أصواتكم بالدعاء وتتضرعون وتستغيثون ، ثم إذا رفع ما حل بكم من الضر ودفع ما مسّكم من المرض والفقر (إذا فريق منكم بربهم يشركون) فيقابلون نعمه بالكفران والعصيان فتمتعوا أيها الكفار في الدنيا قليلاً واكفروا ما شاء لكم جهلكم وعنادكم فسوف تعلمون ما يحل بكم من العقاب الأليم .

قوله تعالى :

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

ذكر سبحانه فعلاً من أفعال المشركين (ويجعلون لما لا يعلمون) إنه يضر وينفع (نصيباً مما رزقناهم) لشركاء الله من الأصنام والأوثان يتقربون بذلك اليه (تا لله لتُسئلن) في الآخرة عمّا كنتم تكذبون في دار الدنيا . ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من جهالاتهم (ويجعلون لله البنات) وهو قولهم الملائكة بنات الله سبحانه ، وتنزيهاً له عن اتخاذ البنات، ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، ويحبون من البنين

الذكور دون الإناث ، وإذا أخبر احدهم بأنه ولد له بنت صار لون وجهه اسود من أثر الحزن وكراهة البنت ممتلىء غيظاً وحزناً ، ثم يستخفي من الناس الذين يسألونه عمّا وُلدَ له استنكافاً وخجلاً من البنت ، ويبقىٰ يتفكر في أمر البنت التي وُلدت له أيمسكها ويبقيها علىٰ ذل وهوان ، أم يُخفيها ويدفنها في التراب حيّةً وهو الوأد الذي كان من عادة العرب ، وكانوا يفعلون ذلك بدواع التكبر والجاهلية ، ومخافة الفقر عليهن فيطمع غير الاكفاء في الزواج بهنّ ، بئس الحكم حكمهم هذا ، مع مساواة البنت للولد ، ثم بيّن سبحانه أن لهؤلاء الكفار الذين وصفهم الله مثل السوء والقباحة بسواد الوجه والحزن الذي فرضوه علىٰ انفسهم اذا وُلدت لهم بنت ، ولله الصفة العليا من السلطان والقدرة والاستغناء عن الصاحبة والولد .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ
الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا
لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

أخبر سبحانه أنه لو كان يؤاخذ الكفار والعصاة بذنوبهم ويعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض احداً ممّن يستحق ذلك من العصاة. (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أي يمهلهم الى وقت معلوم وهو يوم القيامة ، وقيل: يؤخرهم الى وقت يعلم الله تعالى أنه لا يكون في بقائهم مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج من نسلهم مؤمن ، وإنما يؤخرهم تفضلاً منه سبحانه لعلهم يتوبوا أو لما في ذلك من مصلحة ، ثم حكى سبحانه عن الكفار ، وأنهم يجعلون لله ما يكرهون وهي البنات كذباً منهم على الله ويقولون (أن لهم الحسنى) وهم البنون حقاً أن لهم النار ، ثم أقسم سبحانه (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) يا محمّد (فزيّن لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والضلال وتكذيب الرسل فالشيطان وليّهم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه ، فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض ، وقيل: معناه وليهم يوم القيامة ، أي يكلهم الله تعالى الى الشيطان أياساً لهم من رحمة الله (ولهم عذاب أليم) أي للتابع والمتبوع (وما أنزلنا عليك) يا محمّد هذا القرآن إلا لتكشف لهم ما اختلفوا فيه من ادلة التوحيد والعدل ، وتبين لهم الحلال والحرام ، وأنزلناه لهداية الناس ودلالتهم على الحق ، ورحمةً بمَن يقبل الأدلة ويؤمن بها ، بالاضافة الى الأدلة الأُخرى من انزال الماء من السماء وما في ذلك من حياة للأرض وما عليها ، إن في ذلك لآية وحجّة ودلالة لقوم يصغون لأدلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها .

قوله تعالىٰ :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ
وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ
وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ
اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي
مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ
مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا
يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

عطف سبحانه علىٰ ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبدائع الحكمة بقوله (وإن لكم في الأنعام) يعني الإبل والبقر والغنم لعظة ودلالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ (نسقيكم مما في بطونه . . .) روىٰ الكلبي عن ابن عباس قال: إذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثاً واعلاه دماً ووسطه لبناً ، فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقىٰ الفرث كما هو ، فذلك قوله: من بين فرث ودم

(سائغاً للشاربين) أي مستساغاً في افواههم عندما يشربونه ، وفيها بيّن سبحانه لمَن ينكر البعث ، أن من قدر علىٰ إخراج لبن ابيض سائغ من بين الفرث والدم من غير أن يختلط بهما قادر علىٰ إخراج الموتىٰ من الأرض من غير أن يختلط شيء من ابدانهم بأبدان غيرهم ، وكذلك لكم عبرة فيما أخرج الله لكم من ثمرات النخيل والأعناب مما تتخذون منه سكراً ، أي ما أسكر من الشراب ،والرزق الحسن ما أحل مما يخرج منهما كالخل والزبيب ، والرطب والتمر ، وأنه سبحانه اخبر أنه خلق هذه الثمار ليتفعوا بها ، فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم (إن في ذلك لآية) أي دلالة ظاهرة (لقوم يعقلون) ويتفكرون في عظمة الله تعالىٰ ، (وأوحىٰ ربك الىٰ النحل) أي ألهمها ، أو جعل ذلك في غرائزها ، قال أبو عبيدة :

الوحي في كلام العرب علىٰ وجوه : منها وحي النبوة ، ومنها الإلهام ، ومنها الاشارة ، ومنها الكتاب ، ومنها الإسرار ، والمعنىٰ هنا:أن الله تعالىٰ الهم النحل اتخاذ المنازل والأوكار في الجبال والشجر للعسل ، ولا يقدر علىٰ مثلها أحد . (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه) وهو العسل لأن منه ما هو شديد البياض ، ومنه ما هو أصفر ، ومنه ما يضرب الىٰ الحمرة ، لأن النحل تتناول الواناً مختلفةً من النبات والزهر فيجعلها الله تعالىٰ عسلاً علىٰ الوان مختلفة إلا أنها تلقيه من افواهها كالريق (فيه شفاء للناس) من كثير من الأمراض وان فيما ذكر من بدائع صنع الله تعالىٰ دلالةً بينةً لمن تفكر فيه .

ثم بيّن سبحانه انه خلق الخلق وأنعم عليهم بضروب النعم الدينية والدنيوية ثم يميتهم ويقبضهم (ومنهم من يُردُّ الىٰ أرذل العمر) أي أدون العمر حين يصير الىٰ الهرم والخرف ، فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله حتى يرجع الى حال كحال الطفولة بنسيان ما كان علمه ، ويقل علمه بخلاف ما كان عليه ايام شبابه (إن الله عليم) بمصالح عباده (قدير) علىٰ ما يشاء من تدبيرهم .

قوله تعالىٰ :

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

(والله فضّل . . .) فوسّع علىٰ واحد،وقتّر علىٰ آخر بما تقتضيه الحكمة (فما الذين فُضّلوا برادّي رزقهم . . .) أي إنهم لا يشركون عبيدهم في اموالهم وأزواجهم ويرون ذلك نقصاً لا يرضونه لأنفسهم ، فاذا لم ترضوا أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم ، فكيف جعلتم عيسىٰ إلهاً مع الله وهو عبده ، قيل:أنها نزلت في نصارىٰ نجران .

والثاني من الوجوه في المسألة : أن معناه فهؤلاء الذين فضّلهم الله في الرزق من الأحرار لا يرزقون مماليكهم ، بل الله تعالىٰ رازق الجميع (والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً) أي جعل لكم من جنسكم لتسكنوا اليهنّ وتأنسوا بهنّ ،

ورزقكم من هؤلاء الأزواج بنين تسرون بهم (وحفدةً) وهم خدم الرجل وأعوانه . وقيل:هم البنون وبنو البنين ، وقيل غير ذلك (أفبالباطل يؤمنون) أي بالأوثان والأصنام وزينة الشيطان يصدقون (وبنعمة الله هم يكفرون) ونعمة الله التوحيد والقرآن ورسول الله (ص) (فلا تضربوا لله الأمثال) أي لا تجعلوا لله الأشباه والأمثال في العبادة فإنه لا شبيه له ، ولا يستحق العبادة غيره .

قوله تعالى :

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ ۙ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

بيّن سبحانه مثلاً تقريباً للخطاب الى أفهام المشركين (ومَن رزقناه منّا رزقاً حسناً) أي لا يستوون عبداً مملوكاً لايقدر من امره على شيء ، وحراً رزقناه وملكناه مالاً ونعمة فهو ينفق من ذلك المال سراً وجهراً لا يخاف من أحد (هل يستوون) فكيف تسوون بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز وجل

القادر على كل شيء الرازق لجميع خلقه ، وقيل:هذا المثل للكافر والمؤمن فإن الكافر لا خير عنده ، والمؤمن يكسب الخير (الحمد لله) قولوا الحمد لله الذي دلّنا على توحيده ومعرفته وهدانا الى شكر نعمه وأوضح لنا السبيل الى جنّته (بل أكثرهم لا يعلمون) أي أن المشركين لا يعلمون أن الحمد وجميع النعم لله تعالى (وضرب الله مثلاً رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شيء) الأبكم الذي يولد أخرس لا يفهَم ولا يُفهم ، وقيل:الأبكم الذي لا يمكنه أن يتكلم ، والكل : الثقل يقال كلّ عن الأمر ، وهو وبال على وليه الذي يتولى أمره ولا منفعة لمولاه.فيه أينما يرسله لا يرجع بخير، ولا يهتدي إلى منفعة، هل يستوي هذا الأبكم مع من هو صحيح فصيح يأمر بالعدل والحق وهو على دين قويم وطريق مستقيم ، وهو مثل للكافر والمؤمن ، وقيل غير ذلك في تفسيره (ولله غيب السماوات والأرض) أي أنه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلائق (وما أمر الساعة) في قدرته سبحانه إلا كطرف العين أو كرد البصر ، ولا يتعذر عليه شيء .

قوله تعالى :

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم
مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

عدّد سبحانه نعماً له أخرىٰ (والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) من منافعكم ومضاركم في تلك الحال ، وتفضّل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طرق الىٰ العلم ، وتفضّل عليكم بالقلوب التي تفقهون بها الأشياء لكي تشكروه علىٰ ذلك وتحمدوه (ألم تروا) أي ألم تفكروا وتنظروا الىٰ الطير كيف خلقها الله خلقة يمكنها معها التصرف في جو السماء صاعدةً ومنحدرةً وآتيةً وذاهبة بأجنحتها تطير من غير أن تعتمد علىٰ شيء يمسكها من السقوط علىٰ الأرض إلا الله (إن في ذلك لآيات) دلالات علىٰ وحدانية الله تعالىٰ وقدرته (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) تسكنون فيها (وجعل لكم من جلود الأنعام) خياماً وبيوتاً يخف عليكم حملها في اسفاركم (ويوم اقامتكم) اليوم الذي تنزلون موضعاً تقيمون فيه (ومن اصوافها) أي الضأن (وأوبارها) الأبل (وأشعارها) المعز (اثاثاً) من بسط وثياب وكسوة (ومتاعاً الىٰ حين) من المعايش والمتاجر إلىٰ يوم القيامة ، وقيل: إلىٰ وقت الموت وفيها اشارة الىٰ أن هذه الأشياء فانية فلا ينبغي للعاقل أن يختارها علىٰ نعيم الآخرة الباقي الدائم .

قوله تعالىٰ :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا
وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ
يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾
وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٨٤ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٥﴾

عدّد سبحانه نعماً أخرىٰ أضافها إلىٰ ما عدده قبل من نعمه ، ومنها ما تستظلّون به من الحر من الأشجار والأبنية (وجعل لكم من الجبال أكناناً) تستكنّون بها وتأوون اليها وهي كهوف الجبال ومغاراتها (وجعل لكم سرابيل) تلبسونها (تقيكم الحر) لأن الذين خوطبوا بذلك اهل حرّ في بلادهم فحاجتهم الى ما يقيهم الحرّ أكثر، بالاضافة الى أن ما يقي من الحرّ يقي من البرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) وهي دروع الحديد تقي من الطعن والضرب وتحفظكم من بأس بعضكم علىٰ بعض (لعلكم تسلمون) يا أهل مكة وتصدقوا رسله بعد ادراك نعم الله عليكم (فإن تولوا) وأعرضوا عن الايمان بك يا محمّد وبما جاء بهذه السورة من الآيات والبراهين فلا لوم عليك فإنّما عليك البلاغ الظاهر وان الكفار (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) أي ينكرون نعم الله وينسبونها الىٰ الأوثان ويقولون رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا ، ويعرفون أن محمّداً رسول الله ، وهو من نعم الله عليهم وعلى البشرية ثم يكذبونه . (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) وذلك يوم القيامة ، وأنه سبحانه يبعث في ذلك اليوم من كل أمة شهيداً من الأنبياء والصلحاء يشهدون على الناس بأعمالهم ، وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه لأن ذلك أهول في النفس وأعظم في تصور الحال والفضيحة مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله ، وفي ذلك زجر عن المعاصي . (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الكلام والإعتذار ، وقيل: لا يؤذن لهم بالرجوع الىٰ الدنيا ولا يسمع منهم عذر (ولا هم يستعتبون) أي لا يسترضون ولا يسألون أن يُرضوا الله بالكف عن معاصيه (ولا هم يُنظرون) أي لا يمهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات .

قوله تعالى :

وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا
الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ
﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَٰهُمْ
عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ
نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي
الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

بيّن سبحانه حال المشركين يوم القيامة ، والمحاورة بين الأصنام والشياطين الذين أشركوهم مع الله في العبادة ، ويصور القرآن الموقف المحرج الذي يصطدم به المشركون مع مَن أشركوهم مع الله في العبادة . (قالوا ربنا هؤلاء

شركاؤنا . . .) يصور القرآن الكريم تنصّل الأصنام وتبرأها من دعوى المشركين عليها (فألقوا اليهم القول إنكم لكاذبون) أيها المشركون بإلقاء تبعة شرككم علينا بل أنتم اخترتم الضلال والشرك بسوء إختياركم ، وحينها يستسلم المشركون (وألقوا الى الله يومئذٍ السّلم) وانقادوا لحكم الله تعالى فيهم ، واعترفوا بما كانوا ينكرونه من وجود الله وتوحيده ، وكذلك بقية افعالهم التي قاموا بها ، ومنها الصد عن سبيل الله وعن اتباع الحق ، وقيل: صدهم المسلمين عن البيت الحرام فينالوا العَذاب مضاعفاً . (وضل عنهمْ ما كانوا يفترون) أي بطل ما كانوا يأملونه من الأماني الكاذبة من أن آلهتهم تشفع لهم وتنفعهم . . (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً) أي عذبناهم على صدهم عن دين الله زيادةً على عذاب الكفر (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من انفسهم) أي من امثالهم من البشر ويجوز أن يكون ذلك الشهيد نبيهم الذي أُرسل اليهم ، ويجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي ، وفي هذا دلالةً على أن كل عصر لا يخلو ممّن يكون قوله حجّة على أهل عصره (وجئنا بك) يا محمّد (شهيداً على هؤلاء) أي على قومك وأُمتك (إن الله يأمر بالعدل) وهو الإنصاف والتعامل بلا ميلٍ ولا عوجٍ (والإحسان) الى الناس ولفظ الإحسان جامع لكل خير (وايتاء ذي القربى) حقهم وصلتهم،وقيل: المراد بذي القربى هم قرابة النبي (ص) كما هو في آية الخمس وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال : نحن هم . (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) قيل فيه معان كثيرة وكلها تلتقي على صعيدٍ واحدٍ (يعظكم) بما تضمّنت هذه الآية (لعلكم تذكرون) قال عبدالله بن مسعود: هذه الآية اجمع آية في كتاب الله للخير والشر . وعن عكرمة قال : إن النبي (ص) قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة،فقال: يا ابن أخي أعد فأعاد ، فقال إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن اعلاه لمثمر ، وإن اسفله لمغدق ، وما هو قول بشر . يعني بذلك القرآن .

قوله تعالىٰ :

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا
تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا
يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ
دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

قال المفسرون : العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله ، وقد نهىٰ سبحانه عن نكث الأيمان وارتكاب ما يخالف عقدها ، خاصة بعد توكيدها وتشديدها باسم الله (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) أي كفيلاً عليكم بالوفاء وذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف (إن الله يعلم ما تفعلون) من نقض العهد والوفاء به ، وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا النبي (ص) علىٰ الإسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنّكم قلة المسلمين وكثرة

المشركين على نقض البيعة ، فإن الله حافظكم (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي لا تكونوا كالامرأة التي غزلت ثم نقضت غزلها ، وهي امرأة حمقاء من قريش معروفة كانت تغزل مع جواريها الى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها ، وكانت تسمى خرقاء مكة .

(تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) أي خيانة ومكراً (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي لا تنقضوا العهد بسبب أن يكون قوم أكثر من قوم وأمة أعلى من أمة بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم . (إنما يبلوكم الله به) أي انما يختبركم الله بالأمر بالوفاء والهاء في (به) عائدة على الأمر أي يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء منه بحسب العمل منكم (ولو شاء لجعلكم أمة واحدة) أي لجعلكم مهتدين ، والمشيئة بمعنى القدرة (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان ، أو بالحكم عليه بالضلال (ويهدي من يشاء) بالتوفيق وبالحكم عليه بالهداية ، وقد تقدم ذكر معنى الضلال والهدى في سورة البقرة . (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) نهى سبحانه عن الحلف على أمر يكون باطنه بخلاف ظاهره ، ويبيت فيه المرء حنث يمينه (فتزل قدم بعد ثبوتها) هذا مثل ضربه الله تعالى ، ومعناه فتضلوا عن الرشد بعد أن تكونوا على هدى (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) أي تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله تعالى (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم) وهو عذاب الآخرة وروي عن أبي عبدالله (ع) أنه قال:نزلت هذه الآيات في ولاية علي (ع) وما كان من قول رسول الله (ص): سلّموا على عليّ بأمرة المؤمنين .

قوله تعالى :

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ
وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ
حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾
فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ
لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

قال ابن عباس : إن رجلاً من حضرموت يقال له عبدان الأشرع ، قال : يا رسول الله إن إمرىء القيس الكندي حاورني في ارضي فاقتطع من ارضي فذهب بها مني والقوم يعلمون إني لصادق ولكنه أكرم عليهم مني ، فسأل رسول الله (ص) إمرىء القيس عنه فقال: لا أدري ما يقول، فأمره أن يحلف، فقال عبدان: إنه فاجر لا يبالي أن يحلف ، فقال: إن لم يكن لك شهود فخذ بيمينه ، فلما قام ليحلف أنظره ، فانصرفا فنزل قوله تعالى «ولا تشتروا بعهد الله . . . » الآيتان فلما قرأهما رسول الله (ص) قال امرؤ القيس أما ما عندي فينفد وهو صادق فيما يقول لقد اقتطعت ارضه ولم أدر كَمْ هي فليأخذ من ارضي ما يشاء ومثلها معها بما أكلت من ثمرها ، فنزل فيه (مَن عمل صالحاً . . .) الآية (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) أي لا تخالفوا عهد الله بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا، وأن الذي

عند الله من الثواب على الوفاء بالعهود خير لكم واشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا بنقض العهد (إن كنتم تعلمون) الفرق بين الخير والشر ، ثم بيّن سبحانه أن العلة التي لأجلها كان الثواب خيراً من متاع الدنيا هو أن الثواب الذي عند الله يبقى ، والذي عندكم من نعيم الدنيا يفنى ، وأن الله سيكافىء الصابرين الذين ثبتوا على الطاعات والوفاء بالعهود (بأحسن ما كانوا يعملون) لأن افعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحاً لا جزاء عليها ولا حمد ، وعليه فإن الطاعة أحسن من المباح وهذا يدل على فساد قول مَن يقول: أن لا يكون حسن أحسن من حسن . ثم وعد سبحانه مَن عمل صالحاً وهو مؤمن مصدق بتوحيد الله ومقر برسله (فلنحيينه حياةً طيبةً) من الرزق الحلال ، وقيل: الحياة الطيبة القناعة والرضا بما قسم الله تعالى ، وقيل: الحياة الطيبة هي الجنة ، أو طيب المقام في القبر (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) المطرود الملعون أي استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم من الزلل والتأويلات الباطلة ، والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارجها (إنه)أي الشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط وقدرة (على الذين آمنوا) بالله ، ولا يقدر على أن يكرههم على الكفر والمعاصي ، وليس له حجّة بذلك ، إنما تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه ويتبعون إغواءه ، وعلى الذين يشركون بالله في العبادة .

قوله تعالى :

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ
مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ
وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا
يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

(وإذا بدلنا آية مكان آية)أي نسخنا آية مكانها أخرى، أما نسخ الحكم والتلاوة وأما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، والله أعلم فينزل كل وقت ما توجبه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الأوقات كما تختلف باختلاف الأجناس والصفات (قالوا إنما أنت مفتر) أي قال المشركون أنت كاذب على الله ، قال ابن عباس : كانوا يقولون يسخر محمّد بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغداً يأمرهم بأمر وانه لكاذب يأتيهم بما يقول من عند نفسه . وأكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أنه من عند الله ، ولا يعلمون جواز النسخ وسببه (قل) يا محمّد (نزله روح القدس) أي انزل الناسخ جبرائيل (ع) (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يُعلّمه بشر) يقول الكفار أن القرآن ليس من عند الله وانما يُعلم النبي بشر ، قال ابن عباس:قالت قريش إنما يعلمه بلعام ، وكان بمكة رومياً نصرانياً ، وقال الضحاك:اراد به سلمان الفارسي قالوا أنه يتعلم القصص منه ، وقال مجاهد وقتادة:أرادوا به عبداً لبني الحضرمي رومياً يقال له يعيش أو عائش صاحب كتاب أسلم وحسن إسلامه ، وقيل غير ذلك . إلا أن الله ألزم المشركين الحجة وكذب دعواهم إذ قال عز اسمه (لسان الذين يلحدون اليه أعجمي) أي لغة الذين يميلون اليه من هؤلاء الذين تتهمون النبي بالأخذ والتعلم منهم هؤلاء لسانهم أعجمي غير عربي والأعجمي هو الذي لا

يفصح (وهذا) أي القرآن (لسانٌ عربيٌ مبينٌ) أي ظاهر ، وإذا كانت العرب تعجز عن الإتيان بمثله وهو بلغتهم فكيف يأتي الأعجمي بمثله (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي بحجج الله التي أظهرها (لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم) أي لا يثبتهم على الايمان لأنهم مفترون كذابون ، وفي الآية زجر عن الكذب حيث اخبر سبحانه أنه انما يفتري الكذب مَن لا يؤمن ، وقد روي أنه قيل: يا رسول الله المؤمن يزني ؟ قال: قد يكون ذلك ، قيل: يا رسول الله المؤمن يسرق ؟ قال: قد يكون ذلك ، قيل: يا رسول الله المؤمن يكذب ؟ قال لا ، ثم قرأ هذه الآية .

قوله تعالى :

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْأٓخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْأٓخِرَةِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

قيل: نزل قوله (إلا مَن اكره وقلبه مطمئن بالايمان) في جماعة من المؤمنين الأولين وهم عمار وياسر أبوه وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب عُذبوا وقُتل ياسر وسمية ، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ، ثم أخبر سبحانه بذلك رسول الله (ص) فقال قوم كفر عمار ، فقال (ص): كلّا إن عمار مليء إيماناً من قرنه إلىٰ قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه . وجاء عمار إلىٰ رسول الله (ص) وهو يبكي، فقال (ص) ما وراءك ؟ فقال : شر يا رسول الله ما تُركت حتىٰ نلت منك وذكرت آلهتهم بخير ، فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه ويقول : إن عادوا لك فعد لهم بما قلت ، فنزلت الآية ، وقيل: نزلت في آخرين . (إلا مَن اكره) فتكلّم بكلمة الكفر على وجه التقية مكرهاً وقلبه ثابت علىٰ الايمان فلا حرج عليه من ذلك ، بخلاف مَن وسع قلبه الكفر وانشرح صدره به (فعليه غضب من الله) . (لا جَرَم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) المغبونون إذ حرموا الجنة ونعيمها (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا) أي عُذبوا في الله وأرتدوا على الكفر فأعطوا الكفار ما أرادوا منهم ليسلموا من شرهم (ثم جاهدوا) مع النبي (ص) (وصبروا) علىٰ الجهاد والدين (إن ربك من بعدها) أي من بعد الفتنة ، أو من بعد تلك الفعلة والتفوّه بكلمة الكفر باللسان فقط (لغفور رحيم) لعباده المؤمنين الثابتة قلوبهم علىٰ الايمان .

قوله تعالىٰ :

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ

فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾
وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ
وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ذكر سبحانه يوم القيامة وما يجري فيه من المخاصمة والمحاججة ودفاع كل نفس عن نفسها وفي ذلك اليوم (توفّى كل نفس ما عملت) من خير أو شر (وهم لا يظلمون) فيما يجزون (وضرب الله مثلاً قرية) قيل: إن هذه القرية هي مكة وذلك حين دعى النبي (ص) عليهم فقال : اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسنين يوسف . وقيل: انها قرية كانت قبل نبينا (ص) بعث الله اليهم نبياً فكفروا بذلك النبي وقتلوه فعذبهم الله بعذاب الإستئصال (ولقد جاءهم رسول منهم) يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولاً من صميمهم ليتّبعوه لا من غيرهم فكذبوه وجحدوا نبوته (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) مستحقون للعذاب ، وحل بهم من الجوع والخوف وما نالهم يوم بدر وغيره ثم خاطب سبحانه المؤمنين (فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) من الغنائم ، وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة آية ١٧٢ .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

لما تقدم ذكر ما أحله الله سبحانه لهم وما حرمه عليهم عقّبه بالنهي عن مخالفة أوامره ونواهيه في التحليل والتحريم،فقال:(ولا تقولوا . . .) أي لا تقولوا لما حللتموه بأنفسكم مثل الميتة هذا حلال ، ولما حرمتموه مثل السائبة هذا حرام لتكذبوا في نسبة التحريم والتحليل اليه ، وأن اُولئك الذين يفترون علىٰ الله ليس لهم نفع من كذبهم إلا متاع قليل ينتفعون به في أيام قليلة (ولهم عذاب اليم) في الأخرة (وعلىٰ الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الأنعام بقوله تعالىٰ (وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر . . .) (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالعصيان والكفر

وجحد الرسل ، واستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم (ثم إن ربك) يا محمّد (للذين عملوا السوء بجهالة) أي بداعي الجهل فانهم يجهلون عواقب السوء (ثم تابوا) عن تلك المعاصي وأصلحوا نياتهم وأفعالهم إن ربك لغفور رحيم .

قوله تعالى :

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

يقال للرجل العالم أُمة ، وقيل:أراد أنه إمام هدىً، أو لأنه قام بعمل أُمته وقيل لأنه انفرد في زمنه بالتوحيد فكان مؤمناً وحده والناس كفار (قانتاً لله) مطيعاً له دائماً في عبادته (حنيفاً) مستقيماً على الطاعة (اجتباه) الله واختاره ودلّه الى الدين القيّم (وآتيناه) أي اعطيناه في الدنيا حسنة ونعمة سابغة في نفسه وأولاده وهي النبوة والصلاة عليه وآله ، وقيل:اجابه الله دعوته حتى أكرم بالنبوة في ذريته . (ثم أوحينا اليك) يا محمّد (أن اتبع ملة ابراهيم) وأمرناك أن تكون (حنيفاً) أي

مستقيم الطريقة في الدعاء لتوحيد الله وخلع الأنداد له والعمل بسنة ابراهيم (ع) (وما كان) ابراهيم (من المشركين). (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي انما جعل السبت لعنة ومسخاً على الذين اختلفوا فيه فحرموه ثم استحلّوه فلعنهم الله ومسخهم، ويجوز أن يكون اختلافهم فيه أنهم نُهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت وأخذوه يوم الأحد، وقيل اختلافهم في تعظيم يوم السبت وكانوا أُمروا بتعظيم يوم الجمعة، وقيل: الإختلاف وقع بين اليهود والنصارى، قال بعضهم السبت أعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون بل الأحد أعظم لأنه ابتدأ فيه بخلق الأشياء.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى:

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

امر سبحانه نبيّه أن ادع الى دين ربك وإلى طريق مرضاته (بالحكمة) بالقرآن وسمّي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح

(والموعظة الحسنة) علىٰ وجه الترغيب في ترك القبيح والتزهيد في فعله ، وفي ذلك تليين للقلوب بما يوجب الخشوع ، وناظرهم بالقرآن وبأحسن ما عندك من الحجج . وقيل:جادلهم علىٰ قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس علىٰ قدر عقولهم . (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) قيل:أن المشركين لما مثّلوا بقتلى أُحد وبحمزة بن عبدالمطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبه كبده فجعلت تلوكه ، وجدعوا أنفه وأُذنه وقطعوا مذاكيره .

قال المسلمون : لئن أمكننا الله منهم لنمثّلن بالأحياء فضلاً عن الأموات ، فنزلت الآية ، وقيل:ان الآية نزلت عامة في كل ظلم . (ولئن صبرتم) أي تركتم المكافاة والقصاص وجرعتم مرارته فالصبر خير وأنفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب (واصبر) يا محمّد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الأذى (وما صبرك إلا بالله) اي وليس صبرك إلا بتوفيق الله وتيسيره ، ولا تحزن على المشركين في اعراضهم عنك فإنه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتاب عليك من إعراضهم فقد بلغت ما أُمرت به وقضيت ما عليك ، وقيل:معناه ولا تحزن على قتلى أُحد فإن الله تعالى قد نقلهم الى ثوابه وكرامته (ولا تك في ضيق مما يمكرون) فإن الله سبحانه يرد كيد المشركين في نحورهم ويحفظكم من شرورهم (إن الله مع الذين اتقوا) الشرك والفواحش والكبائر واتقوا ما حرم الله عليهم وأحسنوا فيما فرض الله عليهم .

تمت سورة النحل ولله الحمد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الخامس عشر
من القرآن الكريم

سورة الاسراء

مكية كلها ، وقيل: إلا خمس آيات من
قوله (ولا تقتلوا النفس ....) وقيل
إلا ثمان آيات(وإن كادوا ليفتنونك ...
الى قوله.وقل رب أدخلني مدخل صدق).

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)
وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ
دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)

نزلت الآية في إسراء رسول الله محمّد بن عبدالله (ص) وكان ذلك بمكة صلّى المغرب في المسجد الحرام ثم أسري به في ليلته ثم رجع فصلّى الصبح في المسجد الحرام ، وقد أسري به الى المسجد الأقصى بيت المقدس وقد صرح به القرآن الكريم ، وما قاله بعضهم أن ذلك كان في النوم فظاهر البطلان إذ لا معجز يكون في الرؤيا ولا برهان فيه . وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج وفي عروج النبي محمّد (ص) الى السماء ، رواها كثير من الصحابة عن النبي (ص) وزاد بعضهم ونقص وتنقسم اخبار المعارج الى أربعة اقسام :

أحدها : ما يقطع بصحته لتواتر الأخبار به واحاطة العلم بصحته . ثانيها : ما ورد ولم يتواتر ولم نقطع بصحته ولكنه مما تجوزه العقول ولا تأباه الأُصول فنحن نجوزه أيضاً. ثالثها: ما يكون ظاهره مخالفاً لبعض الأُصول إلا أنه يمكن تأويله على وجه يوافق المعقول فالأولى أن نؤله على ما يطابق الحق . ورابعها : ما لا يصح ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله . فأما الأول : المقطوع به انه أُسري به على الجملة دون التفاصيل . وأما الثاني : فمنه ماروي أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش وسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك . وأما الثالث : فنحو ما روي أنه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها وقوماً في النار يعذبون ، فيحمل على انه رأى صفتهم وأسماءهم . وأما الرابع : فنحو ما روي أنه (ص) كلّم الله سبحانه جهرة ورآه وقعد معه على سريره ونحو ذلك ، مما يوجب ظاهره التشبيه ، والله سبحانه يتقدس عن ذلك ، ومن هذا النمط كثير فهذا ما لا نقبله .

(سبحان الذي أسرى بعبده) سبحان كلمة تنزيه وإبراء لله عز وجل عمّا لا يليق به من الصفات ، وقد يراد به التعجب ، أي سبحان الذي سيّر عبده محمداً (ص) وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ، وقال اكثر المفسرين أُسري برسول الله (ص) من دار أُم هاني أُخت علي بن أبي طالب (ع) وزوجها هبيرة ابن أبي وهب المخزومي ، وكان (ص) نائماً تلك الليلة في بيتها .

. وأن المراد بالمسجد الحرام مكة ، وقال الحسن وقتادة:كان الإسراء من نفس المسجد الحرام (الى المسجد الأقصى) بيت المقدس ، وانما قال الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي باركنا حوله) أي جعلنا البركة حوله من الأشجار والثمار والنبات ، وقيل باركنا حوله بما جعلناه مقر الأنبياء ومهبط الوحي (لنريه من آياتنا) وعجائب حججنا ، ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة الى هناك ، وأراه الأنبياء ، وعرج به إلى السماء ، وغير ذلك من العجائب التي أخبر بها (ص)بعد رجوعه (وآتينا موسى الكتاب)التوراة وجعلنا التوراة حجة

ودلالة وبياناً وارشاداً لبني اسرائيل ، وأمرتهم أن لا يتخذوا من دوني معتمداً وربّاً يتوكلون عليه (ذرية مَن حملنا مع نوح) أي أولاد من حملنا في السفينة وأنجيناهم من الطوفان وأن نوحاً كان عبداً كثير الشكر ، وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماءً قال الحمد لله ، وقيل كان يقول في ابتداء الأكل والشرب باسم الله ، وفي انتهائه الحمد لله ، وروي عن أبي عبدالله وأبي جعفر (ع) أن نوحاً كان إذا أصبح وأمسى قال: (اللهم إني أشهدك أن ما أصبح وأمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتى ترضى وبعد الرضى) .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ
وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ
ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

لما تقدم أمره سبحانه لبني اسرائيل عقب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم (وقضينا الى بني اسرائيل) أي أخبرناهم وأعلمناهم في التوراة أن ذرياتكم سيفسدون في البلاد وهي بيت المقدس ، والفساد:الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء ، وقيل:كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا (ع) ، ثم سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس في قتل زكريا ، وسلّط عليهم في قتل يحيى بخت نصّر وهو رجل خرج من بابل ، وقيل غير ذلك . (ولتعلنّ علواً كبيراً) أي لتستكبرنّ ولتظلمنّ الناس ظلماً عظيماً ، والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه . اختلف المفسرون في القصة عن الكرّتين اللتين أفسد فيهما بنو اسرائيل وموجز القصة انه لما عتا بنو اسرائيل في المرة الأولى سلّط الله عليهم ملك فارس ،وقيل: بخت نصر فخرج اليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس ، وقيل:إن بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش نمرود وكان لا يعرف له أب فظهر على بيت المقدس وخرّب المسجد وأحرق التوراة وقتل على دم يحيى سبعين ألفاً وسبى ذراريهم وأغار عليهم وأخرج اموالهم وسبى سبعين الفاً وذهب بهم الى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأولادهم ، ثم تفضّل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه فردّهم الى بيت المقدس فأقاموا مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا الى الفساد والمعاصي ، فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله ، وقيل غير ذلك في قصة بني اسرائيل والله العالم بحقائق الأمور .

قوله تعالى :

إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

(إن هذا القرآن يهدي) الى الديانة والطريقة التي هي اشد استقامة ويرشد الى كلمة التوحيد والايمان به سبحانه وبرسله والعمل بطاعته (ويدعُ الانسان بالشر دعاءه بالخير) فربما يدعو الإنسان في حال الغضب على نفسه وأهله وماله ، أو بمعنى أن الإنسان قد يطلب الشر لإستعجاله في طلب المنفعة ، أو قد يطلب الإنسان ويدعو لحصول امر محظور وممنوع كما يطلب المباح (وكان الإنسان عجولاً) بالدعاء في الشر كعجلته بالدعاء في الخير (وجعلنا الليل والنهار آيتين) يدلان على وحدانية خالقهما ، وقيل:ان الآيتين هنا هما الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) وهي القمر أي طمسنا نورها بما جعلنا في الليل من السواد (وجعلنا آية النهار مبصرة) نيرة مضيئة،وقيل:أن آية الليل ظلمته وآية النهار ضوؤه، ثم بيّن سبحانه الغرض من ذلك فقال (لتبتغوا فضلاً من ربكم) أي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بالنهار ، ولتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور ومواعيد الديون وغير ذلك من المواقيت .

قوله تعالى :

وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا

يَلْقَيهُ مَنشُوراً ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾

لما قدم سبحانه ذكر الوعيد اتبعه بذكر كيفيته ، ومعناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه وجعلناه كالطوق في عنقه لا يفارقه (ونُخرج له يوم القيامة كتاباً) كتبه الحفظة عليه من اعماله (يلقاه منشوراً) أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم ما فيه ويقال له (إقرأ كتابك) روىٰ جابر بن خالد بن نجيح عن أبي عبدالله (ع) قال: يذكر العبد جميع اعماله وما كتب عليه حتىٰ كأنه فعله تلك الساعة (كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً) ومحاسباً ، قال الحسن : يا ابن آدم لقد انصفك من جعلك حسيب نفسك فمَن اهتدىٰ في الدنيا الىٰ دين الله وطاعته فمنفعة اهتدائه راجعة اليه ، ومَن ضل عن الدين فضرر ضلاله وعقوبة ضلاله علىٰ نفسه (ولا تزر وازرة وزرَ أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أُخرى ولا يعاقب أحد بذنوب غيره ، وفي هذا دلالة واضحة علىٰ بطلان القول بأن اطفال الكفار يعذبون مع آبائهم في النار . (وما كنا معذبين) قوماً بعذاب الإستئصال إلا بعد انذارهم والإعذار اليهم ، وانه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة وذلك من تمام لطف الله وعدالته بعباده .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا

الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ
نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ
وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ
كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾

اختلف في تأويل الآية على وجوه وأصح الوجوه وأقربها الى الصواب هو الوجه القائل أن معنى الآية إذا اردنا أن نهلك اهل قرية بعد قيام الحجّة عليهم وارسال الرسل اليهم (أمرنا مترفيها) أي رؤساءها وساداتها أمرناهم بالطاعة واتباع الرسل (ففسقوا فيها) بالمعاصي وأبوا إلا تمادياً في العصيان والكفر (فحق عليها القول) ووجب عليها الوعيد (فدمّرناها تدميراً) وانما خصّ المترفين بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم امراً لأتباعهم ، ويشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله (مَن اهتدىٰ فإنّما يهتدي . . . الىٰ قوله وما كنّا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً) . (وكم اهلكنا من القرون) أي من الأُمم الكثيرة المكذبة (من بعد نوح) أي من بعد زمان نوح (ع) الىٰ زمانك يا محمّد (مَن كان يريد العاجلة)

أي النعم العاجلة وهي الدنيا (عجّلنا له فيها ما نشاء) من التوسعة والتقتير ، وروي عن ابن عباس أن النبي (ص) قال:معنى الآية مَن كان يريد ثواب الدنيا بعمله في الذي افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجّل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة(ومن أراد الآخرة)ونعيمها في الجنة (وسعى لها سعيها وهو مؤمن)أي فعل الطاعات وتجنب المعاصي وهو مصدق بتوحيد الله مقر بأنبيائه (فأولئك كان سعيهم مشكوراً) وطاعتهم مقبولة ، وقيل:شكره انه سبحانه يضاعف حسناته ويتجاوز عن سيئاته (كلّا نمد هؤلاء وهؤلاء) أي كل واحد من هؤلاء الفريقين ممن يريد الدنيا وممَن يريد الآخرة نمدّهم ونزيدهم ونعطي المؤمن والكافر من الدنيا ، وأما الآخرة فللمتقين خاصة ، وما كان رزق ربك محبوساً عن الكافرين ولا عن الفاسقين (انظر) يا محمّد (كيف فضّلنا بعضهم على بعض) بالغنى والفقر والصحة والمرض على ماعلمناه من المصالح (وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلاً) أي درجاتها ومراتبها أعلى وافضل وهي على قدر الأعمال ، وفي الآية دلالة على ان الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وانما تزيد في درجات الآخرة . (لا تجعل مع الله إلهاً آخر) أيها السامع في اعتقادك واقرارك ولا في عبادتك ولا في رغبتك ورهبتك (فتقعد مذموماً مخذولاً) عند العقلاء ولا ناصر لك من دون الله .

قوله تعالى :

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ

وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

لما تقدم النهي عن الشرك والمعاصي عقّب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات (وقضى ربك) أي أمر ربك وأوجب (أن لا تعبدوا إلا إياه) ولا تعبدوا غيره (وبالوالدين إحساناً) أي وأوصى بالوالدين إحساناً (إما يبلغنّ عندك الكبر احدهما أو كلاهما) أي إن عاشا عندك حتى يكبرا أو عاش احدهما حتى يبلغ من السن مبلغاً يحتاج فيه الى الرعاية والإحسان (فلا تقل لهما أفٍ) روي عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جدّه أبي عبدالله عليهم السلام . قال : لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من أفٍ لأتى بها . والمتبرم يكثر قول أفٍ ، وهي كلمة كراهة (ولا تنهرهما) أي لا تزجرهما بالغلظة والصياح ولا تمتنع من شيء أراداه منك ، وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) وبالغ في الخضوع والتواضع لهما ، وقال أبو عبدالله (ع) : معناه لا تملأ عينيك من النظر اليهما إلا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق صوتهما ولا يديك فوق ايديهما ، ولا تتقدم قدّامهما ، وادع لهما بالمغفرة في حياتهما وبعد مماتهما جزاءً لتربيتهما إياك في الصغر هذا إذا كانا مؤمنين ، وفي هذا دلالة على أن دعاء الولد لوالده الميّت مسموع ، وروى اسيد الأنصاري قال: بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء ابرهما بعد موتهما ؟ قال: نعم الصلاة عليهما والإستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما (فإنه كان للأوابين غفوراً) والأواب التواب المتعبد الراجع عن ذنبه أو هم الراجعون الى الله فيما ينوبهم ، وقيل غير ذلك .

قوله تعالى :

وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾
إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا
فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

حثّ سبحانه نبيّه (ص) على ايتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الإنفاق ، وأمر باعطاء ذوي القربى حقوقهم التي اوجبها الله لهم ، وقيل:المراد قرابة رسول الله (ص) وروي في حديث مسند عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزل قوله (وآتِ ذا القربى حقه) اعطى رسول الله (ص) فاطمة فدكاً ، قال عبدالرحمن بن صالح كتب المأمون الى عبدالله بن موسى يسأله عن قصة فدك ، فكتب اليه عبدالله بهذا الحديث ، رواه الفضيل بن مرزوق عن عطيه ، فرد المأمون فدكاً الى ولد فاطمة (ع) .

(والمسكين وابن السبيل) معناه:وآت المسكين حقه من الزكاة وغيرها ، وآت ابنَ السبيل ، وهو المجتاز المنقطع عن اهله (ولا تبذّر تبذيراً) والمبذر الذي ينفق المال في غير حقه ، قال مجاهد : لو أنفق مداً في باطل كان مبذراً ، ولو انفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذراً ، إن المبذرين المسرفين اتباع الشياطين وسالكي مسلكهم ، أو هم قرناؤهم واخوانهم في النار ، ومعلوم مكان الشيطان في

النار (وإما تعرضنّ عنهم) عن إيتاء هؤلاء حقوقهم وكان اعراضك عنهم لأنك لا تجد ما تعطيهم فتعرض حياءً منهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أي لتبتغي الفضل من الله والسعة (فقل لهم قولاً ميسوراً) أي عدهم وعداً حسناً وقل لهم قولاً ليناً يتيسّر عليك ، وروي أن النبي (ص) كان لما نزلت هذه الآية إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) لا تعطي شيئاً فتكون بمنزلة من يده مغلولة الى عنقه لا يقدر على الإعطاء والبذل ، وهذا مبالغة في النهي عن الشح والإمساك (ولا تبسطها كل البسط) فتعطي جميع ما عندك فتكون مسرفاً تلوم نفسك ويلومك الناس متحسراً مغموماً . (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فيوسع مرة ويضيق مرة بحسب المصلحة لأنه عالم بأحوال عباده بصير بمصالحهم .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

(ولا تقتلوا أولادكم) أي بناتكم خوف فقر وعجز عن النفقة ، وانما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يئدون البنات فيدفنونهنّ أحياءً ، وأخبر سبحانه أنه متكفل برزق الجميع (ولا تقربوا الزنىٰ) وهو وطء المرأة حراماً بلا عقدٍ ولا شبهةِ عقد ، وأن الزنا معصية كبيرة عظيمة ، وأنه حتىٰ في الجاهليةِ كان فاحشة وكذلك في الإسلام ، روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الجرجاني ، قال سمعت أبا عمرو عثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله (ص) يقول : في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسرع الفناء ، وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب ، وسوء الحساب ، والدخول في النار ، أو الخلود في النار . (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) والقتل بالحق إما لكفرٍ أو ردة ، أو قتل نفس بنفسٍ ، أو زنىٰ وهو محصن (ومن قُتل مظلوماً) فقد جعل الله لولي المقتول سلطاناً مسلطاً به علىٰ القاتل ، أما بالقتل أو بأخذ الدية ، أو بالعفو ، ولا ينبغي الإسراف في القتل وتجاوز الحدود الشرعية ، (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) مر تفسيرها في سورة الانعام آية (١٥٢) . (وأوفوا بالعهد) في الوصية بمال اليتيم ، أو في كل ما أمر الله به ونهىٰ عنه (إن العهد كان مسؤولاً) للجزاء عليه ، وقيل معناه إن العهد يسأل فيقال له بم نُقضت ، كما تسأل الموؤدة بأي ذنب قتلت (وأوفوا الكيل إذا كلتم) ولا تنقصوا منه وأوفوا الناس حقوقهم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وهو الميزان الذي لا بخس فيه ولا غبن لأن الوفاء بالكيل والوزن الدقيق خير لكم في الدنيا والآخرة (وأحسن تأويلاً) وعاقبة بما يؤول عليكم من الأجر ، وقد حثّ سبحانه بهذه الآية علىٰ إتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وإيفاء الحقوق .

قوله تعالى :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ
الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ
مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ
مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ
رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا
عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

(ولا تقف ما ليس . . .) أي لا تقل سمعتُ ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تر ، ولا علمت ولم تعلم ، وقيل:هي شهادة الزور ، وهو عام في كل قول وفعل أو عزم يكون على غير علم ، وقد استدل جماعة من اصحابنا بهذا على أن العمل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز (إن السمع والبصر والفؤاد . . .) أي إن أصحابها هم المسؤولون ، والمروي عن أبي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال ، عمرك فيما أفنيته ، وجسدك فيما أبليته ، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته ، وعن حبنا أهل البيت . (ولا تمشي في الأرض مرحاً) بالبطر والخيلاء

والتكبر ، وقيل:المرح شدة الفرح بالباطل . (إنك لن تخرق الأرض . .) هذا مثل ضربه الله تعالىٰ قال إنك أيها الإنسان لن تشق الأرض من تحت قدميك بكبرك ، ولن تبلغ الجبال بتطاولك . وفيها حثّ سبحانه عباده علىٰ التواضع والمروءة والوقار ، وبيّن أن المرح والتكبر يكرهه الله ولا يرضاه لعباده ، وأن ذلك الذي تقدم ذكره من الأوامر والنواهي (مما أوحىٰ اليك ربك) يا محمّد (من الحكمة) المؤدية الىٰ المعرفة بالحسن والقبيح (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر) في اقرارك وقولك (فتلقىٰ) وتطرح (في جنهم ملوماً) يلومك الناس (مدحوراً) أي مطروداً مبعداً عن رحمة الله تعالىٰ ، ثم خاطب سبحانه أولئك الذين قالوا إن الملائكة هم بنات الله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أي اختصكم الله بالبنين الذكور واتخذ لنفسه الإناث (إنكم لتقولون قولاً عظيماً) كبيراً في الإثم واستحقاق العقوبة .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

احتجّ سبحانه علىٰ الذين تقدم ذكرهم فقال (ولقد صرفنا) أي كررنا الدلائل وفصّلنا المعاني (في هذا القرآن) ليتفكروا فيها فيعلموا الحق ، ولكن

هؤلاء الكفار لا يزدادون عند سماع الأمثال والدلائل إلا ابتعاداً ونفوراً عن الحق ، والحكمة حينئذٍ في إسماعهم الامثال والآيات هي قيام الحجّة عليهم وقطع المعذرة منهم (قل) يا محمّد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهةٌ كما . . .) لطلبوا طريقاً وسبيلاً الىٰ منازعة مالك العرش (سبحانه وتعالىٰ عمّا يقولون) لأن صفاته سبحانه في أعلىٰ المراتب ولا مساوي له فيها (تسبح له السموات السبع والأرض ومَن فيهنّ) والتسبيح هنا الدلالة علىٰ توحيد الله وعدله ، وانه لا شريك له في الألوهية (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالىٰ معترفاً بعظم خالقه ، وقيل إن كل شيء علىٰ العموم من الوحوش والطيور و الجمادات يسبح الله تعالىٰ حتى صرير الباب وخرير الماء (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ولا تعلمون معنى دلالتها على توحيد الله (إنه كان حليماً) يمهلكم ولا يعاجلكم بالعقوبة علىٰ كفركم (غفوراً) لكم إذا تبتم وأنبتم اليه .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

قيل:نزل قوله (وإذا قرأت القرآن . . .) في قوم كانوا يؤذون النبي (ص) بالليل إذا تلىٰ القرآن وصلّىٰ عند الكعبة ، وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس الىٰ الدين ، فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتىٰ لا يؤذوه ، قال الكلبي : وهم أبو سفيان والنظر بن الحرث وأبو جهل وأم جميل امرأة أبي لهب حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءته القرآن وكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه . وقيل:ان المعنىٰ جعلنا بينك وبينهم حجاباً : أي باعدنا بينك وبينهم في القرآن فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدىٰ ، وهو للمشركين في آذانهم وقر وعليهم عمىٰ . وإذا ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت الشرك أعرضوا عنك مدبرين نافرين (نحن أعلم بما يستمعون به . . .) لا يخفى علينا حال المشركين وغرضهم من الإستماع اليك (وإذ هم نجوىٰ) وانا نعلم حالهم حين يستمعون الىٰ قراءتك وفي حال قيامهم من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر ويقول بعضهم هو كاهن ، ويقول آخرون شاعر ، وأنهم يقولون بما لا حجّة لهم ولا دليل يقوىٰ على معارضة الرسول ودعوته في التوحيد إلا أن يقولوا هذه الأقاويل الباطلة (انظر) يا محمّد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي شبّهوا لك الأشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر . (فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً) الىٰ تكذيبك ، إلا أن يكذبوا في اتهامك أو لا يجدون حيلةً وطريقاً الى صد الناس عنك والىٰ اثبات ما ادعوا عليك .

قوله تعالىٰ :

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ

إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في إنكاره وأن المنكرين للبعث قالوا إنا إذا متنا وانتثرت لحومنا وصرنا عظاماً وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً؟ (قل) يا محمّد لهم اجتهدوا في أن لا تعادوا وكونوا إذا استطعتم حجارة في القوة أو حديداً في الشدة (أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) مما هو أعظم من ذلك فانكم لا تفوتون الله وسيحييكم بعد الموت وينشركم . إلا أن الكلام خرج مخرج الأمر لأنه أبلغ في الإلزام . فإنك يا محمّد لو قلت لهم ذلك ، سيقولون لك مَن يحيينا بعد الموت ؟ قل يحييكم من خلقكم أول مرة فإن مَن قدر على ابتداء الشيء كان على إعادته اقدر وإن ابتداء الشيء اصعب من اعادته ، وإنما قال لهم لأنهم كانوا يقرون بالنشأة الأولى (فسينغضون اليك رؤوسهم) أي فسيحركون إليك رؤوسهم تحريك المستهزيء المستخف المستبعد لما تنذرهم به ويقولون متى يكون البعث (قل عسى أن يكون قريباً) وان بعثكم قريباً أيها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم الى الموقف على السنة الملائكة (فتستجيبون بحمده) أي تستجيبون معترفين بأن الحمد لله تعالى على نعمه ولا تنكرونه . وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا إلا قليلاً لسرعة انقلاب الدنيا الى الآخرة، ومن المفسرين من يذهب الى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبون لله بحمده ويحمدونه على احسانه اليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعمين غير معذبين .

قوله تعالى :

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ

الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ
يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ
أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ
عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله (ص) بمكة فيقولون يا رسول الله إئذن لنا في قتالهم، فيقول لهم إني لم أؤمر فيهم بشيء فأنزل الله سبحانه (وقل لعبادي . . .) وفيها أمر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال والأفعال وأن يختاروا من المقالات والمذاهب ما هو أحسن ، وأن يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين (إن الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد بين المؤمنين ويغري بعضهم ببعض ويلقي بينهم العداوة (إنّ الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً) (ربكم أعلم بكم) فيدبر أموركم على ما يعلمه من المصلحة لكم ثم عاد لخطاب النبي (ص) فقال (وما أرسلناك عليهم وكيلاً) فإن أجابوك وإلا فلا شيء عليك فإنّ عقاب ذلك يحل عليهم واللائمة عليهم (وربك اعلم بمَن في السموات والأرض) وأنه سبحانه لم يختر الملائكة والأنبياء للميل اليهم وإنما اختارهم

لعلمه بباطنهم (ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض) وأنهم طبقات وبعضهم اعلىٰ من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالمعجزات والكتاب ، وهو سبحانه اختارك يا محمّد للنبوة وفضّلك علىٰ الأنبياء . (وآتينا داود زبوراً) قال الحسن كل كتاب زبوراً إلا إن هذا الاسم غلب علىٰ كتاب داود (ع) (قل) يا محمّد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله (أُدعوا الذين زعمتم من دونه) من الملائكة والمسيح وعزير ، أو الجن لأن قوماً من العرب كانوا يُعبدون الجن ، ثم عاد سبحانه الىٰ ذكر الأنبياء في الآية الأُولى فقال (أُولئك الذين يدعون يبتغون الىٰ ربهم الوسيلة) ويطلبون التقرب اليه بفعل الطاعات (أيهم اقرب) وأيهم افضل ، لأن الأنبياء مع علو مرتبتهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله ، فأنتم اولى أن لا تعبدوا غير الله (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) أي إن أُولئك الانبياء مع علو قدرهم وتوسلهم الىٰ الله فإنهم يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته إن أطاعوا ، ويخافون عذابه إن عصوا .

قوله تعالىٰ :

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا
عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن
نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ
مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ
قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا
فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ

إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

أي وما من قرية إلا نحن مهلكوها باماتة أهلها (أو معذبوها عذاباً شديداً) وهو عذاب الاستئصال في الدنيا بفناء الناس وخراب البلاد (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي كان ذلك لا محالة ولا يكون خلافه (وما منعنا أن نرسل ....) أي إنا لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حوّل لنا الصفا ذهباً ، وفجّر لنا الأرض ينبوعاً إلىٰ غير ذلك لأنا لو ارسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة ، كما أنا لما أجبنا الأولين من الأُمم التي آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بعذاب الإستئصال ، وقد وعد سبحانه ووعده الحق بأنه رفع ذلك عن أُمة محمّد (ص) تكريماً لمحمّد ، ولما يعلم سبحانه في ذلك من المصلحة ولأن فيهم مَن يؤمن به وينصره ، ولأن شريعته باقية مؤبدة الى يوم القيامة . (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بيّنة ودلالة واضحة تبصرهم وتبين لهم حتىٰ يبصروا بها الهدىٰ من الضلالة ، وهي ناقة صالح (فظلموا بها) أي كفروا بتلك الآية وجحدوا بأنها من عند الله تعالىٰ ، وقيل: ظلموا أنفسهم بسببها وبعقرها (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) وعظة للناس وزجراً من عذاب الله إن لم يؤمنوا (وإذ قلنا لك) أي واذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمّد (إن ربك احاط بالناس) وبما فعلوه من طاعة أو معصية ، وما يستحقونه علىٰ ذلك من الثواب والعقاب ، وهو حث للرسول (ص) علىٰ التبليغ ووعد له بالعصمة من اذية قومه (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) فيه اقوال : احدها أن المراد بالرؤيا رؤيا العين في اسراء النبي (ص) من مكة الى بيت المقدس والىٰ السماء في ليلة واحدة ، وحين اخبر بذلك رسول الله (ص) كان خبره فتنة وامتحاناً للمصدق من اصحابه والمكذب منهم بذلك .

وثانيها : ما روي عن بن عباس أن الرؤيا المقصودة هنا رؤيا نوم رآها النبي

(ص) وأنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدها فصدّه المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة ، فقالوا:يا رسول الله أليس قد أخبرتنا أنا ندخل المسجد آمنين ؟ فقال (ص):أوقلت لكم انكم تدخلونها العام ؟ قالوا لا . فقال لندخلها انشاء الله ، ورجع ثم دخل مكة في العام القابل ، فنزل قوله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . . . » . وثالث المعاني : ان ذلك رؤيا رآها النبي (ص) في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتم به كما روى ذلك سهل ابن سعيد عن ابيه:أن النبي (ص) رأى ذلك وقال انه (ص) لم يستجمع بعد ذلك ضاحكاً حتى مات ، وروى سعيد بن يسار ذلك . وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبدالله (ع) وقالوا على هذا التأويل أن الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أمية أخبره الله سبحانه بتغلبهم على مقامه وقتلهم ذريته،وقيل:ان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، أو هم اليهود . (نخوفهم) أي نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية ، أو بما نرسل من الآيات (فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) أي عتواً في الكفر وتمادياً في الغي .

قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَٰلِ

وَالْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

ذكر سبحانه قصة آدم وابليس ، واستنكار ابليس من دعوته للسجود لآدم بدعوى انه افضل واشرف اصلاً من آدم ، علماً بأن الدعوة في السجود لآدم لا بعنوان العبادة له بل للتعظيم والاعتراف بالفضل عليهم . (قال ارأيتك هذا الذي كرمت عليّ) أي قال ابليس ارأيت يا رب هذا الذي فضلته عليّ يعني آدم (ع) لإن اخرت أجلي لأغوين ذريته وأقودهم الى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها تُجر به ، إلا القليل وهم المخلصون (قال) الله سبحانه مستهيناً بابليس (اذهب) يا ابليس (فمَن تبعك منهم) من ذرية آدم وقبل قولك واطاعك(فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً) كاملاً غير منقوص (واستفزز مَن استطعت . . .) أي استزل من استطعت منهم بوسوستك،وقيل بصوتك ، أي بالغناء والمزامير والملاهي وكل صوت يُدعىٰ به الى الفساد فهو من صوت الشيطان (واجلب عليهم) أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكايدك وأتباعك وأعوانك ، وكل راكب أو ماشٍ في معصية الله سبحانه من الإنس والجن فهو من خيل ابليس ورجله (وشاركهم في الأموال والأولاد) وهو كل مال جمع من حرام واخذ بغير حقه ، وكل ولد زنا . (وعدهم) اي منهم البقاء وطول الأمل وانهم لا يبعثون ، ثم اخبر سبحانه أن جميع مواعيد الشيطان غروراً وباطلاً . (ليس لك عليهم سلطان) وقوة نفاذ ، لأنهم يعلمون أن مواعيدك باطلة فلا يغترون بها ، وقيل:معناه لا سلطان لك على جميع عبادي إلا في الوسوسة والحث على المعصية ، اما منعهم عن الطاعة واجبارهم على المعصية فلا سلطان للشيطان بذلك على البشر .

قوله تعالىٰ :

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا
نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ
أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ
تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

لما تقدم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبدة الأوثان ، احتجّ عليهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان فقال (ربكم) خالقكم ومدبّركم (الذي يزجي لكم الفلك) أي يجري لكم السفن في البحر بما خلق من الرياح ، لتطلبوا من فضل الله تعالىٰ بركوب السفن فيما فيه صلاح دنياكم ودينكم (وإذا مسّكم الضر) أي الشدة (في البحر) بسكون الرياح واحتباس السفن ، أو باضطراب الأمواج وغير ذلك من أهوال البحر (ضل مَن تدعون إلا إياه) اي ذهب عنكم ذكر كل معبود إلا الله فلا ترجون النجاة إلا من عنده (فلما نجّاكم) من البحر (الىٰ البر) وأمنتم الغرق (اعرضتم) عن الإيمان به وعن طاعته (وكان الإنسان كفوراً) كثير الكفران (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) أترون انكم حينما خرجتم الىٰ البر

صرتم في مأمن من عذاب الله حينما نجوتم من البحر الى البر (أو يرسل عليكم حاصباً) حجارة ترمون بها ، وأنه سبحانه قادر على إهلاككم في البر كما أنه قادر على اغراقكم في البحر (ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) وحافظاً يدفع عنكم عذاب الله ، وما الذي يؤمنكم (أن يعيدكم فيه تارة أخرى) أي في البحر مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفاً من الريح) وهي الريح الشديدة التي تقصف السفن فتكسرها (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً) يتبع آثاركم للمطالبة بدمائكم .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

لما تقدم قول ابليس (هذا الذي كرمت عليّ) ،ذكر سبحانه بعد ذلك تكريمه لبني آدم بأنواع الإكرام وفنون الانعام ، وقيل:انما عمهم بالتكرمة مع أن فيهم الكافر المهان لأن المعنى اكرمناه بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة ، وتسخير الأشياء لهم وبعث الرسل اليهم كما كرمهم سبحانه بالقوة والعقل والنطق والتميز وبتسليطهم على غيرهم ، وتسخير سائر الحيوانات لهم الى غير ذلك من نعم الله على الآدميين ظاهرة وباطنة . (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أي بنبيهم ، فيقال يوم القيامة : هاتوا متبعي ابراهيم ، هاتوا متبعي موسى ، هاتوا متبعي محمد ، فيقوم أهل الحق

الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بايمانهم ، ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة . . . وقيل في معنىٰ بامامهم : أي بكتابهم الذي أنزل عليهم ، فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة . . . ، وقيل: بمَن يأتمون به من علمائهم وأئمتهم .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلىٰ مَن يتولونه ، ودعانا الىٰ رسول الله (ص) وفزعتم إلينا فالىٰ أين ترَوْن يذهب بكم ؟ الىٰ الجنة ورب الكعبة ، قالها ثلاثاً (فمَن أوتي كتابه بيمينه) أي من أعطي كتاب اعماله الذي فيه طاعته وثواب اعماله بيمينه (فأولئك يقرؤون كتابهم) فرحين مسرورين لا ينقصون من ثواب أعمالهم مقدار فتيل ، قيل: الفتيل في بطن النواة والنقير في ظهرها ، والقطمير: قشر النواة ، وقد جعل الله إعطاء الكتاب باليمين علامة الرضا والخلاص واعطاء الكتاب باليسار ومن وراء الظهر علامة السخط والهلاك . (ومَن كان في هذه اعمىٰ فهو في الآخرة اعمىٰ) فمَن كان في الدنيا اعمىٰ عن آيات الله ونعمه ضالاً عن الحق والدين ، فهو في الآخرة اشد تحيراً وبعداً عن طريق الجنة ، أو أنه يُحشر أعمىٰ عقوبةً له علىٰ ما تعامىٰ عنه من الآيات والحجج في الدنيا .

قوله تعالىٰ :

وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)

قيل:في سبب النزول اقوال : منها أن قريشاً قالت للنبي (ص) لا ندعك تستلم الحجر حتىٰ تلم بآلهتنا ، فحدث نفسه وقال ما عليّ في أن ألمّ بهآ والله يعلم أني لكاره لها ويدعوني استلم الحجر ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية . وقيل:ان قريشاً قالوا لرسول الله (ص) كفّ عن شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا وأطرد هؤلاء العبيد والسقّاط الذين رائحتهم رائحة الصنان حتىٰ نجالسك ونسمع منك فطمع في اسلامهم . وقيل:انها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايعك علىٰ أن تعطينا ثلاث خصال لا ننحني بفنون الصلاة ، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا ، وتمتعنا باللات سنة ، فقال (ص) لا خير في دين صلاته ليس فيها ركوع ولا سجود ، فأما كسر اصنامكم بأيديكم فذاك لكم ، وأما الطاعة للاّت فإني غير ممتعكم بها . وقيل:أن وفد ثقيف قالوا : أجّلنا سنة حتىٰ نقبض ما يهدىٰ لآلهتنا فاذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا ، فهمّ (ص) بتأجيلهم فنزلت الآية . وأنك يا محمّد لو أجبتهم الىٰ ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خلّتك وأظهروا صداقتك (ولولا أن ثبّتناك) أي ثبّتنا قلبك علىٰ الحق بالنبوة والعصمة والمعجزات لكدت أن تركن وتميل اليهم ميلاً قليلاً ، قال ابن عباس:معناه حيث سكت عن جوابهم ، ولو أنك فعلت ذلك وملت اليهم لعذبناك ضعف الحياة وضعف عذاب الممات ، أي مثلي ما نعذب به المشرك في الحياة ومثلي ما نعذب به المشرك في الآخرة ، قال ابن عباس : رسول الله (ص) معصوم، ولكن هذا تخويف لأمته لئلاّ يركن احد من المؤمنين الىٰ أحد من المشركين في شيء من أحكام الله تعالىٰ .

قوله تعالىٰ :

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن

رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

نزلت في أهل مكة لما همّوا باخراج النبي (ص) من مكة ، وقيل:نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله (ص) المدينة قالوا له إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وانما ارض الأنبياء الشام فآت الشام ، وفيها بيّن سبحانه أن الكفار لما يئسوا من اجابة الرسول لهم فيما التمسوه منه كادوا له وأرادوا أن يخرجوه من ارض العرب (ليستفزوك) أي ليقتلوك ولو أخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زماناً قليلاً ، وهي المدة بين خروج النبيّ (ص) من مكة وقتلهم يوم بدر . (سنّة مَن قد ارسلنا قبلك من رسلنا) أي انهم لو أخرجوك يا محمّد لاستأصلناهم بعد خروجك ، وانا لم نرسل قبلك رسولاً فاخرجه قومه إلا اهلكوا .

قوله تعالىٰ :

أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

أمر سبحانه بعد اقامة البينات وذكر الوعد والوعيد باقامة الصلاة مخاطباً للنبي (ص) والمراد هو وغيره ، واختلف المفسرون في الدلوك وأوجه الأقوال:أن دلوك الشمس زوالها ، والصلاة المأمور بها صلاة الظهر ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (ع) لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس ، فصلاتا دلوك الشمس

الظهر والعصر ، وصلاتا غسق الليل هما المغرب والعشاء ، والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات . وغسق الليل هو أول الليل واستدل الفقهاء بهذه الآية على اوقات الصلوات الخمس وبيان امتداد وقت كل منها .

وروى العياشي بالإسناد عن عبيد بن زرارة عن أبي عبدالله (ع) في هذه الآية قال : إن الله افترض اربع صلوات اول وقتها من زوال الشمس الى انتصاف الليل ، منها صلاتان أول وقتها من زوال الشمس الى غروبها إلا أن هذه قبل هذه ، ومنها صلاتان اول وقتهما من غروب الشمس الى انتصاف الليل إلا أن هذه قبل هذه . (ومن الليل فتهجد به) خطاب للنبي (ص) أي فصل بالقرآن (نافلة لك) أي زيادة لك على الفرائض ، وذلك أن صلاة الليل كانت فريضة على النبي (ص) مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره ، وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) عسى من الله واجبة لازمة ، والمقام هو البعث بمعنى يبعثك الله يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه ، يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفّع ، ويعطى (ص) لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون (ص) اول شافع وأول مشفع (وقل) يا محمّد (رب أدخلني . . .) أدخلني في جميع ما أرسلتني به إدخال صدق ، وأخرجني منه سالماً ، واعني على الوحي والرسالة والتبليغ ، أو بمعنى أدخلني المدينة وأخرجني منها الى مكة للفتح ، أو بمعنى ادخلني القبر عند الموت مدخل صدق ، وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق ، واجعل لي عذراً احتمي به ممّن يحاول صدّي عن اقامة فرائضك ، او اجعل لي حجة بينة اتقوي بها على سائر الاديان . (وقل) يا محمّد (جاء الحق) اي ظهر الحق وهو الإسلام (وزهق الباطل) وهو الشرك ، روي عن عبدالله بن مسعود انه قال : دخل النبي (ص) مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان

زهوقاً ، قال الكلبي فجعل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك ، وأهل مكة يقولون ما رأينا رجلاً اسحر من محمّد .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وجه الشفاء بالقرآن : لما فيه من بيان مرض الجهل وحيرة الشك . أو لما فيه من النظم والفصاحة البالغة حد الإعجاز الذي يدل علىٰ صدق النبي (ص) ويكون بذلك شفاء القلوب من الشك والشرك . كما أن القرآن يُتبرك به وبقراءته ويستعان به علىٰ دفع العلل والاسقام فهو شفاء للناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين والمتفعين به (ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) لأنهم يخسرون الإنتفاع بفوائد القرآن وادلته وبراهينه وبركاته . (وإذا انعمنا على الإنسان أعرض) عن ذكرنا كأنه لم يُقبل علينا بالدعاء والأبتهال (ونأىٰ بجانبه) أي بعد بنفسه عن اداء حقوق انعامنا عليه فلا يشكرها، كما أعرض عن نعمة القرآن ، واذا أصابته المحنة والشدة من فقر أو مرض أو غير ذلك لم يصبر وكان قنوطاً من رجاء الفرج من الله تعالىٰ بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج (قل) يا محمّد لهم (كل يعمل علىٰ شاكلته) من المؤمن والكافر يعمل علىٰ طبيعته وخليقته التي تخلق بها وشريعته التي اعتقدها وارتضاها لنفسه (فربكم اعلم) أي الفريقين علىٰ الهدىٰ ومَن هو علىٰ الضلال .

قوله تعالى :

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ
لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ
كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

(ويسألونك) يا محمّد (عن الروح) اختلف في الروح المسؤول عنها هل هي الروح التي في بدن الإنسان ، وأن السائل عن ذلك قوم من اليهود . وقيل: ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمّداً عن الروح فان أجابكم فليس بنبي ، وإن لم يجبكم فهو نبي ، فإنّا نجد في كتابنا ذلك . فأمر الله سبحانه بالإعراض عن جوابهم لأنهم كانوا متعنّتين لا مستفيدين، وقيل : سألوا عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك وقد سمىٰ الله تعالىٰ القرآن روحاً . (وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً) وهو خطاب للنبي (ص) ، وأن معلومات الله تعالىٰ لا نهاية لها ، وقيل:هو خطاب لليهود الذين سألوا النبي (ص) وتظاهروا بأن لديهم التوراة التي فيها علم كثير ، فردهم الله سبحانه بأن التوراة في جنب علم الله قليل من كثير (ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا اليك) يعني القرآن ، وانّنا نأخذ ما أعطيناك ، ولكننا أعطيناك

بالرحمة والحكمة ما تحتاج اليه ومنعناك ما لا تحتاج الىٰ النص عليه ، وإن ذلك رحمة من الله بك حين أثبت القرآن في قلبك وقلوب المؤمنين ، ثم احتجّ سبحانه على المشركين باعجاز القرآن ، فقال:(قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار(لئن اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن)في فصاحته وبلاغته ، وخلوه من التناقض لعجزوا ولم يأتوا بمثله (ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) أي معيناً بعضهم لبعض . (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي بيّنا لهم كل ما يحتاجون اليه من الدلائل والأمثال والحكم ، وما يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم ليتفكروا فيه (فأبىٰ اكثر الناس إلا كفوراً) وجحوداً للحق .

قوله تعالىٰ :

وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

لما بيّن سبحانه فيما تقدم اعجاز القرآن عقّب ذلك البيان بأنهم أبوا إلا الكفر والطغيان ، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك ، وقالوا لن نصدقك فيما تدعي من النبوة(حتىٰ تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً)في مكة القليلة الماء(أو تكون لك جنة من نخيل . . .)يجري الماء من تحتها، كما زعمت أنك نبي تأتي بالمعجزات أو تأتي بأصناف الملائكة نشاهدهم مقابلة، ويشهدون انك حق ودعوتك صدق (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب ، أو منقوش (أو ترقىٰ في السماء . . .) ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتىٰ تنزل علىٰ كل واحد منا كتاباً من الله شاهداً بصحة نبوتك نقرأه . (قل سبحان ربي) أي تنزيهاً لربي من كل قبيح ، وتنزيهاً له أن يفعل المعجزات تبعاً للأهواء والإقتراحات ، وأني لبشر أن يفعل ما طلبتموه ، والله سبحانه إنّما يُظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة ، (وما منع الناس أن يؤمنوا)بالله ويصدقوا رسله بعد أن جاءتهم الحجج والبيّنات إلا بسبب الشبه الباطلة التي منها أنه لا يجوز أن يبعث الله رسولاً إلا من الملائكة (قل) يا محمّد (لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي ساكنين في الأرض ، أو بمعنىٰ لو كان أهل الأرض ملائكة لبعثنا اليهم ملكاً ، وقيل:إن العرب قالوا كنا ساكنين مطمئنين فجاء محمّد فأزعجنا وشوّش علينا أمرنا .

قوله تعالىٰ :

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ
وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا

بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا
﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(قل) يا محمّد لهؤلاء المشركين (كفى بالله . . .) فإنه سبحانه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء (ومَن يهد الله فهو المهتدِ) أي من يحكم الله بهداه فهو المهتد باخلاصه وطاعته حقيقةً (ومَن يضلل) أي ومَن يحكم بضلاله لن تجد لهم انصاراً يقدرون على ازالة اسم الضلالة عنهم ، ويسحبون على وجوههم الى النار ، روى انس بن مالك أن رجلاً قال : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال (ص) : إن الذي امشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة . (عمياً وبكماً وصمّاً) كأنهم عُدموا هذه الجوارح ، وذلك جزاء سكوتهم عن كلمة الإخلاص (مأواهم جهنم . . .) أي مستقرهم جهنم كلما سكن التهابها زدناهم اشتعالاً وذلك جزاء تكذيبهم بآيات الله (وقالوا أءذاكنا عظاماً ورفاتاً) مثل التراب ، واستكثروا بعثهم (أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً)وقد مر تفسير احتجاجهم الباطل وتعجّبهم من البعث ، فبيّن سبحانه (أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) والقادر على ذلك قادر على إعادتهم ، وجعل لاعادتهم وقتاً لا شك فيه إنه كائن لا محالة (فأبى الظالمون) إلا

جحوداً بآيات الله ونعمه . (قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار ، لو ملكتم خزائن أرزاق الله ومقدوراته إذاً لا يكون له سبحانه موضعاً يخزن فيه الرحمة ، ولأمسكتم خشية الفقر (وكان الإنسان قتوراً) أي بخيلاً ، وهو حكم أغلب بني الإنسان وإن كان بعضهم كريماً .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي
لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ
وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)

أشار سبحانه إلىٰ قصة موسىٰ (ع) واختلف في آيات موسىٰ التسع ، فقيل هي يد موسىٰ ، والدم ، وقيل: انها تسع آيات في الاحكام ، كما روىٰ عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عساكر : إن يهودياً قال لصاحبه تعال حتىٰ نسأل هذا النبي قال : فأتىٰ الرسول (ص) فسأله عن هذه الآية فقال (ص) : هو أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا

تمشوا بالبريء الىٰ السلطان ليقتله ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنة ، ولا تولوا الفرار يوم الزحف ، وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت ، فقبّل يده وقال أشهد أنك نبي . (فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) أي فاسأل أيها السامع أو انظر ما في القرآن من أخبار بني اسرائيل ، ومقالة فرعون لموسىٰ (ع) (إني لأظنك يا موسىٰ مسحوراً) وأن هذه العجائب التي تأتيها دليل سحرك ، أو انك مخدوع بسحر مؤثر فيك فأنت مسحور (قال) موسىٰ (لقد علمت) يا فرعون أن هذا ليس سحراً وإنما هو آيات الله التي أنزلها بصائر وحجج ودلالات علىٰ نبوتي ، وأنك يا فرعون تعلم أنها ليست سحراً (وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) أي هالكاً لكفرك وانكارك ، وظن موسىٰ هنا ناشيء الىٰ أن هلاك فرعون إنما يكون بشرط اصراره علىٰ الضلال ، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله ، فأراد فرعون أن ينفي موسىٰ ومن معه من أرض مصر وفلسطين والأردن أو يقتلهم (فأغرقناه ومن معه) من جنوده فلم ينج منهم احد ولم يهلك من بني اسرائيل احد (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون وقومه (لبني اسرائيل اسكنوا الأرض) ارض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يوم القيامة ، وقيل عند نزول عيسىٰ (ع) ، جئنا بكم من القبور الىٰ الموقف للحساب والجزاء ملتفين مختلطين بعضكم ببعض أولكم وآخركم . ثم عاد سبحانه الى ذكر القرآن وتأكيد معجزته ، وأنه نزل لإثبات الحق والصواب، وقيل: يجوز أن يكون المراد أنزلنا موسىٰ ، وأنزلنا الآيات .

قوله تعالىٰ :

وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا
﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ
وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

عطف سبحانه على ما تقدم (وقرآنا فرقناه) أي وأنزلنا عليك يا محمّد قرآنا فصّلناه سوراً وآيات ، أو فرقنا به الحق عن الباطل ، أو أنزلناه متفرقاً لم ينزل جميعاً إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تثبت وتوئدة ليكون أمكن في قلوب سامعيه، ويكونوا أقدر على التأمل والتفكر فيه (ونزلناه تنزيلاً) بحسب الحاجة ووقع الحوادث (قل) يا محمّد لهؤلاء المشركين (آمنوا به) أي بالقرآن (أو لا تؤمنوا) فإن ايمانكم وعدمه يعود عليكم ، وهوجواب لقولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر . . . .) . (إن الذين أُوتوا العلم من قبله) أي أُعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن فعلموا بما عندهم صفة النبي محمّد(ص) قبل مبعثه، وقيل: إن الخطاب لأُمة محمّد (ص) إذا قرىء القرآن عليهم يخرون سجداً لله ولعظمة القرآن وما فيه من قصص وأحكام (ويقولون سبحان ربنا) أي تنزيهاً وتكريماً لربنا عمّا يدعيه عليه المشركون ، وإن وعد ربنا حقاً يقيناً لا بد منه ، ويسجدون باكين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب

(ويزيدهم) ما في القرآن من المواعظ (خشوعاً) وتواضعاً لله تعالىٰ (قـل) يا محمّد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوّتك (أُدعوا الله أو أُدعوا الرحمن) وبأيّ اسمائه سبحانه تدعونه فلا فرق في ذلك . والسبب أن النبي (ص) كان ساجداً ذات ليلة بمكة يدعو يا رحمـن يا رحيم فقال المشركون : هذا يزعم أن له إلهاً واحداً وهو يدعو مثنىٰ مثنىٰ ، وقيل:ان اليهود قالوا : إن ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في التوراة كثيرٌ . فردّهم الله سبحانه ، وإن كلامهم ذلك غيرمنج لهم من الندامة على التكذيب فان اسماءه سبحانه تنبىء عن صفات حسنة وأفعال حسنة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قيل:معناه لا تجهر باشاعة صلاتك عند من يؤذيك ، ولا تخافت بها عند مَن يطلبها منك . وروي أن النبي (ص) كان إذا صلّىٰ فجهر في صلاته تسمّع له المشركون فشتموه وآذوه ، فامره سبحانه بترك الجهر ، وكان ذلك بمكة اول الدعوة وقيل : لا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تخافت بها كلها (وابتغ بين ذلك سبيلاً) بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار ، وقيل:هو عام بمعنى لا تجهر جهراً يشغل به من يصلّي بقربك ، ولا تخافت بهـا حتـىٰ لا تسمع نفسك (وقل الحمد لله . . .) فلا يجوز أن يكون له ولد ، ولـم يكن له حليف ينصره على مَن يريد إذلاله ، وعظمه في دعائك تعظيماً لا يساويه تعظيم ، وقيل:إن في هذه الآية رداً على اليهود والنصارىٰ حين قالوا اتخذ الله ولداً ، وعلىٰ المشركين من العرب حين قالوا : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، ورداً على الصابئين والمجوس حين قالوا لولا أولياء الله لذل الله .

تمّت ولله الحمد سورة الإسراء وتفسيرها

سورة الكهف

وهي مكية ، قال ابن عباس إلا آية « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم .... » فإنها نزلت بالمدينة في قصة عيينة بن حصن الفزاري .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجا (١)
قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصلحت أن لهم أجرا حسنا (٢) مكثين فيه أبدا (٣) وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا (٤) ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة
تخرج من أفوههم إن يقولون إلا كذبا (٥) فلعلك بخع نفسك
على آثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦)

يأمر سبحانه عباده أن يحمدوه ويشكروه (الذي أنزل على عبده) محمّد (ص) انزل عليه القرآن ، وخصّه برسالته ، قيماً على سائر الكتب المتقدمة دائماً الى يوم القيامة ولم يجعله معوجاً لا يستقيم ، لينذر العباد ويخوفهم إن لم يؤمنوا به ، ويبشر المصدقين بالله ورسوله ، الذين يدعمون ايمانهم بالعمل الصالح (أن

لهم أجراً حسناً) في الآخرة جزاء إيمانهم وطاعتهم وهي الجنة (ماكثين فيه) أي خالدين فيها لا يخرجون منها ابداً (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) أي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله ، وهم قريش ، وقيل: هم اليهود والنصارى ، وأن ليس لهؤلاء القائلين بالباطل ولا لآبائهم من علم وبينة على افترائهم ، عظمت الكلمة التي خرجت من أفواههم بحق الله تعالى (إن يقولون إلا كذباً) (فلعلك يا محمّد مهلك :نفسك على أثار قومك الذين قالوا (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا . . .) إن لم يؤمنوا بهذا القرآن حزناً عليهم وتلهفاً الى صلاحهم .

قوله تعالى :

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

بيّن سبحانه أنه ابتدأ خلقه بالنعم من الأنهار والأشجار وأنواع المخلوقات من الجماد والنبات ، وأن ذلك زينة للأرض ومَن عليها ، وفي ذلك امتحان واختبار للعباد ليظهر أيّهم أحسن عملاً بالنعم وشكراً لها ، كما أنه سبحانه ذُكر بمصير الأرض وخرابها بعد العمار (وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً) مستوياً يابساً لا نبات عليه .

قوله تعالى :

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ

رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾

الكهف : المغارة في الجبل فإذا صغر الكهف فهو الغار ، والرقيم:اصله من الرقم وهو الكتابة ، وضربنا على آذانهم:أي سلطنا عليهم النوم ، والحزب الجماعة ، والأمد:الغاية .

وعن ابن عباس : أن النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط انفذهما قريش الى أحبار اليهود بالمدينة ، وقالوا لهما:سلاهم عن محمّد وصفا لهم صفته ، وخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن النبي (ص) فقال لهما أحبار اليهود : اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نباه ، وسلوه عن الروح ما هو . فانصرفا الى مكة وقصّا على قريش قول اليهود ، فجاؤوا الى النبي (ص) فسألوه فقال أخبركم بما سألتم عنه غداً ، فانصرفوا عنه فمكث (ص) خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبرئيل ، حتى أرجف أهل مكة وتكلّموا في ذلك ، فشقّ على رسول الله (ص) ما يتكلّم به اهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل (ع) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ماسألوه عنه (أم حسبت) يا محمّد أن تأخر الوحي عنك بهذا أمراً عجباً ، أو أن أمر أهل الكهف عجيب مع أن خلق السموات والأرض أعجب ، وذلك طمعاً منك بايمانهم ، وأنك إذا أخبرتهم آمنوا ، والمراد بالكهف

الجبل الذي آوى اليه القوم الذين قصّ اليه أخبارهم، والرقيم: اسم الوادي الذي كان فيه الكهف . وقيل: الرقيم الجبل نفسه ، أو هو القرية التي خرج منها أصحاب الكهف ، أو هو لوح من حجارة كتبوا عليه قصة أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف ، وقيل: ان أصحاب الرقيم هم غير اهل الكهف ، وأنهم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسدّ عليهم فقالوا لندعوا الله تعالى كل واحد منّا بعمله حتى يفرج الله عنا ، ففعلوا فنجاهم الله تعالى (فاذكر) يا محمّد لقومك إذ التجأ أولئك الشباب الى الكهف وجعلوه مأواهم هرباً الى الله سبحانه بدينهم ودعوا الله أن يصلح حالهم وأن يهيأ لهم نجاة من قومهم ، أوهيء لنا مخرجاً من الغار ، وكان هؤلاء الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون إيمانهم خوفاً من ملكهم وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو اليها ويقتل من خالفه ، وقيل: انه كان مجوسياً يدعو الى دين المجوسية ، والفتية كانوا على دين المسيح (ع) ، وقيل: انهم كانوا من خواص الملك ويخفي كل واحد منهم ايمانه عن صاحبه ، ثم اتفق أنهم اجتمعوا واظهروا أمرهم ، فأووا الى الكهف ، فأجاب الله دعاءهم ، وسد آذانهم بالنوم الشديد ، وأنهم لم يموتوا وكانوا نياماً في أمن وراحة (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من نومهم لننظر أي الحزبين من المؤمنين والكافرين أعرف بمدة لبثهم في الكهف .

قوله تعالى :

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ
هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا
﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ

بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾

(نقصّ عليك)أي نلتو عليك يا محمّد خبرهم بالحق والصدق ، (إنهم فتية) أي أحداث شبان(آمنوا بربهم وزدناهم هدىً) وبصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه (وربطنا على قلوبهم) أي شددنا على قلوبهم بالألطاف والأفكار المقوية للإيمان حتىٰ وطنوا انفسهم علىٰ إظهار الحق والصبر والمشاق ومفارقة الوطن ، إذ قاموا اولاً وفي مجلس ملكهم الجبار الكافر وأعلنوا أنهم لا يعترفون به وبعبادته ، وإنما ربهم (رب السموات والأرض) وخالقهما ، وأن الدعوىٰ مع الله إلهاً آخر دعوىٰ باطلة وتجاوزاً للحق . ثم رثوا لحال قومهم في عبادتهم لغير الله ، وأنهم لا حجّة لهم بينة علىٰ عبادة غير الله (فمَن أظلم ممّن افترىٰ علىٰ الله كذباً) فزعم أن له شريكاً في العبادة (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) قال ابن عباس : وهذا من قول تمليخا وهو رئيس أصحاب الكهف حين دعا المؤمنين معه لإعتزال المشركين وما كان يعبدون من الأصنام والأوثان ، واقتصروا علىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده ، وحينها فلا بد من اعتزالهم بدنياً (فأووا الىٰ الكهف ينشر . . .) ليبسط الله عليكم من نعمته ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويصلح لكم من أمر معاشكم ، وفي هذا دلالة علىٰ عظم منزلة الهجرة في الدين وعلىٰ قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر اعوذ بالله من ذلك .

قوله تعالى :

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

بيّن سبحانه حال أهل الكهف وهم نيام في الكهف ، وأن الشمس تميل وقت طلوعها عن كهفهم الى جهة اليمين (وإذا غربت تقرضهم) أي تميل عنهم وتتركهم الى جهة الشمال ، ولا تدخل كهفهم كيلا يؤذيهم حرها (وهم في فجوة منه) أي في متسع ينالهم الريح ، ولو رأيتهم لحسبتهم متنبهين ، وقيل:انهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان ، قيل:انهم هربوا من ملكهم ليلاً فمروا براعٍ معه كلب فتبعهم الراعي على دينهم وتبعه كلبه (باسط ذراعيه بالوصيد) أي بفناء الكهف (لو اطلعت عليهم) ورأيتهم في كهفهم لفررت عنهم خوفاً ولملئ قلبك فزعاً ، ذلك أن الله حماهم بالرعب لئلا يصل اليهم احد وحتى لا ينالهم مكروه من سبع وغيره ، وقيل:انهم كانت اظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ، وكان ذلك مدعاة للإستيحاش منهم .

قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

(وكذلك بعثناهم) أي كما فعلنا بهم الأمور العجيبة ، وحفظناهم تلك المدة الطويلة ليكون بينهم تساؤل في مدة لبثهم فيتبهوا لمعرفة خالقهم ويزدادوا يقيناً الى يقينهم ، قال المفسرون:إنهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوماً ، فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم ، وكان قد بقي من النهار بقية ، والورق الدراهم ، وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم ، والمدينة هي التي خرجوا منها (فلينظر أيها ازكى طعاماً) أي اطهر وأحل ذبيحة ، لأن عامتهم كانوا مجوساً ، وفيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم (وليتلطف) أي ليدقق النظر ويحاذر بلطف لئلا يطلع عليه أحد ولا يخبر بمكانكم وبأمركم احداً من اهل المدينة خوفاً منهم إن اطلعوا عليهم أن يقتلوهم (أو يعيدوكم في ملتهم) ويردوكم الى دينهم دين الكفر والمجوسية .

قوله تعالىٰ :

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا
رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا
رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا
﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِ
سُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ
إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

(وكذلك أعثرنا عليهم) أي وكما أنمناهم ، وبعثناهم ، أعثرنا عليهم أهل المدينة . فقد ذكر المفسرون أنهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف أمر الملك أن يُسد عليهم باب الكهف ويتركوهم في الكهف فيموتوا عطشاً وجوعاً ، وليكن كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم ، ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وقصتهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان الذي على باب الكهف وقالا لعل الله يظهر علىٰ هؤلاء

الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم ويتعظوا بهم ، ثم انقرض أهل ذلك الزمان وجاءت بعدهم قرون وملوك كثيرة ، وملك أهل البلد رجل صالح وشاع في زمانه من يكذب بالبعث والحساب ، فكبر ذلك على الملك الصالح وسأل الله آيةً تبيّن لقومه أن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها فبعث الله الفتية من نومهم ، فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً فاطّلع الناس على أمرهم ، ولما بلغ الملك خبرهم حمد الله على تلك الآية واعتبرها اجابةً لدعائه ، فركب ومعه خلق من مدينته حتى أتوا الكهف فذلك معنى قوله(أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله) بالبعث والثواب والعقاب حق وأن القيامة صدق لا شك فيها ، فإن من قدر على أن ينيم جماعةً تلك المدة المديدة وهم أحياء ثم يوقظهم ، فإنه سبحانه قادر على أن يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي فعلنا ذلك حتى يتنازعوا في البعث فمنهم مَن انكره ، ومنهم مَن قال تبعث الأرواح دون الأجسام . وقيل:إن نزاعهم كان في مقدار مكث اهل الكهف وفي عددهم ، وفيما يفعلونه بهم فإنهم لما دخل الملك ومَن معه عليهم في الكهف وجعلوا يسألونهم ، سقط أهل الكهف أموات ، فقال الملك إن هذا الأمر عجيب فما ترون ؟ فاختلفوا فقال بعضهم:ابنوا عليهم بنياناً كما تبنى المقابر ، وقال بعضهم:اتخذوا مسجداً على باب الكهف ،وهذا التنازع بعد العلم بموتهم .

وقيل في معنى (ربّهم أعلم بهم) أي اعلم الحياء هم نيام أم أموات (قال الذين غلبوا على امرهم) وهم الملك المؤمن وأصحابه ، أو المؤمنون من أولياء التصرف بالكهف قالوا (لنتخذنّ عليهم مسجداً) أي معبداً وموضعاً للعبادة ببركات أصحاب الكهف ، وقد روي أن أصحاب الكهف لما دخل صاحبهم اليهم وأخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألوا الله تعالى أن يعيدهم الى حالتهم الأولى فأعادهم اليها ، وحال بين من قصدهم وبين الوصول اليهم فضلوا الطريق الى الكهف ولم يهتدوا اليه ، وقد اختلفوا في عددهم (سيقولون

ثلاثة . . .) وقيل إن هذا إخبار من الله تعالىٰ بأنه سيقع نزاع في عددهم ، ثم وقع ذلك لما وفد نصارىٰ نجران الىٰ النبي (ص) فجرى ذكر أصحاب الكهف ، فقالت اليعقوبية منهم : كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، وقالت النسطورية : كانوا خمسة سادسهم كلبهم ، وقال المسلمون : كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (قل) يا محمّد (ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) من الناس ، أو من اهل الكتاب . وقد روي عن ابن عباس : أنهم سبعة وثامنهم كلبهم ، ولعله عرف ذلك من رسول الله (ص) (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل الخائضين في عددهم وشأنهم إلا بمّا أظهرنا من أمرهم (ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً) اي لا تسأل أهل الكتاب في أمر اهل الكهف وعددهم . (ولا تقولنّ لشيء إنّي . . .) إلا أن تقيد قولك بمشيئة الله تعالىٰ فتقول إنشاء الله . وقيل بمعنى المصدر ، وتقديره ولا تقولنّ إني فاعل شيئاً غداً إلا ما يشاء ويريده ، ولا يريد الله إلا الطاعات . وقيل:هو نهي عن أن يقول الإنسان سأفعل غداً ، وهو قد لا يفعل بالموت أو المرض أو الموانع الأخرىٰ فيكون كاذباً بوعده إلا إذا قال إنشاء الله ، فإن ذلك اضمن لصدق الحديث، فإن فعله فبها ، وإن حدث ما يمنعه من ذلك فمعناه لم يشأ الله فهو ليس بكاذب . (واذكر ربك إذا نسيت) الإستثناء بمشيئة الله سبحانه ثم تذكرت فقل إنشاء الله وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة كما عن ابن عباس ، وروي ذلك عن ائمتنا (ع) ، وقيل:اذكر ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب ، وقيل: إذا نسيت الصلاة فصلّها إذا ذكرتها . (وقل عسىٰ أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً) ويعطيني من الآيات والدلالات علىٰ النبوة ما يكون لإرشاد الناس مما هو أدل من قصة أصحاب الكهف ، وقد أعطاه الله الآيات الكثيرة والبراهين العظيمة .

قوله تعالىٰ :

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ
مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

أخبر سبحانه عن مقدار لبث أهل الكهف في كهفهم ، فانّ حاجّك يا محمّد أهل الكتاب في أمر أهل الكهف ومدة مكثهم (قل الله أعلم بما لبثوا) وقد أخبر الله بذلك فخذوا بما أخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب ، فهو أعلم منهم بذلك ، وهو البصير السميع ، العالم بغيب السموات والأرض (ولا يشرك في حكمه أحداً) من العباد وأن علم الغيب له وحده إلا من اطلعه الله على ذلك ، واقرأ يا محمّد عليهم ما أوحي اليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم ، واتبع القرآن واعمل به ، لا مغيّر لما أخبر الله به (ولن تجد من دونه ملتحداً) إن لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ أو موئلاً ، يقال لحدَ إلى كذا أو التحد إذا مال إليه .

قوله تعالى :

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا
تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾
وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا

بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

(واصبر نفسك) يا محمّد (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) ويداومون على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء يريدون بذلك وجه الله ورضوانه ولا تتجاوز عيناك عينهم بالنظر الى غيرهم من أبناء الدنيا (تريد زينة الحياة الدنيا) أي تريد مجالسة أهل الشرف والغنى ، وكان النبي (ص) حريصاً على إيمان العظماء من المشركين طمعاً في إيمان اتباعهم ، وانما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء طمعاً في إيمانهم ، فعوتب بهذه الآية ، وأمر بالإقبال على فقراء المؤمنين . (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي كان غافلاً قلبه وليس عليه من سمات المؤمنين شيء ، أو ولا تطع من اتبع هواه في شهواته وأفعاله (وكان أمره فرطاً) أي مفرطاً مسرفاً في ترك الإيمان والاستدلال بالآية ، أو مفرطاً متجاوزاً للحد في اتباع الهوى (وقل) يا محمّد لهؤلاء الذين امروك بطرد الفقراء من حولك قل لهم (الحق من ربكم) القرآن ، أو ما أتيتكم به لم آتكم به من نفسي وإنما هو من قبل ربكم فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله بايمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنّما يرجع النفع والضر اليهم . (إنا اعتدنا) أي هيأنا وأعددنا للكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله (ناراً أحاط بهم سرادقها) والسرادق حائط من نار ، وقيل: هو دخانها ولهبها (وإن يستغيثوا) من شدة العطش وحر النار (يُغاثوا بماء كالمهل) وهو كل شيء أذيب كالرصاص والنحاس ، وإذا قرب اليه سقطت فروة رأسه، وقيل: هو القيح والدم ، وقيل: انه ماء أسود ، وأن جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود ، وأهلها سود (وساءت مرتفقاً) أي ساءت النار متكئاً لهم، قيل: ساءت مجتمعاً ، أو منزلاً ومستقراً .

قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لما تقدم الوعيد عقّبه سبحانه بذكر الوعد ، وأنه سبحانه سيوفي للعاملين الصالحات أُجورهم من غير بخس ، وأنهم يقيمون أبداً في الجنة ، وقيل:عدن بطنان الجنة:أي وسطها (تجري من تحتهم الأنهار) لأنهم على غرف في الجنة أو هي أنهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض ، ويجعل لهم في الجنة حلي من أساور (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق) أي من الديباج الرقيق والغليظ . وقيل:هو الديباج المنسوج بالذهب ، متنعمين في الجنات على السرر (نعم الثواب) أي طاب ثوابهم وعظم (وحسنت مرتفقاً) أي موضع ارتفاق وقيل منزلاً ومجلساً ومجتمعاً .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا

وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ
جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا
أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا
مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

روي أنه تعالىٰ يعني رجلاً كان له بستانان كبيران كثيرا الثمار، وكان له جار فقير فافتخر الغني علىٰ الفقير وقال له(أنا اكثر منك مالاً وأعز نفراً)وقيل غير ذلك في تفسيرها . (جنتين) أي بستانين من الأشجار المحفوفة بالنخل ، ومن تمام حسن تلك الجنتين أن بينهما مزارع ، وكل واحد من البستانين آتت غلتها وأخرجت ثمرتها (ولم تظلم منه شيئاً) أي لم تنقص من ثمرها المرجو منها شيئاً ، وشققنا وسط الجنتين نهراً يسقيهما إتماماً للنعمة (وكان له ثمر) أي للنخل ثمر ، أو للرجل ثمر ملكه بالاضافة للبستانين فقال الكافر صاحب هذه النعمة لصاحبه المؤمن (وهو يحاوره) ويجادله (أنا اكثر منك مالاً وأعز نفراً) أي أعز عشيرة وقوماً ، أو أعز بكثرة خدمي وولدي ، ثم جاء الكافر المغرور بماعنده الظالم لنفسه بكفره وعصيانه ، وهو يقول ما أظن أن تفنىٰ هذه البساتين والثمار ، أو ما أظن أن هذه الدنيا تفنىٰ وما أحسب أن القيامة آتية ، ولئن قامت القيامة والبعث كما يقول المؤمنون الموحدون لأجدنّ خيراً من هذه الجنة ، فكما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منها لكرامتي عليه ظناً منه بأن ما أُعطي في الدنيا كان

بكرامته على الله . وفي هذا دلالة على أنه لم يكن قاطعاً على نفي المعاد بل شاكاً فيه .

قوله تعالى :

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ
مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ
رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ
اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي
أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ
طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ
لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

بيّن سبحانه تمام قصة الرجلين وجواب المؤمن للكافر (أكفرت بالذي خلقك . . .) ونقلك من حال الى حال حتى جعلك بشراً سوياً معتدل الخلقة

والقامة،وفي هذا دليل على أن الشك في البعث والنشور كفر . (لكنّا هو الله) تقديره لكن أنا اقول هو الله ربي وخالقي ورازقي ، فإن افتخرت عليّ بدنياك فأنا افتخر عليك بالإيمان بالله وتوحيده . ثم قال المؤمن لصاحبه الكافر وهو يعظه هلّا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار والزروع شكرت الله تعالىٰ وقلت ما شاء الله كان ، ولو شاء الله لنزع البركة منه ، وإنك أيها الكافر إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالاً وعشيرة وأولاداً فلعل الله أن يؤتيني بستاناً خيراً من بستانك في الدنيا والآخرة ويرسل على بستانك عذاباً وناراً من السماء حسباناً:أي حساب وجزاء ما كسبت يداك (فتصبح صعيداً زلقاً) أي أرضاً مستوية لا نبات فيها تزلق عنها القدم ، أو يغور ماؤها في باطن الأرض ، وحينها فلن تقدر على طلبه إذا غار ، ولا إيجاد بدله ماءً . الى هنا انتهىٰ المؤمن من جواب ومناظرة صاحبه الكافر وانذاره . فقال سبحانه (وأُحيط بثمره) أي أحاط العذاب والدمار بثمر البستان فهلكت عن آخرها (فأصبح) الكافر (يقلّب كفيه) تأسفاً وحسرةً (على ما أنفق فيها) من الأموال والمتاعب ، وهو يرىٰ جنّته وأشجارها ساقطة علىٰ سوقها وقد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها وأظهر الندم علىٰ ما بدر منه من الشرك بالله تعالىٰ وعدم الإيمان بالبعث والحساب ، ولم يجد الكافر من ينصره ويدفع الضر والدمار عنه وعن بستانه (هنالك الولاية لله الحق) وأن الولاية بالنصر والاعتزاز لله عز وجل فهو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين ويملك النصرة لمَن أراد . وقيل فيه اشارة ليوم القيامة ، وأن الولاية يوم القيامة لله ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين ، وهو أفضل وخير من يرجىٰ ثوابه ، وعاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره .

قوله تعالىٰ :

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَاءِ

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ
نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ
مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ
الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ
هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا
مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

أمر سبحانه نبيّه محمّداً (ص) أن يضرب المثل للدنيا تزهيداً فيها وترغيباً في الآخرة وقد تقدم تفسير معنى الآية الأولى في سورة يونس . (هشيماً) بمعنى كسيراً مفتتاً ، تنقله الرياح من موضع الى موضع ، وأن انقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات ، وأن الله مقتدر على كل شيء ، وان ما شاهدتموه ليس جديداً على قدرة الله سبحانه ، وهذا المثل للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم ، واستنكفوا عن مجالسة الفقراء من المؤمنين . ثم قال سبحانه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) أي يتفاخر بهما في الدنيا (والباقيات الصالحات)من الطاعات والحسنات (خير

عند ربك) أي أفضل عند ربك ثواباً . (وخيرٌ أملاً) وأصدق أملاً يؤمل منه الخير ، وأحسن من المال والبنين . وروىٰ انس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال لجلسائه خذوا جُنّتكم ، قالوا أحذر عدو ؟ قال (ص) خذوا جُنّتكم من النار ، قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنّهن المقدمات وهنّ المجيبات وهنّ المعقبات ، وهنّ الباقيات الصالحات .

وقيل في ذلك معان كثيرة أخرىٰ ، منها أن الباقيات هي الصلوات الخمس ومن الباقيات الصالحات صلاة الليل ، وقيل هن البنات الصالحات والأولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات والخيرات (ويوم نسيّر الجبال) واذكر يا محمّد يوم القيامة الذي نسيّر فيه الجبال ونقلعها من اماكنها ونجعلها هباءاً منثوراً (وترىٰ الأرض بارزةً) أي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل أو بناء أو شجر يسترها (وحشرناهم) أي بعثناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف ، فلم نترك منهم أحداً إلا حشرناه ، ويعرضون على الله تعالىٰ يوم القيامة مصفوفين وحينها ينادون (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) حينما كنتم فقراء ضعفاء كما كنتم في بدء خلقكم ، أو بمعنى جئتمونا وليس معكم شيء مما كسبتموه وافتخرتم وتزينتم به من الأموال والأولاد والخدم ، وروي عن النبي (ص) أنه قال: يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاةً عراةً عزلاً ، فقالت عائشة: يا رسول الله أما يستحي بعضهم من بعض ؟ فقال (ص) : (لكل امريء منهم يومئذٍ شأن يغنيه)(بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) أي ويقال لهم زعمتم في دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعداً للبعث والحساب . وحينها وُضعت صحائف بني آدم فيحاسبون علىٰ أعمالهم المكتوبة (فترى المجرمين مشفقين) خائفين مما في الصحائف من الفضائح والأعمال السيئة (ويقولون يا ويلتنا) هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع في شدة فيدعو علىٰ نفسه بالويل والثبور وهو يرىٰ صحائفه وكتابه لا يغادر ولا يترك صغيرة

من الذنوب ولا كبيرة إلا اثبتها وحواها ، ووجدوا جزاء ما عملوا حاضراً ، ولا ينقص ربك ثواب محسن ، ولا يزيد في عقاب مسيء .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾

أمر سبحانه نبيّه محمّداً (ص) أن يذكّر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء أن يذكرهم بقصة ابليس وما أورثه الكبر ، وقد مر تفسير ذلك في سورة البقرة (٣٤) . (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعة ربه ، ثم خاطب سبحانه المتكبرين المشركين (أفتتخذونه وذرّيته أولياء . . .) أي أفتتبعون أمر ابليس وذريته وتتولونهم بالطاعة من دوني وهم اعداء لكم ، بئس البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن (وما أشهدتهم خلق السموات . . .) أي ما أحضرت ابليس وذرّيته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ، ولم استعن بهم على ذلك ، وانه سبحانه غني عن الأنصار والأعوان . (وما كنت متخذ المضلّين عضداً) أي

الشياطين الذين يضلّون الناس ما كنت اتخذهم أعواناً يعضدونني (ويوم يقول . . .) وذلك يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام (نادوا شركائي الذين زعمتم) في الدنيا إنهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب (فدعوهم) أي ان المشركين صاروا يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم من دون الله (فلم يستجيبوا لهم) ولم ينفعوهم شيئاً (وجعلنا بينهم) أي بين المؤمنين والكافرين (موبقاً) وهو اسم واد عميق فرّق الله به بين أهل الهدى وأهل الضلال ، وقيل (بينهم) أي بين المعبودين وعبدتهم جعلنا بينهم حاجزاً ، وقيل (موبقاً) عداوة مهلكة .

قوله تعالى :

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا
﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ
وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ
وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا
آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾

بيّن سبحانه حال المجرمين المشركين ، أو عموم اصحاب الكبائر ومدى فزعهم حينما رأى المجرمون النار وهي تتلظى حنقاً عليهم (فظنّوا أنهم مواقعوها)

أي علموا أنهم داخلون فيها واقعون في عذابها ، ولا يجدون موضعاً ينصرفون اليه فيتخلصوا من النار (ولقد صرّفنا) أي بيّنا في القرآن ورددنا الأمثال ليتفكروا فيها (وكان الإنسان) الكافر اكثر مجادلةً بالباطل ورداً علىٰ الحجج والآيات ، وقيل أُريد بالانسان خصوص النضر بن الحارث ، أو أبي بن خلف وما منع الناس من الإيمان بعد مجيء الأدلة ، ويستغفروا ربهم علىٰ ما سبق من معاصيهم (إلا أن تأتيهم سنّة الأولين) أي خوف أن تأتيهم العادة في الأولين من عذاب الاستئصال من حيث لا يشعرون (أو يأتيهم العذاب قبلاً) أي عياناً ومقابلة من حيث يرونه .

(وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أي لم نرسل الرسل الى الخلق إلا مبشرين بالجنة إذا اطاعوا ، ومخوفين بالنار إذا عصوا ، ثم بيّن سبحانه أن جدال الكفار كان بالباطل ولا حجّة لهم ولا برهان وإنما غرضهم (ليدحضوا به الحق)

قوله تعالىٰ :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

اي ليس أحد أظلم لنفسه ممن ذُكر ووعظ بالقرآن وآياته وما فيها من ادلة على توحيد الله فأعرض عنها ، ونسي المعاصي التي استحق بها العقاب (إنا جعلنا على قلوبهم اكنّة) جمع اكنان ، كأن على قلوبهم أكنّة أن يفقهوا تلك الآيات والحجج ، وفي آذانهم وقراً أن يسمعوها ، وذلك بسبب إعراضهم واصرارهم على عدم سماع الحق ، ثم اخبر سبحانه أنهم لا يؤمنون أبداً ، وربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ، ذو النعمة والإفضال على خلقه ، لا يؤاخذهم عاجلاً بل يؤخرهم ليتوبوا ، وإن لم يتوبوا فلن يفلتوا من عدل الله وحسابه (بل لهم موعد) هو يوم القيامة لن يجدوا منه ملجأ او منجأ ينجيهم (وتلك القرى) اشارة الى قرية عاد وثمود وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) بتكذيب أنبياء الله وجحود آياته ، وجعلنا لوقت هلاكهم موعداً معلوماً يهلكون فيه لمصلحة اقتضت تأخير اهلاكهم لذلك الوقت .

قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ

آثارهما قصصا ﴿٦٤﴾

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:أخبرني أبي بن كعب ، قال خطبنا رسول الله (ص) فقال : إن موسىٰ قام خطيباً في بني اسرائيل ، فسُئل أي الناس أعلم قال:أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه ، فأوحىٰ الله اليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك،قال موسىٰ يا رب كيف لي به؟قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل،ثم انطلق. فانطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون ، حتىٰ إذا أتيا الصخرة وضعا رأسهما فناما ، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سرباً ، وأمسك الله عن الحوت جري الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتىٰ إذا كان من الغد ، قال موسىٰ (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) فقال فتاه (أرأيت إذ أوينا الىٰ الصخرة . . .) قال وكان للحوت سرباً ولموسىٰ ولفتاه عجبا . فقال موسىٰ (ذلك ما كنّا نبغ) فرجعا يقصان آثارهما حتىٰ انتهيا الىٰ الصخرة فوجدا رجلاً مسجى بثوب فسلّم عليه موسىٰ ، فقال الخضر وأنى بارضك السلام،قال:أنا موسىٰ، قال:موسىٰ بني اسرائيل ؟ قال:نعم ، أتيتك لتعلّمني مما عُلّمت رشداً ، قال إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسىٰ ، إني على علم من علم الله لا تعلمه ، علّمنيه ، وأنت علىٰ علم من علم الله علّمك لا أعلمه . فقال له موسىٰ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فقال له الخضر فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتىٰ أُحدث لك منه ذكراً ، فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر فمرت سفينة وكلّموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول. فلما ركبا السفينة لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من الواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسىٰ : قوم قد حملونا بغير قول عمدت الىٰ سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي

صبراً ، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً ، قال: وقال رسول الله (ص) كانت الأولىٰ من موسىٰ (ع) نسياناً ، قال: وجاء عصفور فوقع علىٰ حرف السفينة فنقر في البحر فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر ، ثم خرجا من السفينة فبيناهما يمشيان علىٰ الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقلعه فقتله ، فقال له موسى : أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ، قال وهذه أشد من الأولىٰ ، قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني . . . الى قوله يريد أن ينقض كان مائلاً فقال الخضر[1] (ع) بيده فأقامه فقال موسىٰ (ع) قوم قد أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيّفونا لو شئت لاتخذت عليه أجراً ، قال هذا فراق بيني وبينك . فقال رسول الله (ص) : وددنا أن موسىٰ كان صبر حتىٰ يقص علينا من خبرهما .

قوله تعالىٰ :

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ

(١) هكذا في اكثر النسخ والمطبوعات ، واحتمل أحد المحققين للخبر انها مسبوقة بعبارة : فدفعه الخضر بيده فاقامه .

ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا
﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً
بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(فوجدا عبداً) أي صادف موسى وفتاه ، وأدركا عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلّي وهو الخضر (ع) واسمه ، إيليا بن ملكان ، وانما سمّي خضراً لأنه إذا صلّى في مكان اخضرّ ما حوله (قال إنك لن تستطيع معي صبراً) أي يثقل عليك الصبر ، لأن موسى (ع) كان يأخذ الأمور على ظواهرها ، والخضر كان يحكم بما أعلمه الله من بواطنها . ثم بيّن سبحانه المسائل الثلاث التي عملها الخضر عليه السلام ، مع مخالفتها بالظاهر للأحكام الشرعية ، واعتراض موسى (ع) على أفعال الخضر وتهديد الخضر لموسى بالمقاطعة وتذكيره بوعد الصبر .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجُزءُ السَّادِس عَشَر
مِنَ القرآن الكَريم

قوله تعالى :

قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصحبني قد بلغت من لدني
عذرا ﴿٧٦﴾ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها
فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه
قال لو شئت لتخذت عليه أجرا ﴿٧٧﴾ قال هذا فراق بيني وبينك
سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴿٧٨﴾ أما السفينة فكانت
لمسكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك
يأخذ كل سفينة غصبا ﴿٧٩﴾ وأما الغلم فكان أبواه مؤمنين
فخشينا أن يرهقهما طغينا وكفرا ﴿٨٠﴾ فأردنا أن يبدلهما ربهما
خيرا منه زكوة وأقرب رحما ﴿٨١﴾ وأما الجدار فكان لغلمين
يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صلحا فأراد
ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته
عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴿٨٢﴾

قال موسىٰ للخضر (ع) إن سألتك عن شيء آخر بعد هذه الأشياء فلا تصاحبني ولقد أعذرت فيما بيني وبينك ، وقدّمت إليّ ما وجب أن اعذرك . وروي ان النبي محمّداً(ص) تلا هذه الآية فقال: استحىٰ نبي الله موسىٰ، ولو صبر لرأىٰ الفاً من العجائب. (فانطلقا حتىٰ أتيا اهل قرية) هي انطاكية، وقيل إيلة ، وقيل هي قرية علىٰ ساحل البحر يقال لها الناصرة ، وبها سميت النصارىٰ نصارىٰ ، وطلبوا من اهل القرية الطعام والضيافة فلم يضيّفوهما ، وكانوا أهل قرية لئام . ووجدا جداراً مشرفاً علىٰ الإنهدام (فأقامه) أي سواه وقومه ، فعجب موسى من ذلك ، وقال للخضر لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتىٰ نسد جوعنا (قال) الخضر لموسىٰ بعد هذا الإعتراض (هذا فراق بيني وبينك) ولك عليّ أني (سأنبئك) وأخبرك بتفسير الأشياء التي لم تستطع السكوت عنها من خلال مصاحبتك لي ، اما سبب خرق السفينة فكانت لفقراء لا مورد لمعاشهم غيرها ، وكان هناك ملك جبار يجوب البحر فيغتصب كل سفينة صالحة للعمل ، فاذا رآها معيبة تركها ، فيعود لها أهلها المساكين ويصلحوها وينتفعوا بها (وأما الغلام) فكان كافراً وأبواه مؤمنين ، وقد ورد في الأخبار أن الغلام كان بالغاً ، فخفنا أن يحمل أبويه علىٰ الكفر والطغيان أو أن يدافعا عنه شفقةً وتعصباً ، فيؤدي الىٰ مخالفتهما للحق . وروي انهما أبدلا بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبياً ، عن أبي عبدالله (ع) . وقيل: أنه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً هدى الله علىٰ يديه أمةً من الأمم .

قال قتادة ، قال مطرف : أيم الله إنا لنعلم انهما فرحا به يوم ولد ، وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتها، فرضي رجل بما قسم الله له، فان قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه ، وما قضي لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضي لك فيما تحب ، فاستخر الله وارض بقضائه . ولما علم الله تعالىٰ أن أبويه لا يثبتان علىٰ الايمان إلا بفراقه، وكان بقاؤه مفسدة كان من لطف الله تعالىٰ أن امر الخضر

بقتله . (وأما الجدار . . .) الكنز:هو كل مال مذخور ، قيل:كان الكنز لوحاً من ذهب وفيه مكتوب (عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب ، عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمّد رسول الله) وبيَّن سبحانه أن حفظ الغلامين ببركات صلاح أبيهما ، قال (ص) إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله . (وما فعلته عن أمري) أي قال الخضر ما فعلت ما رأيته مني وانما هو من الله تعالى وما كشفه عليَّ ، ذلك تأويل ما ثقل عليك مشاهدته واستنكرته .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا
مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ
عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ
حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾

بيَّن سبحانه قصة ذي القرنين ، قل يا محمّد حين يسألونك عن قصته ،

سأتلوا عليكم من قصته ذكراً ، واختلف فيه فقيل انه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض وقيل:انه كان ملكاً عادلاً ، وروي عن علي (ع) : انه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله وناصح الله وناصحه ، وقد أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع اليهم فدعاهم الى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف ، فذلك قرناه ،وفيكم مثله . يعني نفسه . وفي سبب تسميته بذي القرنين أقوال أُخر ، منها انه كانت له ضفيرتان ، ومنها أنه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العمامة ، ومنها أنه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب ، فسمي بذلك لإستيلائه على قرن الشمس من مغربها ، وقرنها من مطلعها ، ومنها أنه عاش قرنين ، وغير ذلك من الأسباب ، وأن الله بسط يده في الأرض وملكه وقام لمصالحها . (وآتيناه من كل شيء سبباً) أي علماً يبلغ به حاجته ، ويستعين به على فتح البلاد ومحاربة الأعداء ، فاتبع طريقاً واحداً في سلوكه (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي موضع غروبها ، وهو آخر المعمورة من المغرب ،وتراءى له كأن الشمس تغرب وتغيب في عين، والحمأة : الطين الأسود المتن ، والحامية الحارة . لأن مَن كان في البحر ونظر الى الشمس وقت مغيبها رآها كأنها تغيب في الماء ومَن كان في البر يراها كأنها تغيب في الأرض الملساء . ووجد عند العين قوماً لم يكن وراءهم أحد ، وقيل:إن القوم كانوا كافرين وأمر أن يعذبهم بالقتل على كفرهم وإصرارهم على الكفر ، وأما أن تأسرهم لعلهم يهتدون ، وكان حكم الاسكندر أن قتل المشركين منهم ، وأنهم بعدَ ذلك القتل والتعذيب على يد الاسكندر يردون الى ربهم فيعذبهم عذاباً نكراً أي غير معهود وهو أشد القتل .

قوله تعالى :

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا

يُسۡرٗا ٨٨ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ
عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا
لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢

(وأما من آمن وعمل صالحاً . . .) سنقول له قولاً جميلاً وسنأمره بما يتيسر عليه ولا نؤاخذه بما مضىٰ من أيام كفره (ثم اتبع سبباً) أي طريقاً آخر من الأرض يوصله الىٰ المشرق حتىٰ إذا وصل الىٰ آخر المعمورة من المشرق مما تطلع عليه الشمس (وجدها تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) فلم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء يسترهم عن الشمس ، ولم يعلموا صنعة البيوت . وقد احاط الله بما كان عند ذي القرنين من الجيوش والعدة والسياسة . (ثم اتبع سبباً) أي اتبع مسلكاً وطريقاً ولم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه ، وإنما أخذ في طريق آخر ، وهذا يقوي القول إن الأرض كروية الشكل .

قوله تعالىٰ :

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ
قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا
مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا
٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ

إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾

أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد رجوعه عن المشرق ، وأنه سلك طريقاً الى أن بلغ السدين وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما (وجد من دونهما) أي وجد هناك قوماً لهم لغة خاصة بهم لا يفهمون غيرها ولا يفهمهم الغير إلا قليلاً . (قالوا يا ذا القرنين . . .) وشكوا الى ذي القرنين ما يلاقونه من يأجوج ومأجوج وأنهم مفسدون في الأرض ، وفسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلون ويأكلون لحومهم ودوابهم ، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابس إلا أخذوه ، وقد اختلف المفسرون في حقيقة يأجوج ومأجوج هل هم من البشر ، أم هم من الجن ، أم هم من الوحش وسكان البحار ، ثم إن أولئك القوم الذين شكوا الى ذي القرنين فساد يأجوج ومأجوج دعوه لحمايتهم وبناء سد بينهم ، وأعلنوا استعدادهم لأداء المال قبال ذلك (فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) والخراج ما يخرج عن الأرض والخرج مايخرج من المال ، أو ما يؤخذ من الرقاب ، أو ما يؤخذ سنوياً (قال) ذو القرنين (ما مكنني فيه ربي خير) حيث أعطاني خيراً كثيراً من المال وسعة الملك ، وهو خير مما تعرضون عليَّ من الأجر ، ولكن أعينوني بقوة الرجال والعمل في مشروع السد (اجعل بينكم وبينهم ردماً) أي سداً حاجزاً اعطوني قطع الحديد (حتى إذا ساوىٰ بين الصدفين) أي إن قطع الحديد ملأت ما بين الجبلين ، قال ذو القرنين اجحوا النار علىٰ قطع الحديد وانفخوا بمنافخ الحديد (حتىٰ إذا جعله ناراً) أي جعل الحديد كالنار فصار قطعة واحدة (قال أتوني أفرغ عليه قطراً)

نحاساً مذاباً ، أو صفراً أو حديداً مذاباً اصبّه على السد حتى ينسد الثقب الذي فيه ، ولما تم بناء السد لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويصعدوا على ظهره ، ولم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لصلابته ، قيل:إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط ، وقيل:أنه وراء دربند وخزران من ناحية ارمنية وآذرابيجان ، وقيل:إن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً ، قال ذو القرنين بعد تمام العمل ونجاحه (هذا رحمة من ربي) حين مكنني أن أدفع بهذا السد شر يأجوج ومأجوج (فإذا جاء وعد ربي) وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى جعل السد دكاً وأرضاً مستوية .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا
﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ

فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

أخبر سبحانه عن حال تلك الأمم (وتركنا) يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ، وقيل:انه أراد سائر الخلق من الجن والإنس وأن ذلك من علامات قيام الساعة بدليل قوله تعالى (ونفخ في الصور . .) ، واختلف في الصور ، قيل:هو جمع صورة ، فإن الله سبحانه يصور الخلق في القبور كما صورهم في أرحام الأمهات ثم ينفخ فيهم الأرواح وقيل:انه ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات ، فالنفخة الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق التي يعصق مَن في السماوات والأرض بها فيموتون ، والثالثة نفخة القيامة لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم (فجمعناهم جميعاً) أي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد ، وأظهرنا جهنم وأبرزناها حتى شاهدوها ورأوا الوان عذابها قبل دخولها ، وذكر سبحانه أن سبب دخول الكفار النار أنهم غفلوا عن ذكر الله وأعرضوا عن التفكر بآياته فهم بمنزلة من في عينه غطاء عن النظر (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) أي يثقل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى ، أفحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتخذوا من دونه أرباباً ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم . (قل) يا محمد هل اخبركم بأخسر الناس أعمالاً هم كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث بطل عملهم وهم يظنون أنهم محسنون ، وأن أفعالهم طاعة ، روى العياشي باسناده قال : قام ابن الكواء الى امير المؤمنين (ع) فسأله عن اهل هذه الآية ، فقال أولئك اهل الكتاب ، كفروا بربهم ، وابتدعوا في دينهم ، فحبطت أعمالهم وما أهل النهر منهم ببعيد يعني الخوارج . (فحبطت أعمالهم) أي فبطلت وضاعت أعمالهم لأنهم أوقعوها على خلاف

الوجه الذي أمرهم الله به ، فلا قيمة لهم ولا وزن ولا كرامة لهم عند الله ذلك جزاء كفرهم واتخاذهم رسل الله وآياته وأحكامه هزؤاً يسخرون بها .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)

لما تقدم ذكر حال الكفار عقّبه سبحانه بذكر حال المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات كان لهم بحكم الله وعدله الفردوس نزلاً وهو اطيب موضع في الجنة وأوسطها وأرغعها وأفضلها ، دائمين فيها (لا يبغون عنها حولاً) أي لا يطلبون عن تلك الجنات تحولاً الىٰ غيرها (قل)يا محمّد لجميع المكلفين ان قدرة الله واسعة لا يحصيها العادون (لو كان البحر مداداً . . .) يكتب به ما يقدر عليه الله من الحكم والكلمات ، وما يخلقه من الأشياء لفني ماء البحر ولم تنته مقدورات الله وحكمه وعجائب مخلوقاته ، ولو جئنا بمثل البحر مدداً وعوناً لما نفدت كلمات الله ، وهي القرآن وسائر كتبه سبحانه ثم علّم سبحانه نبيّه (ص) التواضع ، وأمره أن يقر علىٰ نفسه بأنه بشر كغيره ، إلا انه أكرم بالوحي ، وان الإله

هو الله وحده لا شريك له ، فمَن كان يطمع ويصدق بلقاء ثواب ربه ويأمله ، ويقر بالبعث والوقوف بين يديه سبحانه ، ويخشىٰ لقاء عذابه (فليعمل عملاً صالحاً) أي خالصاً يتقرب به الىٰ الله (ولا يشرك بعبادة ربه) ولا يرائي في عبادته احداً ، وروى عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قالا : سمعنا رسول الله (ص) يقول : من صلّىٰ صلاة يرائي بها فقد أشرك ، ومَن صام صوماً يرائي به فقد أشرك ، ثم قرأ (ص) هذه الآية . وقيل:ان هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن . وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه باسناده عن عيسى بن عبدالله عن ابيه عن جده عن علي (ع) قال : ما من عبد يقرأ : قل إنما أنا بشر مثلكم . . . الىٰ آخر الآية ، إلا كان له نوراً في مضجعه الى بيت الله الحرام فإن كان من بيت الله الحرام كان نوراً الى بيت المقدس . وقال أبو عبدالله (ع) : ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا يتيقظ في الساعة التي يريدها .

تمت ولله الحمد سورة الكهف وتفسيرها

سورة مريم

وهي مكية بالاجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً
خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ
بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ
رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

(كهيعص) قد تقدم في اول البقرة اختلاف العلماء في الحروف المعجمة في أوائل السور ، وروي عن ابن عباس انه قال : كاف من كريم ، وهاء من هاد ، وياء من حكيم ، وعين من عليم ، وص من صادق . وعلى هذا فإن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عز وجل كما روي عن علي (ع) انه قال في دعائه اسألك يا كهيعص . (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي هذا خبر وقصص رحمة

ربك بعبده زكريا حين اجابه على دعائه وسأله الولد . وزكريا اسم نبي من انبياء بني اسرائيل ، كان من أولاد هارون بن عمران أخي موسىٰ بن عمران (إذ نادىٰ ربه نداءً خفياً) أي سراً غير جهر . وفي هذا دلالة على أن المستحب في الدعاء الإخفات ، وقيل: إنما أخفى زكريا دعاءه لئلا يهزأ به الناس ، فيقال انظروا الىٰ هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر (ولم اكن بدعائك رب شقياً) أي لم اكن بدعائي إياك فيما مضى مخيّباً محروماً ، لأنك عودتني حسن الإجابة ، وما خيّبتني فيما سألتك . (وإني خفت الموالي) وهم الوراث من الأهل والعشيرة ، وكانوا اشرار بني اسرائيل (من ورائي) أي من خلفي ، فهب لي من لدنك ولداً يليني فيكون أولى بميراثي (ويرث من آل يعقوب) لأن زكريا كان متزوجاً بأخت أم مريم بنت عمران ونسبها يرجع الىٰ يعقوب ، واستدل أصحابنا بالآية على أن الأنبياء شأنهم شأن بقية البشر يورثون المال . والمراد هنا بالميراث المال دون العلم والنبوة ، فإنهما لا يورثان ، ولأن الميراث يطلق على ما ينتقل من المورث الىٰ الوارث . (واجعله ربّ رضياً) أي اجعل ذلك الولي الذي يرثني اجعله مرضياً عندك

قوله تعالىٰ :

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ
بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ
وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ
ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ

قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

بيّن سبحانه أنه استجاب دعاء زكريا ، وأوحى اليه (يا زكريا إنا نبشرك . . .) بأنه سيولد لك ولد اسمه يحيى ، وانه لم يُسم احد قبله بهذا الإسم . وفي ذلك تشريف له حيث ان الله سماه باسم لم يسبق له أحد . (قال ربّ أنى يكون لي غلام . . .) وكان المانع من انجاب الغلام عقر زوجته وعدم انجابها فيما مضى من السنين ، وكبر سن زكريا حتى وصل الى حد لا يحتمل أن يولد له ولد (وقد بلغت من الكبر عتياً) الى حد اليبس والجفاف ونحول العظم ، قال قتادة : كان له بضع وتسعون سنة (قال كذلك) أي قال الله سبحانه إن الأمر على ما اخبرتك من هبة الولد ، وان ذلك على الله هيّن بعد أن أنشأتك وأوجدتك ولم تك شيئاً موجوداً وذلك أعظم (قال رب إجعل لي آية) أي دلالة وعلامة استدل بها على وقت خلقته فقد ورد عن أبي جعفر (ع) قال إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين (قال آيتك) وعلامتك على حمل امرأتك بيحيى (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) أي وأنت سوي صحيح من غير علة ، قال ابن عباس : اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة ايام ، وقال قتادة والسدي اعتقل لسانه من غير بأس ولا خرس ، فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو الى الله ويسبّحه ، ولا يمكنه أن يكلم الناس ، وهذا امر خارج على العادة (فخرج على قومه من المحراب) أي من مصلاّه ، وسمّي المحراب محراباً لأن المتوجه اليه في صلاته كالمحارب للشيطان ، وكان زكريا قد أخبر قومه بما بشر به وبعلامة ذلك ، فلما خرج ولم يكلّمهم علموا إجابة دعائه فسرّوا به (فأوحى اليهم) أي أشار اليهم ، وقيل كتب لهم في الأرض (أن سبحوا بكرة وعشياً) أي صلّوا ، أو أراد التسبيح خاصة ، وقال ابن جريج : اشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلّي فيها لا يصعد اليها إلا بسلّم ، وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء ، فكان يخرج اليهم فيأذن لهم

بلسانه ، فلما اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام ، فعرفوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ، ويقدر على التسبيح والدعاء .

قوله تعالى :

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

هنا اجمل اختصار وأجمعه ، تقديره فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم والعقل وقلنا له (يا يحيى خذ الكتاب .) يعني التوراة وأنت قادر على أخذه قوي على العمل به بجد وصحة وعزيمة على القيام بما فيه . (وآتيناه الحكم صبياً) أي آتيناه النبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين كما روى ابن عباس ، وقيل ان الحكم الفهم (وحناناً من لدنا) الحنان العطف والرحمة بمعنى منحناه تحنناً على العبادة ورقة قلب ليدعوهم الى طاعة الله تعالى (وزكاة) أي وعملاً صالحاً زكياً (وكان تقياً) مخلصاً مطيعاً متقياً لما نهى الله عنه (ولم يكن جباراً) متكبراً متطاولاً على الخلق (عصياً) أي ولم يكن عاصياً لربه (وسلام عليه يوم . . .) أي سلام عليه منا في هذه الأيام وسلامة وأمان له منّا ، لأن تلك المواقف الثلاثة هي التي يستوحش فيها الانسان ، ويحتاج فيها للأمان .

قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا
أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عطف سبحانه قصة مريم وعيسى (ع) على قصة زكريا ويحيى (ع) (واذكر في الكتاب) أي في كتابك هذا وهو القرآن ، اذكر حديث مريم وولادتها عيسى (ع) وصلاحها ليقتدي الناس بها ، ولتكون معجزة لك ، وذلك حين انفردت من اهلها الى مكان في جهة المشرق انفردت للعبادة (فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبرائيل (ع) فأتاها جبرائيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح . قال عكرمة : كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد وكانت عند خالتها امرأة زكريا ايام حيضها ، فاذا طهرت عادت الى بيتها في المسجد ، فبينما هي في خلوتها في بيت خالتها خرج لها جبرائيل فأنكرته واستعاذت بالله منه إن كان تقياً لأن التقي إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله ، كما تقول إن كنت مؤمناً فلا تظلمني ، فلما سمع جبرائيل (ع) منها القول (قال إنّما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) طاهراً من الأدناس . فاستغربت مريم أن يكون لها ولد ولم تك متزوجة ، ولم ترتكب الزنا ، وانما يقال للفاجرة بغي بمعنى أنها تبغي الزنا أي تطلبه ، وفي هذه الآيات دلالة على جواز إظهار المعجزات لغير الأنبياء ، وقيل أن

تلك المعجزات هي أيضاً للانبياء فالأولى معجزة ليحيى (ع) ، والثانية لعيسى (ع) .

قوله تعالى :

قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا
(٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ
هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ
رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ
رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ
أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)
يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا
(٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ
إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)

(قال كذلك) أي قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة ، بأن الأمر يا مريم كما وصف لك ، وان إحداث حمل من غير زوج للمرأة سهل على الله تعالىٰ (ولنجعله آية) باهرةً للناس ، ودلالةً علىٰ براءته (ورحمةً منّا) علىٰ الخلق يهتدون بسببه (وكان امراً مقضياً) أي خلق عيسىٰ من غير أب امراً محتوماً قضىٰ الله أن يكون (فانتبذت به مكاناً قصياً) أي تنحّت بالحمل الىٰ مكان بعيد حياءً من أهلها ، وخوفاً أن يتهموها بسوء ، واختلفوا في مدة حملها ، فمن قائل أنها ولدته في ساعة حمله ، أو آخر النهار ، وقيل: ستة اشهر أو ثمانية اشهر (فأجاءها المخاض) أي ألجأها الطلق ووجع الولادة فالتجأت الىٰ جذع النخلة تستند اليها ، فلما ولدت (قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً) أي شيئاً مهملاً لا يذكر ، فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها (فناداها من تحتها) وكان اسفل منها تحت أكمة (ألا تحزني) وقيل: ناداها عيسىٰ (ع) ليزول ما عندها من الغم والجزع (قد جعل ربك تحتك سريّا) أي نهراً تشربين منه وتتطهرين من النفاس ، وكان نهراً قد انقطع الماء عنه ، فأرسل الله الماء فيه لمريم ، وأحيىٰ ذلك الجذع حتىٰ أثمر وأورق، وقيل: ضرب عيسىٰ برجله فظهرت عين ماء تجري ، وقيل: السري هو عيسىٰ (ع) والسري معناه الشريف الرفيع ، فكلي يا مريم من رطب تلك النخلة واشربي من الماء (وقري عيناً) بمولودك (فاما ترينّ من البشر أحداً) وسألك عن ولدك (فقولي إني نذرت للرحمن صوماً) أي صمتاً وألزمت نفسي أن لا أتكلم ، أو أن الله أمرها بأن تنذر لله الصمت ، وإذا كلّمها احد تومي بأنها نذرت لله صمتاً ، فأتت مريم بعيسىٰ الىٰ قومه (قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) أي أمراً عظيماً ، إذ لم تلد أُنثىٰ قبلك من غير رجل ، وقيل: بمعنى أمراً قبيحاً منكراً ، من الإفتراء وهو الكذب . (يا أُخت هارون) قيل: إن هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح ، ومعناه يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفاً منك ، وقيل: ان هارون كان أخاها لأبيها

وكان معروفاً بالصلاح ، وقيل:إن هارون هذا كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالعهر والفساد ، وكان في تشبيهها به شتماً وتعييراً لها ، فاومات الى عيسى (ع) بأن كلموه واسألوه عن براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف نكلم صبياً في المهد ، وغضبوا عليها وظنوها تسخر منهم ، فتكلم عيسى (ع) وقدم إقراره بالعبودية لله تعالى ، ليبطل به قول من يدعي لعيسى الربوبية ، وكان الله انطقه بذلك لعلمه بما يقوله المغالون فيه (آتاني الكتاب وجعلني نبياً) أي حكم لي باتيان الكتاب والنبوة، بمعنى سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبياً ، وكان كل ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها .

قوله تعالى :

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

بيّن سبحانه تمام كلام عيسى (ع) ، وفي هذه الآية دلالة على أنه يجوز أن يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها لغيره لا على وجه الافتخار . قيل : ولما كلّمهم عيسى (ع) بهذا علموا براءة مريم ، ثم سكت عيسى (ع) فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم)

الذي قال إني عبدالله ، لا ما يقوله النصارىٰ من أنه ابن الله ، وأنه إله ، ويمترون فيه ويشكون ، فزعمت النصارىٰ أنه ابن الله ، وثالث ثلاثة ، وزعمت اليهود انه ساحر كذاب ، فكذبهم الله جميعاً وانه (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي لا يصلح أن ننسب لله ولداً (سبحانه) وتنزيهاً له عن اتخاذ الولد .

قوله تعالىٰ :

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

واختلف الأحزاب من اهل الكتاب في أمر عيسىٰ (ع) فقال قوم منهم هو الله ، وهم اليعقوبية ، وقال آخرون هو ابن الله ، وهم النسطورية . وقال آخرون هو ثالث ثلاثة ، وهم الاسرائيلية . وقال المسلمون هو عبدالله ورسوله . (فويل) أي فشدة عذاب ، وهي كلمة وعيد (للذين كفروا) بالله بقولهم بعيسىٰ غير الحق (من مشهد يوم عظيم) أي من موقف يوم القيامة ومن الفضيحة علىٰ رؤوس الأشهاد (أسمع بهم وأبصر) أي في يوم القيامة ما أسمعهم وما أبصرهم (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) يعني أن الكافرين في الدنيا آثروا الضلال علىٰ

الهدىٰ (وأنذرهم يوم الحسرة) الخطاب للنبي محمّد (ص) ، أي خوف يا محمّد كفار مكة يوم يتحسر المسيء فيقول هلّا أحسنت العمل ، ويتحسر المحسن فيقول هلّا ازداد العمل (إذا قضي الأمر) وانقطعت الآمال ، وادخل اهل الجنة الىٰ الجنة وأهل النار الىٰ النار ، وقيل قضي أي حكم بالعدل . (وهم في غفلة) في الدنيا ، وأنهم مشغولون بما لا يعنيهم ، غافلون عن الآخرة لا يصدقون بما تدعوهم اليه .

قوله تعالىٰ :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا
﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ
صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾

بيّن سبحانه قصة ابراهيم الخليل (ع) واذكر يا محمد في القرآن (ابراهيم إنه كان صديقاً) أي كثير التصديق في أمور الدين وفيما يخبر به عن الله تعالى إذ قال لأبيه آزر (لم تعبد ما لا يسمع) دعاءك (ولا يبصر) تقربك اليه . وآزر هذا جد ابراهيم لإجماع الطائفة على أن آباء نبينا الى آدم (ع) كلّهم مسلمون موحدون ، ولما روي عنه (ص) أنه قال:لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا (قال) أي آزر مجيباً لإبراهيم (ع) حين دعاه الى الإيمان (أراغب أنت عن آلهتي) أي معرض عن عبادة الأصنام (لأرجمنّك) بالحجارة ، أو لأرمينك بالذنب والعيب ، أو لأقتلنّك (واهجرني مليّا) أي فارقني دهراً طويلاً (قال) ابراهيم (سلام عليك) سلام توديع وهجر ، وقيل:سلام إكرام وبر ، فقابل جفوة أبيه بالبر (سأستغفر لك ربي) أي سأدعو الله أن لا يعذبك في الدنيا (إنه كان بي حفيا) أي باراً رحيماً عوّدني احسانه ، (وأدعوا ربي) أي أعبد ربي (عسى أن لا اكون بدعاء ربي شقياً) كما شقيتم بعبادة الأصنام ، وانما ذكر عسى على وجه الخضوع والتأدب لأن المؤمن دائماً بين الخوف والرجاء ، وحينها أكرمه الله حين اعتزل الكافرين بأن وهبه اسحاق ويعقوب ، وأكرمه بالنبوة بالاضافة الى كثير من نعيم الدنيا (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) أي ثناءً حسناً في الناس وكل أهل الأديان يتولون ابراهيم وذريته ويثنون عليهم ، ويدّعون أنهم على دينهم ، وقيل:هو ما يتلى في التشهد (كما صلّيت على ابراهيم وآل ابراهيم) .

قوله تعالى :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

واذكر يا محمّد في القرآن موسىٰ بن عمران وأنه أخلص العبادة لله تعالىٰ وأخلص نفسه لأداء الرسالة وكان رسولاً الى فرعون وقومه .

(وقرّبناه نجيّاً) أي مناجياً وكليماً ، ورفعنا منزلته حتىٰ صار محله في الكرامة محل من قرّبه مولاه فهو تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب مسافة ومكان وأنعمنا عليه بأخيه هارون وجعلناه نبياً اشركناه في امره وشددنا به أزره واذكر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وكان رسولاً الى جرهم ، وقيل: إن اسماعيل ابن ابراهيم مات قبل أبيه ابراهيم (ع) وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه (وكان يأمر أهله) أي قومه وعشيرته وأمته (بالصلاة والزكاة) قيل: إنه كان يأمر أهله بصلاة الليل وصدقة النهار (وكان عند ربه مرضياً) قد رضي أعماله لأنها كلها طاعات فحصل له بذلك المنزلة العظيمة .

قوله تعالىٰ :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾

وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ
مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ
وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا
﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ادريس هو جد أب نوح (ع) ، قيل: إنه سمّي ادريس لكثرة درسه الكتب ، وهو اول من خط بالقلم ، وكان خياطاً وأول من خاط الثياب (ورفعناه مكاناً علياً) أي رفيعاً ، فقد روي عن ابن عباس : أنه رفع ادريس كما رفع عيسىٰ وهو حي لم يمت . (أولئك) أي الذين تقدم ذكرهم ، الذين أنعم الله عليهم بالنبوة ، أو بسائر النعم (وممّن هدينا واجتبينا) قيل: معناه وممّن هدينا واجتبينا من الأمم قوم (إذا تتلىٰ عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيّاً) أي ساجدين لله باكين متضرعين اليه سبحانه ، وأنهم مع جلالة قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله ، وهؤلاء العصاة ساهون لاهون مع إحاطة السيئات بهم ، ثم اخبر سبحانه (فخلف من بعدهم خلف) والخلف: البدل السيء أي من بعد النبيين المذكورين جاء قوم سوء قيل: هم اليهود ومَن تبعهم، وقيل: هم من هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) أي تركوها أو أخروها عن مواقيتها (واتبعوا الشهوات) فيما حرم الله عليهم ، فسوف يلقون جزاء الغي ، (إلا مَن تاب) وندم على ما سلف منه (وآمن) واستقام بقية عمره .

قوله تعالىٰ :

جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ
مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا
بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا
﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ
ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

وصف سبحانه الجنة (جنات عدن) أي جنات إقامة (التي وعد الرحمن عباده بالغيب)المراد بالعباد المؤمنون بالغيب ، لأنهم غابوا عمّا فيها مما لا عين رأت ولا اُذن سمعت ، وأنه سبحانه وعدهم أمراً لم يكونوا يشاهدونه فصدّقوه (لا يسمعون فيها لغواً) أي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له ، وقيل اللغو الهزل ، وما يلغى من الكلام الفاحش والأباطيل (إلا سلاماً) أي إلا سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم علىٰ بعض (وما نتنزل إلا بأمر ربك) قال ابن عباس : إن النبي (ص) قال لجبرائيل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزل (وما نتنزل إلا بامر ربك) وقيل:إنه قول اهل الجنة إنا لا نتنزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله تعالىٰ (له ما بين ايدينا وما خلفنا) ما بين أيدينا من أمر الآخرة ، وما خلفنا أي ما مضىٰ من امر الدنيا ، وقيل غير ذلك (وما كان ربك نسيّاً) قيل:هذا تمام حكاية قول الملائكة ، وقول اهل الجنة ، أو هو قول الله سبحانه ، وتقديره

وما نسيك يا محمّد وإن أخر الوحي عنك (واصطبر لعبادته) أي اصبر على تحمل مشقة عبادته (هل تعلم له سمياً) أي مثيلاً وشبيهاً ، أو تعلم مَن يستحق أن يُسمّى إلهاً إلا هو سبحانه ؟ وهذا استفهام بمعنى النفي ، أي لا تعلم له سَمِيّاً وشبيهاً .

قوله تعالى :

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

قيل:نزلت في أبي بن خلف الجمحي وذلك انه أخذ عظماً بالياً فجعل يفتّه بيده ويذريه في الريح ويقول : زعم محمّد أن الله يبعثنا بعد أن نموت ونكون عظاماً مثل هذا إنّ هذا شيء لا يكون أبداً . وقيل:نزلت في الوليد بن المغيرة . ولما تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه قول منكري البعث ، وردّ عليهم بأوضح بيان وأجلى برهان . (أوَلا يذكر الإنسان) حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة (فوربّك) يا محمّد (لنحشرنّهم والشياطين) أي نجمعهم ونقرنهم في الحشر مع الشياطين (ثم لننزعنّ من كل شيعة) أي لنستخرجنّ من كل جماعة ومن كل أهل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر ، والعتيّ هو التمرد . (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً) أولى بشدة العذاب وأحق بعظيم العقاب .

قوله تعالى :

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا
وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ
شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾

بيّن سبحانه أحوالهم يوم المحشر ، وأنه ما منكم أحد إلا واردها ، والهاء في واردها راجعة الى جهنم ، واختلف العلماء في معنى الورود،فمنهم مَن قال هو مجرد الوصول الى جهنم والإشراف عليها لا الدخول فيها ، كما قال تعالى (ولما ورد ماء مدين) ومنهم مَن قال أن الورود بمعنى الدخول ويدل عليه قوله تعالى (ثم ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) وقيل:الخطاب للمشركين خاصة ، أو هو خصوص النظر بن الحارث وذووه وكانوا يرجّلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشاراتهم وهيأتهم على أصحاب النبي محمّد (ص) . ثم قال سبحانه (قل) يا محمّد (مَن كان في الضلالة) عن الحق ، إن الله جعل له جزاء ضلالته أن يمدّ له بأن يتركه فيها فليعش ما شاء الله من السنين فإنه لا

ينفعه طول عمره (حتىٰ إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) أي عذاب الإستئصال ، أو عذاب السيف ، وقيل:هو عذاب القبر (وإما الساعة) أي القيامة .

قوله تعالىٰ :

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

روي عن خباب بن الأرت قال:كنت رجلاً غنياً ، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه ، فقال لي:لا أقضيك حتىٰ تكفر بمحمّد . فقلت:لن أكفر به حتىٰ تموت وتبعث، قال فإنّي لمبعوث بعد الموت؟ فسوف أقضيك دينك إذا رجعت الى مال وولد ، فنزلت الآية . وفيها بيّن سبحانه حال المؤمن ، وانه سبحانه يزيده هدى بالمعونة على طاعته والتوفيق للإبتعاد عن معاصيه (أفرأيت) كلمة تعجب ، أي أرأيت هذا الكافر بأدلتنا وهو العاص بن وائل ، وقيل:الوليد بن المغيرة (قال لأوتينّ مالاً وولداً) استهزاءً منه في الجنة (أطلع على الغيب) أي أعلم الغيب حتىٰ أنه ستؤتيه مالاً وولداً وإنه إن بُعث رزق مالاً وولداً ، أم اتخذ عند

الله عهداً بعمل صالح قدّمه . (ونمدّ له من العذاب مداً) أي نصل بعض العذاب ببعضه ونزيده عذاباً (ونرثه ما يقول) أي ما عنده من المال والولد فيتركهما (ويأتينا فرداً) (واتخذ من دون الله آلهة) أصناماً يعبدونها (ليكونوا لهم عزاً) وشفعاء في الآخرة يعتزون بهم (سيكفرون بعبادتهم) ويجحدونها ويتبرؤون منها بعد أن يروا العذاب (ويكونون عليهم ضداً) وعوناً عليهم ، أو يكونون قرناء لهم في النار .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

خاطب سبحانه نبيّه محمّداً (ص) (ألم تر) يا محمّد (إنا أرسلنا الشياطين . . .) أي خلّينا بينهم وبين الشياطين فوسوسوا لهم ودعوهم الى الضلال (تؤزهم أزاً) أي تزعجهم وتبعدهم من الطاعة الى المعصية ، أو بمعنى

تغريهم بالشر حتىٰ توقعهم في النار، فلتطُب نفسك يا محمّد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مدة بقائهم قليلة ، أو نعدّ انفاسهم في الدنيا وأعمالهم فهي معدودة الىٰ الأجل الذي أجّلناه لعذابهم ، واذكر يا محمّد اليوم الذي نجمع فيه من اتقىٰ الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه (الىٰ الرحمن وفداً) أي الىٰ جنّته ودار كرامته (ونسوق المجرمين الىٰ جهنم ورداً) أي ونحث المجرمين علىٰ المسير الىٰ جهنم عطاشاً ، لا يقدرون علىٰ الشفاعة ولا يشفع لهم (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) والعهد: هو الإيمان والإقرار بوحدانية الله تعالىٰ ، وتصديق انبيائه ، وقيل معناه لا يشفع إلا مَن وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

كما روي عن أبي عبدالله (ع) عن أبيه عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) مَن لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته . قيل يا رسول الله: وكيف يوصي الميّت ؟ قال (ص) : إذا حضرته وفاته واجتمع الناس اليه قال (اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أعهد اليك في دار الدنيا إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمّداً (ص) عبدك ورسولك ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، والحساب حق ، والقدر والميزان حق ، وأن الدين كما وصفت ، وأن الإسلام كما شرعت ، وأن القول كما حدثت ، وأن القرآن كما أنزلت ، وأنك أنت الله الحق المبين ، جزىٰ الله محمّداً عنا خير الجزاء وحيّا الله محمّداً وآله بالسلام، اللهم يا عدّتي عند كربتي ، ويا صاحبي عند شدّتي ، ويا وليَّ نعمتي ، إلهي وإله آبائي لا تكلني الىٰ نفسي طرفة عين ، فانك إن تكلني الىٰ نفسي اقرب من الشر وأبعد من الخير . وآنس في القبر وحشتي ، واجعل لي عهداً يوم القاك منشوراً . ثم يوصي بحاجته . وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله (لا يملكون الشفاعة إلا مَن اتخذ عند الرحمن عهداً) فهذا عهد الميّت ، والوصية حق علىٰ كل مسلم وحق عليه أن

يحفظ هذه الوصية ويعلمها ، وقال أمير المؤمنين علي (ع): علمنيها رسول الله (ص) ، وقال: علمنيها جبرائيل (ع) .

(وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) هذا إخبار عن اليهود والنصارىٰ ومشركي العرب فإن اليهود قالوا : عزير بن الله . وقالت النصارىٰ : المسيح بن الله . وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله ، قل لهم يا محمّد لقد جئتم بشيء منكر عظيم أرادت السماوات أن تنشق لعظم فريتهم . فلو انشقت السماوات لشيء عظيم لكانت تنشق من مثل هذا الإفتراء على الله ولانشقت الأرض ، ولكادت الجبال تسقط وتتكسر تكسراً شديداً ، لأن المشركين دعوا لله ولداً ، ولا يصلح أن يدعىٰ له ولد ، ولا يليق به اتخاذ الولد لما في ذلك من مفاسد ومعايب تنافي مقام الألوهية .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

أي كل مَن في السماوات والأرض من الملائكة والأنس والجن إلا ويأتي الله

سبحانه عبداً مملوكاً خاضعاً ذليلاً ، وأن الله سبحانه أحصاهم فلا يخفى عليه شيء من أحوالهم ، (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) عن ابن عباس انّها خاصة، في علي بن أبي طالب(ع)فما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لعلي(ع) . وفي تفسير أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر(ع) قال : قال رسول الله (ص) قل (اللهم اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي في قلوب المؤمنين وداً) فقالهما علي (ع) فنزلت هذه الآية . وروي نحو ذلك عن جابر بن عبدالله الأنصاري،وقيل:ان الآية عامة في جميع المؤمنين ، يجعل الله لهم المحبة والألفة في قلوب الصالحين ، وروي (ما أقبل عبد بقلبه الى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه يرزقه مودّتهم ورحمتهم ومحبتهم)وقيل:غير ذلك من المعاني (فإنّما يسّرناه بلسانك) أي يسّرنا القرآن وأنزلناه بلسانك العربي ليسهل عليهم معرفته (لتبشر به المتقين) أي لتبشّر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر (وتنذر به قوماً لداً) أي شداد في الخصومة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) من المكذبين للرسل ، فلا يهمّك يا محمّد كفر هؤلاء وشقاقهم فكما أهلكنا قبلهم ممّن كان مثلهم في الكفر والعناد (هل تحس منهم من احد أو تسمع لهم ركزاً) أي صوتاً أو حساً وانهم ذاهبون فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت ، وكانوا اكثر أموالاً وأعظم اجساماً ، وأشد خصاماً من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما أردنا إهلاكهم ، فحكم هؤلاء الكفار حكم أولئك في أنه لا يبقى منهم عين ولا أثر .

تمت ولله الحمد سورة مريم وتفسيرها

سورة طه

مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

طه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) إلا تذكرة لمن يخشى (٣)
تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى (٤) الرحمن على العرش
استوى (٥) له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت
الثرى (٦) وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى (٧) الله لا إله
إلا هو له الأسماء الحسنى (٨)

(طه) بينا في اول سورة البقرة تفسير الحروف المعجمة في أوائل السور .
وقيل: معنىٰ(طه)يا رجل (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ)وانما لتنال الكرامة به في الدنيا والآخرة ، قال قتادة : وكان يصلّي الليل كله - يعني النبي محمّداً (ص) - ويعلق صدره بحبل حتىٰ لا يغلبه النوم ، فأمره الله سبحانه بأن يخفف علىٰ نفسه (إلا تذكرةً لمَن يخشىٰ) أي انزلناه ليكون تذكرةً لمَن يخشىٰ الله ويخافه (الرحمن

علىٰ العرش استوىٰ) أي هو الرحمن ، قال احمد بن يحيىٰ : الاستواء الإقبال علىٰ الشيء والقصد له . وقد سبق القول في معنىٰ الاستواء في سورة البقرة (٢٩) والأعراف (٥٢) (وإن تجهر بالقول) وترفع صوتك به (فإنه يعلم السر وأخفىٰ) فلا تجهد نفسك ، وروي عن الباقر والصادق (ع) السر ما أخفيته في نفسك ، وأخفىٰ ما خطر ببالك ثم نسيته . (له الأسماء الحسنىٰ) أي الأسماء الدالة على توحيده وعلىٰ انعامه علىٰ العباد فبأيّها دعوته جاز ، وروي عن النبي (ص) أنه قال : إن لله تعالىٰ تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة . قال الزجاج تأويله من وحد الله تعالىٰ وذكر هذه الأسماء الحسنىٰ يريد بها توحيد الله وإعظامه دخل الجنة ، وقد جاء في الحديث (مَن قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة) .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا
أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ
الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا
إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا
مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦)

خاطب سبحانه نبيه محمداً (ص) تسلية له مما ناله من أذى قومه ، وتثبيتاً له بالصبر كما صبر موسىٰ (ع) حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة عن ابن عباس قال : وكان موسىٰ رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترىٰ امرأته فلما قضىٰ الأجل وفارق مدين خرج ومعه غنم له وكان أهله علىٰ أتان وعلىٰ ظهرها جوالق فيها أثاث البيت فأضل الطريق في ليلة مظلمة وتفرقت ماشيته ، ولم ينقدح زنده ، وامرأته في الطلق ، فرأىٰ ناراً من بعيد ، كانت عند الله نور وعنده موسىٰ نار (فقال لأهله امكثوا) أي الزموا مكانكم لعلّي آتيكم بشعلة من النار تصطلون بها ، أو أجد على النار هادياً يدلّني علىٰ الطريق ، او علامة استدل بها ، فلما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب ، فوقف متعجباً ، فسمع النداء من الشجرة نودي يا موسىٰ أنا ربك الذي خلقك ودبرك . قال وهب : نودي من الشجرة فقيل يا موسىٰ ، فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه ، فقال : إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت ؟ فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لربّه عز وجل وأيقن به ، وعلم أنه أمام معجز خارق للعادة ، وأن الأمر عظيم ، فألقيت عليه السكينة ، وأنه (بالوادي المقدس طوىٰ) أي المبارك بسعة الرزق والخصب ، أو المطهر ، وطوىٰ اسم الوادي (وأنا اخترتك) أي اصطفيتك بالرسالة.. ولما بشّره سبحانه بالرسالة أمره باستماع الوحي مبتدئاً بالتوحيد (إنني أنا الله لا إله إلا أنا) أي لا إله يستحق العبادة غيري فاعبدني خالصاً ولا تشرك في عبادتي أحداً ، وأمر الله موسىٰ أن يبلغ قومه بذلك ، كما أمره سبحانه باقامة الصلاة ، ثم أخبره بمجيء الساعة أي القيامة لا محالة من ذلك (أكاد أخفيها) أي أريد أخفيها عن عبادي لتأتيهم بغتة ، وفائدة الإخفاء التهويل والتخويف ، فإن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا علىٰ حذر منها كل وقت .

قوله تعالى :

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ
أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي
وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ
فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا
بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

بيّن سبحانه ما أعطى موسى (ع) من المعجزات التي رآها موسى تلك الليلة امر عصاه التي كانت بيده وكيف تحولت بعد ان أمر بالقائها وحانت منه نظرة فإذا هي اعظم ثعبان نظر اليه الناظرون فلما عاين ذلك ولى مدبراً ثم ذكر ربه فوقف استحياءً منه فنودي يا موسى ارجع الى حيث كنت وخذ عصاك بيمينك ولا تخف

سنُعيدها الى حالتها الأُولىٰ كما كانت عصا (واضمم يدك الىٰ جناحك) أي اجمع يدك تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار (من غير سوء) أي من غير مرض من برص أو غيره ، ثم ردها فعادت الى لونها الذي كانت عليه ، (لنريك من آياتنا) وحججنا ، فلما حمّله سبحانه الرسالة ، وأراه المعجزات ، أمره بالتبليغ (إذهب الى فرعون) فادعه لأنه طغىٰ وتجبّر في كفره ، قال موسىٰ حينذاك (رب اشرح لي صدري) أي وسّع صدري حتىٰ لا أضجر ولا أخاف ، وسهّل عليَّ اداء ما كلفتني من الرسالة والدخول على الطاغي ، واطلق عن لساني العقدة حتى يفقهوا ويفهموا كلامي ، فاستجاب الله دعاءه (قال قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ) وكان هارون اخاه لأبيه وأمه ، قالوا : وكان هارون اكبر من موسىٰ بثلاث سنوات وأتم طولاً وابيض جسماً واكثر لحماً وأفصح لساناً ومات قبل موسىٰ بثلاث سنين .

قال الصادق (ع) حدثني ابي عن جدي عن امير المؤمنين (ع) قال : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فإن موسىٰ بن عمران خرج يقتبس لأهله ناراً فكلّمه الله عز وجل فرجع نبياً ، وخرجت ملكة سبأ كافرة فاسلمت مع سليمان ، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ

فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ
مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى
وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ
قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

لما اخبر سبحانه موسىٰ (ع) بأن اعطاه سؤله وطلبته ، عقبه بذكر ما تقدم من نعم الله عليه ، وكيف الهمنا أمك ما فيه سبب نجاتك من القتل لأن فرعون عدواً لله بدعوته الربوبية ، وعدواً لموسىٰ لتصوره أن ملكه ينقرض علىٰ يد موسىٰ ، وكان خوف أم موسى علىٰ ولدها من فرعون وزبانيته الذين كانوا يقتلون كل مولود ذكر يولد ذلك العام ، فاتخذت أُم موسى تابوتاً وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه وألقته في النيل ، وكان من النيل فرع يدخل بستان فرعون . وبينما فرعون جالس علىٰ رأس البركة مع امرأته آسية إذ التابوت يجيء علىٰ رأس الماء فأمر باخراجه فلما فتحوه إذا به صبي مَن احسن الناس وجهاً فأحبه فرعون بحيث لا يتمالك ، وجعل موسىٰ يبكي ويطلب اللبن فأمر فرعون فأتته النساء اللآتي حول داره فلم يأخذ موسىٰ من لبن واحدة منهنّ ، وكانت أُخت موسىٰ واقفة هناك إذ امرتها أُمها أن تتبع التابوت فقالت إني آتي بامرأة ترضعه وهي ناصحة فقالوا نعم فجاءت بأُم موسىٰ فقبل ثديها فحملته الىٰ بيتها آمنة مطمئنة قد جعل لها فرعون اجرة علىٰ الرضاع . (وقتلت نفساً) كان قتل قبطياً كافراً فنجّاه الله من غم القتل وكربه . (وفتناك فتوناً) أي اختبرناك حتىٰ خلصت للاصطفاء للرسالة (ثم جئت علىٰ قدرٍ يا موسىٰ) أي في

الوقت الذي قدر لارسالك نبياً ، وفي الوقت الذي قدره الله لكلامك ونبوتك والوحي اليك (واصطنعتك لنفسي) أي لوحي رسالتي . (ولا تنيا في ذكري) أي لا تضعفا في رسالتي وأدائها .

قوله تعالىٰ :

قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا
إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن
رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ
الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾
قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ
الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي
وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ
شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي

النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

لما امر سبحانه موسىٰ وهارون أن يمضيا الىٰ فرعون ويدعواه الىٰ الله قالا إننا نخشىٰ أن يعجل علينا بعذاب ، أو يجاوز الحد في الاساءة بنا أو أن يبادر الىٰ قتلنا قبل أن يتأمل حجّتنا (فارسل معنا بني اسرائيل) أي اطلقهم يا فرعون واعتقهم عن الاستعباد، ولا تعذبهم بالأعمال الشاقة (قال ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه) اي اعطىٰ خلقه كل شيء من النعيم في الدنيا مما يأكلون ويشربون ، ثم هداهم الىٰ طرق معايشهم والىٰ أمور دينهم (قال) فرعون (فما بال القرون الأولىٰ) أي فما حال الأمم الماضية فإنها لم تقر بالله بل عبدت الأوثان (فقال) موسىٰ (علمها عند ربي) أي اعمالها محفوظة عند الله يجازيهم بها (لا يضل ربي) أي لا يذهب عليه شيء ، أو لا يخطيء ولا ينسىٰ ما كان من امرهم . ثم عدد جملة من نعم الله علىٰ عباده (إن في ذلك لآيات) ودلالات (لأولي النهىٰ) أي لذوي العقول الذين ينتهون عما حرّم الله عليهم ، ثم اضاف سبحانه آية أُخرىٰ هي ذكر مراحل الإنسان (منها خلقناكم) أي من الأرض خلقناكم حين خلقنا أباكم آدم (وفيها نعيدكم) بعد الموت (ومنها نخرجكم تارة أُخرىٰ) عند الحشر (ولقد أريناه) أي أرينا فرعون (آياتنا كلها) من المعاجز والدلالات الدالة علىٰ نبوة موسىٰ فجحد الدليل وأبىٰ القبول .

قوله تعالىٰ :

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا

سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى
فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ
أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٣﴾
فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا
يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾

حكى سبحانه عن فرعون أنه نسب موسى الى السحر تدليساً على قومه وأنه توعدموسى بأنه يقابل سحره بسحر مثله (قال) موسى (موعدكم يوم الزينة) وكان لهم يوم معلوم يتزيّن الناس فيه ويزيّنون به الاسواق فطلب موسى أن يكون مقابلة السحرة ضحى ذلك اليوم ، وأن يجمع الناس لينظروا الى أمره وأمر فرعون وسحرته (فتولى فرعون) أي انصرف وفارق موسى على هذا الوعد ، وبدأ يعد العدة ويكيد لموسى ، ولما حضروا جميعاً (قال لهم موسى) أي للسحرة الذين أحضرهم فرعون ليقابلوا معجزة موسى (لا تفتروا على الله كذباً) أي لا تشركوا مع الله أحداً وتنسبوا المعجزة الى السحر (فيسحتكم)أي يستأصلكم ويهلككم فقد خسر مَن كذب على الله (فتنازعوا أمرهم بينهم) أي تشاور القوم وتفاوضوا فيما قاله

لهم موسى وفرعون ، أو تشاور السحرة فيما هيؤه من الحبال والعصي (قالوا يا موسى) أي قال السحرة (إما أن تلقي) عصاك أولاً ، أو يلقوا هم ما معهم من السحر (قال) موسى (بل ألقوا) فلما ألقوا خيل أن حبالهم تسعى لأنها لم تكن تسعى حقيقة ، وإنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق فلما حميت الشمس تحرك الزئبق فحرك الحبال .

قوله تعالى :

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ
﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا
يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ
وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي
عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ
فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ
عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا
تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا
وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ
رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا

قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَٰتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

فأحس في نفسه ما يحسه الخائف خوفاً من أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهمون المساواة بين سحر السحرة ومعجزة موسى ، وقيل هو خوف الطباع حين يرى الانسان امراً فظيعاً فإنه يخافه ويحذره (قلنا لا تخف) وانك ستكون عالياً على السحرة غالباً لهم ، ولما ألقى موسى عصاه صارت حية ، وطافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال والعصي فابتلعتها كلها ثم أخذها موسى فعادت عصى كما كانت ، وبأن للناس أن ما صنعه السحرة ليس حقيقة ، وإنما هو كيد الساحر وهو مكر وحيلة ، وتلك أمور تموه الأشياء ولا تغير الحقائق ، فحينها سجد السحرة لمعجزة موسى (ع) وأعلنوا أنهم على باطل وأن موسى ودعوته هي الحق (قالوا آمنا برب هارون وموسى) فأغاظ فعل السحرة واعترافهم بالإيمان فرعون ، واستنكر فرعون عليهم المسارعة بالإيمان بموسى وربه قبل أن يأذن لهم فرعون ، واتهمهم بالتواطؤ مع موسى (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وما عجزتم عن معارضته حقيقة ، ولكنكم تركتم معارضته لأنه كبيركم في السحر ، وإنما قال فرعون ذلك القول ليوهم العوام أن ما أتوا به انما هو تواطؤ منهم مع موسى (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى (ولأصلبنكم ... ولتعلمن) أيها السحرة (أينا أشد عذاباً) لكم أنا أم رب موسى على ترككم الايمان به ؟ قال السحرة لن نفضلك ولن نختارك على ما أتانا الله من الأدلة على صدق موسى وصحة نبوته ، وعلى الذي فطرنا وخلقنا وهو الله ، وعلى ما جاء من البيّنات ، فاصنع يا فرعون ما أنت صانعه ، فإنا لا نرجع

عن الايمان ، والله خير لنا منك ، وثوابه أبقى لنا من ثوابك .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ
يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ
فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ
(٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ
الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ
يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ
هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ
فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ
غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ
عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ

مَوْعِدِي (٨٦)

المخبر سبحانه عن حال بني اسرائيل (وَلقد أوْحينا الى موسىٰ) بعد ما رأى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه (أن أسر بعبادي) أي سر بهم ليلاً من ارض مصر ، إجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بضربك العصىٰ لينفلق البحر (لا تخاف دركاً ولا تخشى) أي لا تخاف أن يدركك فرعون من خلفك ولا تخشىٰ من البحر غرقاً (فغشيهم من اليمّ ما غشيهم) أي جاءهم من البحر ما جاءهم ، ثم خاطب سبحانه بني اسرائيل وعدد نعمه عليهم حين انجاهم من عدوهم (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) فإن الله تعالى بعد أن اغرق فرعون وعد موسىٰ ليأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة فيها بيان الشرائع والأحكام وما يحتاجون اليه (ونزلنا عليكم المَنّ والسلوى) في التيه كما مر في سورة البقرة (٥٧) (وإني لغفار لمَن تاب) من الشرك وآمن بالله ورسوله ، وعمل صالحاً بأدائه الفرائض ، ثم اهتدىٰ أي لزم الإيمان الىٰ أن يموت ، وقال أبو جعفر (ع) : ثم اهتدىٰ الى ولايتنا اهل البيت ، فوالله لو أن رجلاً عبدالله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه الله في النار علىٰ وجهه رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني باسناده ، وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق (وما اعجلك عن قومك يا موسىٰ) قال ابن اسحاق كانت المواعدة أن يوافي الميعاد هو وقومه ، وقيل مع جماعته من وجوه قومه ، فتعجّل موسىٰ (ع) شوقاً الىٰ ربه وخلفهم ليلحقوا به (وعجلت اليك رب لترضىٰ) أي سبقتهم اليك حرصاً وطلباً لرضاك (قال) الله تعالىٰ (فانا قد فتنا قومك) أي امتحناهم بما حدث فيهم من أمر العجل (وأضلهم السامري) دعاهم الىٰ الضلال فقال موسىٰ (فأخلفتم موعدي) أي ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي ، أو بما أمرهم باللحاق به ، فتركوا المسير وراءه ، أو من التمسك بطريقة هارون والعمل بأمره فخالفوه وعصوه .

قوله تعالى :

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ
الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا
جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا
يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ
قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ
فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ
يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا
﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا
بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا
بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ
لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(قالوا) أي قال الذين لم يعبدوا العجل (ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي

ونحن نملك أمرنا ، لأنا لم نطق رد عبدة العجل عمّا ارتكبوه ، وروي أن الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر الفاً ، والذين عبدوه كانوا ستمائة الف رجل (ولكنا حملنا أوزاراً) أي حملنا أثقالاً من حلي آل فرعون ، وهو ما استعادوه من حليهم حين أرادوا المسير ، وقيل:هو ما ألقاه البحر علىٰ الساحل من ذهبهم وفضتهم وحليهم بعد إغراقهم فأخذوه ، وقيل غير ذلك (فقذفناها) أي ألقيناها في النار لتذوب (فكذلك ألقىٰ السامري) ليوهم أنه منهم ، أو فمثل ما ألقينا نحن من هذه الحلي في النار ألقىٰ السامري أيضاً (فأخرج لهم عجلاً جسداً) أي اخرج لهم من تلك الحلي المذابة عجلاً له جسد ضخم (له خوار) أي صوت ، وقد تقدم ذكر عبادة العجل وصفته في سورة الأعراف آية (١٤٧ - ١٥٠) فقال السامري ومَن تبعه من السفلة والعوام هذا العجل معبودكم ومعبود موسىٰ (فنسي) أي السامري نسي إلهه ، أو بمعنىٰ ضل وأخطأ الطريق وترك ما كان عليه من الإيمان الذي بعث الله به موسىٰ (ع) فرد الله عليهم حجّتهم (أفلا يرون الا يرجع اليهم قولاً) الا يرون العجل الذي عبدوه واتخذوه الهاً لا يرد عليهم جواباً (ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) قال مقاتل : لما مضى من موعد موسىٰ خمسة وثلاثون يوماً امر السامري بني اسرائيل أن يجمعوا ما استعاروه من حلي آل فرعون ، وصاغه عجلاً في السادس والثلاثين والسابع والثامن ، ودعاهم الىٰ عبادته في التاسع فأجابوه ، وجاءهم موسىٰ بعد استكمال الأربعين ، وكان السامري مطاعاً في بني اسرائيل ، وقيل:كان من قرية يعبدون البقر فكان حب ذلك في قلبه ، وقيل:كان من بني اسرائيل فلما جاوز البحر نافق ، فلما قالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، اغتنمها وأخرج لهم العجل ودعاهم اليه . (قال لهم هارون من قبل) أي من قبل رجوع موسىٰ اليهم (يا قوم انما فتنتم به) أي اراد السامري فتنتكم بالعجل وأضلكم به ، إتبعوني فيما ادعوكم اليه وأطيعوا أمري في عبادة الله (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أي لا نزال مقيمين علىٰ عبادة العجل (حتىٰ يرجع الينا موسىٰ) فننظر أيعبده كما عبدناه أم

لا ، فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفاً ، فلما رجع موسىٰ (ع) وهو ممتلىء غيظاً منهم ومن عبادتهم العجل ، وسمع الصياح والجلبة ، إذ كانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدفوف والمزامير . واستقبله هارون فألقىٰ موسىٰ الألواح وأخذ يعاتب هارون (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألّا تتبعن) أي هلّا اتبعتني بمَن أقام معك علىٰ الإيمان حين رأيت هؤلاء ضلوا بعبادة العجل ؟ قبل استحكام الأمر ؟ (قال) هارون لموسى (يا ابن أُم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) وتفسيره مر في سورة الأعراف (١٤٧ - ١٥٠) وقيل:كانت العادة جارية في القبض علىٰ الرأس واللحية في ذلك الزمان ، كما أن العادة في زماننا القبض علىٰ اليد والمعانقة ، ثم بين هارون (ع) عذره في مقامه مع بني إسرائيل (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) يعني أني لو فارقتهم أو قاتلتهم لصاروا أحزاباً وتفرقوا (ولم ترقب قولي) أي ولقلت لم تحفظ وصيتي حين قلت اخلفني في قومي وأصلح ، ثم توجه موسىٰ (ع) بالخطاب الى السامري (فما خطبك يا سامري) أي ما شأنك وما دعاك الى ما صنعت ؟ قال السامري رأيت ما لم يروه ، او علمت ما لم يعلموه (فقبضت قبضة من أثر الرسول)أي اخذت قبضة تراب من أثر قدم جبرائيل (ع) فنبذتها في العجل ، وذلك أن نفسي زينت لي وحدثتني بذلك ، وقد مر تفسير ذلك وكيفيته في سورة الأعراف .

قوله تعالى :

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ

كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ
آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ
يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ
فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾

حكى سبحانه عن موسى (ع) إنه قال للسامري (فاذهب فان لك . . .) قيل في معناه أن موسى امر الناس بأمر الله أن لا يخالطوا السامري ولا يجالسوه ولا يواكلوه . . . ما دام حياً ، وقيل:أن السامري خاف وهرب فجعل يهيم في البرية لا يجد أحداً من الناس يمسّه أو يقرب منه (وإن لك موعداً لن تخلفه) أي وعداً لعذابك وهو يوم القيامة ، وانظر الى معبودك الذي ظلْتَ على عبادته مقيماً وهو العجل لنحرقنه بالنار ثم لننذرّينه في البحر . ثم اقبل موسى (ع) على قومه فقال (انما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو) الذي يستحق العبادة ويعلم كل شيء ، ثم قال الله سبحانه لنبيّه محمّد (ص) (كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق) من الأمم والرسل (وقد آتيناك من لدنا ذكراً) وهو القرآن الكريم لأنه فيه ذكر كل ما

يحتاج إليه ، وأن من أعرض عن القرآن يحمل يوم القيامة حملاً ثقيلاً من الإثم ، وأن جزاء ذلك الإعراض عن الذكر والقرآن هو الخلود في النار (يوم ينفخ في الصور) وذلك يوم القيامة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) أي مشوهي الخلقة زرق العيون أو عمي العيون ، وقيل:عطاشاً في عيونهم كالزرقة (يتخافتون بينهم) أي يكلم المجرمون بعضهم بعضاً سراً وإخفاتاً (إن لبثتم إلا عشراً) أي ما لبثتم إلا عشر ليال ، يعني مدة الحياة الدنيا ، أو ما لبثوا في قبورهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أي أصلحهم طريقة وأصوبهم رأياً ما لبثتم إلا يوماً في الدنيا ، وإنما قال ذلك لأن اليوم الواحد والعشرة إذا قوبلت بيوم القيامة لا تساوي شيئاً (ويسألونك) يا محمد يسألك هؤلاء المنكرون للبعث والقيامة يسألونك (عن الجبال) ما حالها ؟ فقل لهم ينسفها ربي فتكون بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها فلا يبقى على وجه الأرض منها شيء ويدعها (قاعاً صفصفاً) أرضاً مستوية ليس فيها عوج أو منخفض .

قوله تعالى :

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ
فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ

ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

وصف سبحانه القيامة، وأن في يوم القيامة يتبعون صوت داعي الله الذي ينفخ في الصور وهو اسرافيل (ع)، لا عوج لدعاء الداعي ولا يعدل عن أحد، وهناك خضعت الأصوات بالسكون لعظمة الرحمن فلا تسمع منهم إلا الهمس ولا تنفع في ذلك اليوم شفاعة احد، إلا من أذن الله له في أن يشفع ورضي قوله من الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء. وأنه سبحانه يعلم جميع اقوال البشر قبل خلقهم وبعد خلقهم، وما كان في حياتهم وبعد مماتهم (ولا يحيطون به علماً) أي لا يحيطون علماً بمقدوراته، أولا يحيطون علماً بما بين ايديهم وما خلفهم إلا من اطلعه الله على ذلك. (وعنت الوجوه) أي خضعت وذلت، وخضع أرباب الوجوه واستسلموا لحكم الحي القيوم (وقد خاب مَن حمل ظلماً) أي خسر الثواب يوم القيامة من حمل شركاً اوكفراً، ومَن يعمل الطاعات وهو مؤمن عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به، لأنه لا تنفع الطاعة والصالحات من غير ايمان فذلك المؤمن لا يخاف أن يُظلم ولا يُهضم من حسناته شيء (وكذلك) أي وكما أخبرناك بأخبار القيامة، أنزلنا هذا الكتاب وكررنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون المعاصي، أو ليتقي العرب من قبل أن ينزل بهم مثل ما أُنزل بأولئك (أو يحدث لهم ذكراً) أو يجدد لهم القرآن عظةً واعتباراً حين يذكر عقاب الله بالأُمم السابقة فيعتبروا. (ولا تعجل بالقرآن . . .) أي لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل

من ابلاغه أو بمعنىٰ لا تقرأه لأصحابك حتىٰ يتبين لك معانيه ، أولا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه ، لأنـه تعالـىٰ إنَّمـا ينزلـه بحسـب المصلحة ووقت الحاجة ، واستزد من الله علماً الىٰ علمك (ولقد عهدنا الى آدم . . .) أي أمرناه وأوصيناه ان لا يقرب الشجرة ولا يأكل منها ، فترك (ولم نجد له عزماً) علىٰ الذنب ، وقيل:انه نسي الوعيد بالخروج من الجنة إن أكل ، أو نسي قول الله تعالىٰ له أن هذا عدو لك ولزوجك .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ
إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ
عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾

بيّن سبحانه تفصيل ما أجمله من قصة آدم (ع) . وقد مر تفسيرها في سورة الأعراف آية (١١) (فلا يخرجنّكما من الجنة) أي لا تطيعاه فيكون سبباً لخروجكما من الجنة بغروره ووساوسه (فتشقىٰ) أي فتقع في تعب العمل (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى) أي في الجنة ولا تعطش ولا يصيبك حر الشمس فوسوس لهما الشيطان وقال يا آدم هل أدلك على شجرة من أكل منها لم يمت (فأكلا منها فبدت . . .) وقد مر تفسيره في سورة الأعراف (وعصىٰ آدم ربه فغوى) أي خالف أمر ربه ، سواء كان الأمر واجباً أم مندوباً فغوىٰ وخاب مما كان يطمع به من الخلود في أكل ثمر الجنة . (ثم اجتباه ربه) أي اصطفاه واختاره للرسالة وقبل توبته وهداه (قال اهبطا منها جميعاً) يعني آدم وحواء ، فمَن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة ، قال ابن عباس : ضمن الله سبحانه لمَن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقىٰ في الآخرة (ومَن أعرض عن ذكري) عن القرآن والدلائل التي أنزلها الله تعالىٰ فيه لعباده ، فإن لذلك المعرض عيشاً ضيقاً ، أو هو عذاب القبر ، أو عيشاً ضيقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها لأن العيش الرغيد في الجنة (ونحشره يوم القيامة اعمىٰ) أي أعمى البصر ، أو أعمىٰ عن الحجة فلا حجة له يهتدي بها ، وقد روىٰ معاوية بن عمار قال سألت أبا عبدالله (ع) عن رجل لم يحج وله مال ؟ قال (ع): هو ممّن قال الله (ونحشره يوم القيامة أعمىٰ . . .) فقلت سبحان الله أعمىٰ ؟ قال : أعماه الله عن طريق الجنة .

قوله تعالىٰ :

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ

نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰ (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي
مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ
وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠)

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(كذلك أتتك) هذا جواب لمَن يقول لِم حشرتني أعمى (وكذلك اليوم تُنسى) اي تصير بمنزلة من ترك كالمنسي بعذاب لا يفنى، وكذلك جزاء من أشرك وجاوز الحد في العصيان (أفلم يهدِ لهم ...) يعني كفار مكة أفلم يبيّن لهم طريق الاعتبار بكثرة من هلك من القرون حين كذبوا رسلنا، وأنهم يمرون بمساكن عاد وثمود ويرون آثار الهلاك والدمار، إن في ذلك عبرة لذوي العقول الذين يتدبرون (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار الى يوم القيامة لكان العذاب لزاماً لهم ثم امر سبحانه نبيه محمّداً (ص) بالصبر على أذى الكفار والمشركين وتكذيبهم إياه، والانصراف لذكر الله وتسبيحه وتحميده. وقيل: هي في اوقات الصلوات الواجبة (لعلك ترضى) بالشفاعة والدرجة الرفيعة، أو بما وعدك الله من النصر واعزاز الدين في الدنيا، والشفاعة والجنة في الآخرة.

قوله تعالى :

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ
لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ
وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ
ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

ولا تمدنّ عينيك . . .) قدمرّ تفسيره في سورة الحجر آية (٨٨) .

روي عن أبي عبدالله (ع) أنه قال : لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله (ص) جالساً ثم قال : مَن لم يتعزّ بعزاء الله تقطعت نفسه حسراتٍ على الدنيا ، ومَن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ولا يشفى غيظه ، ومَن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه . (لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم بشدة العمل بالحق في هذه الأمور . وقيل:لنفتنهم أي لنعذبهم بتلك الأمور . (ورزق ربك) الذي وعدك به في الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا (وأمر أهلك بالصلاة) روىٰ أبو سعيد الخدري قال : لما نزلت هذه الآية كان

رسول الله (ص) يأتي باب فاطمة وعلي تسعة اشهر عند كل صلاة فيقول (الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) .

(وقالوا) يعني الكفار لو أن محمّداً يأتينا بآية كما أتى به الأنبياء مثل الناقة ، ويرد عليهم سبحانه أوَلم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب الأُولى من أنباء الأُمم التي اهلكناهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا بها ، ولو أنّا أهلكنا كفار قريش من قبل بعث محمّدٍ (ص) ونزول القرآن لاحتجّوا يوم القيامة و (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولاً) يدعونا الىٰ طاعتك ويرشدنا الىٰ دينك ، فقطعنا عذرهم بارسال الرسول ، (قل) يا محمّد (كل متربّص) أي كل واحد منا ومنكم منتظر نحن ننتظر وعد الله لنا فيكم ، وأنتم تتربصون بنا الدوائر فستعلمون بعدئذٍ من أصحاب الحق نحن أم أنتم ؟ وفي ذلك بيان أن الرسالة والرسل لطف وحجة وقطع للأعذار .

تمت ولله الحمد سورة طه وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء السابع عشر
من القرآن الكريم

سورة الانبياء

وهي مكية كلها .

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم
من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) لاهية
قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم
أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (٣) قال ربي يعلم القول في السماء
والأرض وهو السميع العليم (٤) بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه
بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (٥)

اقترب للناس وقت حسابهم يعني يوم القيامة ، وإنّما وصف بالقرب لأن كل آت قريب ، وتضمّنت الآية الحثّ على الاستعداد ليوم القيامة وهم في غفلة عن دنوها معرضون عن التفكر فيها والتأهب لها(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) التنزيل حين ينزل القرآن سورة بعد سورة إلا استمعوه استماع لعب

واستهزاء ، وتناجوا أي المشركون فيما بينهم فقالوا : إن هذا الرسول بشر مثلنا وليس من الملائكة ، واتهموه بالسحر ، قل لهم يا محمّد ربي يعلم اسرار المتناجين لا يخفى عليه شيء من ذلك ، ثم قالوا إن القرآن أضغاث احلام ، أو افتراء من محمّد وتخرص منه على الله وتارة يقولون هو شاعر ولو كان محمّدٌ صادقاً انه نبي (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) مثل الناقة والعصا .

قوله تعالى :

مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

لما تقدمت الحكاية عن الكفار بأنهم اقترحوا الآيات ، أجابهم سبحانه بذكر من سبقهم ، وأن الكفار والمعاندين ممن سبقهم لم تنفع معهم الآيات وأصروا فكانت الآيات التي طلبوها سبباً في هلاكهم ، وأن الرسل الذين قبلك يا محمّد هم رجال من بني آدم نوحي اليهم لا ملائكة (فسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) قيل:اهل الذكر هم أهل التوراة والإنجيل ، وقيل:أهل القرآن وعلماء القرآن ، وروي عن علي (ع) أنه قال : نحن اهل الذكر (وما جعلناهم جسداً . . .) أي باقين لا يموتون ، وهذا رد لقول الكفار ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (فأنجيناهم ومَن نشاء) يعني الرسل ومَن معهم

انجيناهم من أعدائهم واهلكنا المسرفين في تكذيب الأنبياء المصرين على الكفر في الشرك والنفاق ، (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتاباً فيه ذكركم) أي فيه شرفكم إن تمسكتم به ، وقيل: هو خطاب للعرب عامة لأن القرآن أُنزل بلغتهم وقيل هو للمؤمنين خاصة من كل جنس .

قوله تعالى :

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾
فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا
إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا
خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾
لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ
نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

بيّن سبحانه ما فعل بالمكذبين ، ثم يصفهم حين نزول العذاب عليهم وقت هروبهم من العذاب ركضاً سراعاً (لا تركضوا) أي يقال لهم ذلك على سبيل التوبيخ والتقريع ، وارجعوا الى ما نعمتم فيه وإلى مساكنكم التي كفرتم وظلمتم فيها، والمعنى ان الملائكة استهزأت بهم فقالت لهم ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم (لعلكم تسألون) شيئاً من دنياكم فإنكم اهل ثروة ونعمة ، (قالوا) على سبيل الندم لما رأوا العذاب (يا ويلنا إنا كنا ظالمين) لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا ، ولم يزالوا يقولوا يا ويلنا وتلك دعواهم (حتى جعلناهم حصيداً خامدين) ساكني الحركات كما تخمد النار ، وقيل نزلت في قرية باليمن قتلوا نبيّاً لهم يقال له حنظلة فسلّط الله عليهم بخت نصر قتلهم وسباهم حتى لم يبق لهم اسم ولا رسم (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) بل خلقناهما لغرض صحيح ولو أردنا أن نتخذ لهواً من نساء أو ولدان لاتخذناه (من لدنّا) أي من أهل السماء (بل نقذف بالحق على الباطل) بالحجّة على الشبهة أو بالإيمان على الكفر فيعلوه ويبطله ولكم الويل والهلاك يا معشر الكفار مما تصفون الله به من الصاحبة والولد والشريك وكل من السموات والأرض ومن عنده من الملائكة لا يأنفون ولا يترفعون عن عبادته (ولا يستحسرون) أي لا يعيون أو يميلون أو ينقطعون عن عبادته .

قوله تعالى :

أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ
وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي
إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ
يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

عاد سبحانه الى توبيخ المشركين باستفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة من الأرض (هم ينشرون) أي يحيون الأموات ، فإذا كانوا لا يقدرون على الإحياء فكيف يستحقون العبادة ، ولو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا ولم ينتظم أمرهما (فسبحان الله رب العرش عمّا يصفون) من وجود شريك له ، وأن جميع أفعاله حكمة وصواب لا يُسأل عنها ولا يحاسب على أفعاله ، قيل: معناه أنه لا يسأله الملائكة والمسيح عن فعله وهو يسألهم ويجازيهم فلو كانوا آلهة لم يسألوا عن أفعالهم .

قل لهم يا محمّد هاتوا حجّتكم على ما تقولون ، وقل لهم يا محمّد هذا

القرآن ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي من الأمم ممّن نجا بالإيمان أو هلك بالكفر أو بمعنى قل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أتى أمته بأن لهم إلهاً غير الله فهل في ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي إلا توحيد الله وما أرسلنا قبلك يا محمّد رسولاً إلا نوحي اليه أن لا معبود حقيقة إلا الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) يعني الملائكة وذلك لا يجوز عليه سبحانه وأن الملائكة ليسوا أولاداً كما يزعم هؤلاء المشركون بل عباد أكرمهم الله واصطفاهم ولا يتكلمون إلا بما أمرهم به ربهم ، وأن الله يعلم ما قدموا وما أخروا (ولا يشفعون إلا لمَن ارتضى) الله ورضي الله عنه . وأنهم لا يشفعون إلا لمَن ارتضى الله أن يشفع فيه . ومَن يقل من هؤلاء الملائكة إني إله أستحق العبادة من دون الله (نجزيه جهنم) وحالهم حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد ، وفي هذه الآية دلالة على أن الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات وأنهم مكلّفون(أولم يرَ الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما)أي كانتا ملتزقتين ففصلنا بينهما ، وقيل:كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سموات وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع ارضين أو فتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء حي ، وسُئل أبو عبدالله (ع) عن طعم الماء فقال له : سل تفقهاً ولا تسأل تعنّتاً طعم الماء طعم الحياة (أفلا يؤمنون) ويصدقون بالقرآن وبما يشهدونه من الدليل والبرهان .

قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

بيّن سبحانه كمال قدرته وشمول نعمته حيث جعل في الأرض جبالاً ثوابت تمنع الأرض من الحركة والإضطراب (وجعلنا فيها فجاجاً) أي في تلك الرواسي طرقاً واسعة ليهتدوا فيها إلى مقاصدهم وأسفارهم ، أو ليهتدوا بالإعتبار بها الى دينهم (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) أي رفعنا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظاً من الشياطين بالشهب التي ترمى بها وهم عن الاستدلال بما فيها من الأدلة معرضون ، وأنه سبحانه هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ولكل واحد منها فلكاً يدور فيه بسرعة كالسباحة . (وما جعلنا لبشر من قبلك) يا محمّد ما جعلنا لأحد الدوام والبقاء في الدنيا ، أتراك إن متّ أفهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكة حين قالوا نتربص به ريب المنون (كل نفس ذائقة الموت) ونبلوكم ونختبركم بالفقر والغنى والضراء والسراء ليظهر صبركم على ما تكرهون (والينا ترجعون) والى حكمنا تردون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

وإذا رآك الذين تعيبُ آلهتهم وتدعوهم الى التوحيد اتخذوك سخرية يقول بعضهم لبعض (أهذا الذي يذكر آلهتكم) ويعيبها ، (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) فعجب أمر هؤلاء حيث جحدوا الحي المنعم القادر العالم الخالق الرازق واتخذوا ما لا ينفع ولا يضر ،ثم إن من دعاهم الى تركها اتخذوه هزواً وهم أحق بالهزء عند من يدبر حالهم(خلق الانسان من عجل)قيل:ان المعني بالانسان هو آدم(ع)لأن الله لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وقيل: المعني بالانسان كل الناس،وهي بمعنى خلق الانسان عجولاً يحب العجلة أو يستعجل في كل شيء يشتهيه ،وقيل غير ذلك . (سأريكم آياتي) الدالة على وحدانيتي وعلى صدق محمد (ص) فيما يتوعدكم من العذاب فلا تستعجلوا في حلول العذاب بكم فإنه سيدرككم عن قريب ، وقال ابن عباس:يريد به النظر بن الحرث وهو الذي قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا . . . ويقول المشركون للمسلمين (متى هذا الوعد) يريدون وعد يوم القيامة إن كنتم صادقين في هذا الوعد ، ولو علم هؤلاء الكفار الوقت الذي تحيط بهم النار من جميع جوانبهم لما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة فتحيرهم فلا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخرون الى وقت آخر ولا يمهلون لتوبة أو معذرة .

قوله تعالى :

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

لما تقدم ذكر استهزاء الكفار بالنبي والمؤمنين سلّى الله سبحانه نبيّه بذكر من استهزأ بالرسل قبله وكيف حل بالمستهزئين وبال استهزائهم وسخريتهم قل يا محمّد لهؤلاء الكفار مَن يحفظكم من الرحمن وعذابه ، بل هم عن كتاب ربهم معرضون لا يؤمنون به ولا يتفكرون فيه ، ألهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا وآلهتهم لا يستطيعون نصر أنفسهم (ولا هم منّا يصحبون) أي لا يجير الكفار من عذابنا احد لأن المجير صاحب الجار (بل متّعنا هؤلاء وآباءهم) في الدنيا بنعمها فلم نعاجلهم بالعقوبة حتى طالت أعمارهم فغرهم طول أعمارهم وأتوا ما أتوا (أفلا يرونَ أنّا نأتي الأرض ننقصها من اطرافها) بتخريبها وبموت أهلها ، وروي عن أبي عبدالله (ع) قال : نقصانها ذهاب علمائها ، وقيل: ننقصها من أطرافها بظهور النبي

(ص) على مَن قاتله واستيلائه عليها أرضاً فارضاً وقوماً فقوماً أو بمعنى نقصها على المشركين وتزيدها على المسلمين .

قل يا محمّد إنما انذركم من عذاب الله بما أوحى الله إليّ (ولا يسمع الصم الدعاء) شبّه الكفار بالصم الذين لا يسمعون النداء ، لأنهم يستثقلون القرآن وسماعه فهم بمنزلة الأصم الذي لا يسمع .

قوله تعالى :

وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

لما تقدم الإنذار بالعذاب ذكر حالهم حين يصيبهم بعض العذاب وأنهم يدعون بالويل والثبور عند نزوله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)أي نحضر الموازين التي لا جور فيها بل كلها عدل بالحق لكل احد على قدر استحقاقه ، فلا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة مسيء مهما كان دقيقاً (وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) أي اعطيناهما التوراة يفرق بين الحق والباطل (وضياءً) وهو من صفة التوراة بمعنى استضاؤوا بها حتى اهتدوا في دينهم (وذكراً للمتقين) يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون

بمواعظه . ثم وصف المتقين فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي في حالة سرائرهم وهم من القيامة واهوالها خائفون . (وهذا ذكر مبارك انزلناه) أراد به القرآن فلماذا ينكره الكفار ويجحدونه مع كونه معجزاً وفيه من العلوم والفوائد ما لا ينكر .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)
وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ
جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا
بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ (٦٠)

عطف سبحانه علىٰ ما تقدم من قصة موسىٰ وهارون بقصة ابراهيم (ع) وأنه أعطاه الحجج التي توصله إلىٰ الرشد من معرفة الله وتوحيده(من قبل)من قبل

موسى ، أو من قبل محمّد والقرآن وكنا عالمين بأنه اهل للرشد والنبوة (إذ قال لأبيه وقومه) حينَ رآهم يعبدون الأصنام (ما هذه . .) والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبّهاً بخلق من خلق الله ، وقيل:انهم جعلوها أمثلة لعلمائهم الذين انقرضوا ، وقيل:انهم جعلوها أمثلةً للأجسام العلوية . وروي أن علياً (ع) مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لقد عصيتم الله ورسوله . وكان جوابهم لإبراهيم (ع) (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم واعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجة لعبادتهم إياها سوى إتباع الآباء فذمهم على تقليد الآباء ونسبهم جميعاً الى الضلال ، فقالوا أجاد أنت فيما تقول عند نفسك (أم أنت من اللاعبين) وتقول ذلك مزاحاً معنا لاستبعادهم انكار عبادة الأصنام إذ ألفوا ذلك واعتادوه ، قال ربكم والهكم إله السماوات والأرض الذي خلقهنّ وابتدأهنّ (وأنا على ذلكم من الشاهدين) بالحق ثم اقسم ابراهيم (ع) فقال (وتالله لأكيدنّ أصنامكم) وأدبرنّ تدبيراً خفياً يسوؤكم،قيل:انما قال ذلك في سر من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل منهم فأفشاه (بعد أن تولوا مدبرين) أي بعد أن تنطلقوا ذاهبين حيث كان لهم في كل سنة مجمع . إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام وسجدوا لها ، فقالوا لابراهيم (ع) ألا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال:اشتكي رجلي وانصرف (فجعلهم جذاذاً) أي جعل الأصنام قطعاً قطعاً وحطمها إلا كبير الأصنام تركه على حاله وعلّق الفأس في عنق الصنم الكبير وخرج (لعلهم إليه يرجعون) إلى ابراهيم فيسألونه عن حال الأصنام فينبههم على جهلهم ، وقيل لعلهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل مَن اتخذوه إلهاً ، فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا أصنامهم مكسرة ساءهم ذلك فقال الذي سمع من ابراهيم قوله،وقيل:انهم قالوا سمعنا فتى يعيب آلهتنا ويقول إنها لا تضر ولا تنفع .

قوله تعالىٰ :

قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا
فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا
إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا
هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا
وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي
بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

ذكر سبحانه ما جرىٰ بين ابراهيم وقومه في أمر الأصنام وكيف انهم قالوا (فأتوا به علىٰ أعين الناس) أي بحيث يراه الناس ليشهدوا عليه بما قاله في إنتقاص الآلهة ، أو ليشهدوا عقابه ، وبعد أن أحضروه واستجوبوه (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) فأجابهم ابراهيم (ع) (بل فعله كبيرهم) أي فعله كبيرهم إن نطقوا حيث علّق الكلام بشرط لا يوجد وهو نطقهم فلا يكون ذلك كذباً ، وقيل: انه بمعنى الإلزام وان هذه الأصنام إن كانت آلهة كما تزعمون فإنما فعل ذلك بهم

كبيرهم لأن غير الآلهة لا يقدر أن يكسر الآلهة ، فرجع بعضهم الى بعض وقالوا انتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه (ثم نكسوا على رؤوسهم) إذ تحيروا وعلموا أنها لا تنطق ثم اعترفوا بما هو حجة عليهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم فأجابهم ابراهيم بعد اعترافهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم) لأنها لو قدرت على نفع وضر لدفعت عن نفسها (اف لكم ولما تعبدون) تباً لأعمالكم وأفعالكم أفلا تتفكرون بعقولكم فلما سمعوا منه قال بعضهم لبعض حرّقوه بالنار فجمعوا الحطب حتى أن الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيشترى به حطب ولما ألقوه في النار (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) قال أبو عبدالله (ع): لما أجلس ابراهيم في المنجنيق وأرادوا أن يرموه به في النار أتاه جبرائيل (ع) فقال السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة ؟ فقال : أمّا إليك فلا، فلما طرحوه دعا الله فقال: (يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا مَن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فحسرت النار عنه وأنه لمحتبٍ ومعه جبرائيل (ع) وهما يتحدثان في روضة خضراء . (فجعلناهم الأخسرين) قال ابن عباس: هو أن سلّط الله على نمرود وخيله البعوض حتى أخذت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته .

قوله تعالى :

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ

وَأَقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا
ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ
الْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ
إِنَّهُۥ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

بيّن سبحانه تمام نعمته على ابراهيم (ع) (ولوطاً) أي وأنجينا لوطاً من الهلكة وهو ابن أخ ابراهيم فآمن به (الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قيل هي ارض الشام لأنها بلاد خصب، وقيل: الى بيت المقدس لأن بها مقام الأنبياء ، نجّاهما الى مكة ، ووهبنا لإبراهيم اسحاق جواب سؤاله الولد (ويعقوب نافلةً) أي اعطاه لإبراهيم من غير دعاء وجعلناهم صالحين للنبوة والرسالة (وجعلناهم أئمةً) يقتدى بهم في أفعالهم وأقوالهم وأعطينا لوطاً حكمة وعلماً (ونجّيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) وهي قرية سدوم وأنهم كانوا يأتون الذكران وغير ذلك من القبائح .

قوله تعالى :

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ
سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

عطف سبحانه قصة نوح وداود على قصة ابراهيم (ع) ولوط (فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم) والغمّ الذي كان يلقاه من الأذى وتحمل الاستخفاف من السقاط ، فنصرناه على القوم الكافرين ، وآتينا داود وسليمان حكماً وعلماً إذ يحكمان في الحرث حين نفشت فيه غنم القوم ، وكنّا عالمين بحكمهم ولم يغب عنّا منه شيء ، واختلف في الحكم،قيل:كان كرماً وقد بدت عناقيده فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله ، قال:وما ذاك،قال:يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ثم يدفع كل واحد منهما الى صاحبه ما له (ففهّمناها سليمان) أي علمناه الحكم في ذلك (وكلاً اتينا حكماً وعلماً) أي كل واحد من داود وسليمان أعطيناه حكمة،وقيل:النبوة وعلم الدين والشرع ، وسيّرنا الجبال مع داود حيث سار فعبر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو الى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وكذلك تسخير الطير له،وقيل:أن الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح معه بالغداة والعشي معجزة له، وعلّمناه كيف يصنع الدروع ، قيل:وكان اول من صنع الدروع داود (ع) وإنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد في يده لينة كالعجين (لتحصنكم من باسكم) أي ليحرزكم ويمنعكم ويحميكم من وقع السلاح ومضار الحرب والقتال .

قوله تعالىٰ :

وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

(ولسليمان) أي وسخرنا لسليمان الريح شدة الهبوب قال ابن عباس: إذا أراد أن تعصف الريح عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخيت تجري بأمر سليمان (الى الأرض التي باركنا فيها) وهي ارض الشام لأنها كانت مأواه وكان يسكن بعلبك ويبنى له بيت المقدس وكان سليمان (ع) يخرج الىٰ مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الجن والانس حتىٰ يجلس على سريره ويجتمع معه جنده ثم تحمله الريح الىٰ حيث اراد ، وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر فيخرجون له الجواهر واللآلىء ، ويعملون له من الأبنية كالمحاريب والتماثيل (وكنا لهم حافظين) لئلا يهربوا منه، وقيل: يحفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوه ، واذكر يا محمّد أيوب حين دعا ربه لما طالت المحنة به بأنني نالني الضر واصابني الجهد ولا أحد أرحم منك (فاستجبنا له) دعاءه ونداءه وأزلنا ما به من الأوجاع

والأمراض ، ورد الله عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم ورد الله عليه أمواله ومواشيه وأضاف الله له مثلها معها نعمة مَن الله عليه (وذكرىٰ للعابدين) وموعظةً لهم في الصبر والإنقطاع الىٰ الله تعالىٰ والتوكل عليه وليعلموا أن عاقبة الصبر محمودة (واسماعيل وادريس وذا الكفل) أي واذكر هؤلاء الأنبياء وما أنعمت به عليهم حين صبروا علىٰ بلاء الله والعمل بطاعته ، فأما اسماعيل فإنه صبر ببلد لا زرع به ولا ضرع وقام ببناء الكعبة ، وأما ادريس فإنه صبر علىٰ الدعاء الىٰ الله وكان أول مَن بعث الىٰ قومه فدعاهم الىٰ الدين فأبوا فأهلكهم الله تعالىٰ ورفعه الى السماء ، وأما ذو الكفل فقيل إنه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ولكنه تكفّل لنبي بصوم النهار وقيام الليل وأن لا يغضب ويعمل بالحق فوفىٰ بذلك فشكر الله ذلك له،وقيل:هو نبي اسمه ذو الكفل ، وقيل:هو الياس ، وقيل:هو اليسع بن خطوب الذي كان مع الياس وليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن . وروي بالاسناد عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني قال:كتبت الىٰ أبي جعفر (ع) اسأله عن ذي الكفل وما اسمه وهل كان من المرسلين ؟ فكتب (ع): إن الله بعث مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً،وإن ذا الكفل منهم وكان بعد سليمان بن داود (ع) وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود (ع) ولم يغضب قط إلا لله تعالىٰ وكان اسمه عدويا بن ادارين .

قوله تعالىٰ :

وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا

لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ذكر سبحانه قصة يونس (ع) (وذا النون) أي واذكر ذا النون ، والنون الحوت وصاحبها يونس بن متي ، حيث دعا قومه الى الإيمان مدة طويلة فلم يؤمنوا حتى أوعدهم الله بالعذاب فخرج يونس من بينهم مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له قال الجبائي ضيق الله عليه الطريق حتى الجأه الى ركوب البحر ثم قذف به فابتلعته السمكة (فنادى في الظلمات) قيل:انها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ولما أراد السؤال والدعاء قدم ذكر التوحيد والعدل ، واعترف على سبيل الخشوع والخضوع بأن جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم ، قال الجبائي:لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله لكن كان ذلك على وجه التأديب ، وبقاؤه في بطن الحوت حياً معجزة له (فاستجبنا له ونجّيناه من الغم)أي من بطن الحوت .

واذكر زكريا حين دعا ربه (ربِّ لا تذرني فرداً) بغير وارث يعينني في حياتي ويرثني بعد مماتي ، روى الحرث بن المغيرة قال : قلت لأبي عبدالله (ع) إني من اهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد . فقال:ادع وانت ساجد (ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبةً إنك سميع الدعاء ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين)قال ففعلت فولد لي علي والحسين . (وأصلحنا له زوجه) بأن كانت عقيماً فجعلناها ولوداً وقيل:كانت هرمة فرددنا عليها شبابها ، وقيل:كانت سيئة الخلق فجعلناها حسنة الخلق . (إنهم) يعني زكريا ويحيى ، وقيل:جميع الأنبياء الذين تقدم ذكرهم كانوا يبادرون الى الطاعات والعبادات ويدعوننا رغبةً في الثواب ورهباً من العقاب ، (وكانوا لنا خاشعين) أي متواضعين .

قوله تعالى :

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾
وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

واذكر مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وعفّت فأجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء فخلقنا المسيح (وجعلناها وابنها آية للعالمين) لأنها جاءت به من غير فحل فتكلم في المهد بما يوجب براءتها من العيب . (إن هذه أمتكم أمةً واحدةً) أي هذا دينكم دين واحد فلا تشركوا بي شيئاً ، ثم ذكر اليهود والنصارى بالاختلاف فقال (وتقطّعوا أمرهم بينهم) أي فرقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض ، ثم قال مهدداً (كلٌّ الينا راجعون) فنجازيهم بأعمالهم فمَن يعمل من الصالحات شيئاً مثل صلة الرحم ومعونة الضيف ونصر المظلوم والتنفيس عن المكروب وغير ذلك مع شرط الإيمان فلا كفران ولا جحود لإحسانه وتكتب ولا يضيع منها شيء . (وحرام على قريةٍ اهلكناها أنهم لا يرجعون) قيل: إن لا مزيدة هنا والمعنى حرام على قريةٍ مهلكة بالعقوبة أن يرجعوا الى دار الدنيا ، وأن كفار مكة إن عذبوا أو أُهلكوا لم يرجعوا الى الدنيا كغيرهم من الأُمم المهلكة .

قوله تعالى :

حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴿٩٦﴾
واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا
قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴿٩٧﴾ إنكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴿٩٨﴾ لو كان هؤلاء آلهة ما
وردوها وكل فيها خالدون ﴿٩٩﴾ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴿١٠٠﴾ إن
الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴿١٠١﴾ لا يسمعون
حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون ﴿١٠٢﴾ لا يحزنهم الفزع
الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴿١٠٣﴾

أي فتحت جهتهم والمعنى: انفرج سد يأجوج ومأجوج بسقوط أو هدم وذلك من اشراط الساعة (وهم من كل حدب ينسلون) يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الأرض يسرعون ، وقيل: ان قوله هم كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم الى الحشر ، كما عن مجاهد وكان يقرأ من كل جدث يعني القبر . واقترب قيام الساعة وأبصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم ينظرون الى تلك الأهوال ويقولون يا ويلنا حيث اشتغلنا بأمور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه (بل كنا ظالمين) بأن عصينا الله وعبدنا غيره ، ثم قال سبحانه (إنكم وما تعبدون . . .) من الأصنام وقود جهنم ، وقيل: حطبها عن مجاهد وقتادة وعكرمة . (أنتم لها واردون .) خطاب للكفار أي أنتم في جهنم داخلون ، ولو كان هؤلاء

الأصنام والشياطين آلهة كما تزعمون لما دخلوا النار (وكل) من العابد والمعبود من دون الله في النار خالدون (لهم فيها زفير) أي صوت من شدة تنفسهم في النار ، وهم لا يسمعون ما يسرهم وإنما يسمعون صوت المعذبين؛ قالوا: ولما نزلت هذه الآية أتى عبدالله بن الزبعري رسول الله (ص) فقال: يا محمّد ألست تزعم أن عزيراً رجل صالح وأن عيسى (ع) رجل صالح وأن مريم امرأة صالحة؟ قال: بلى . قال: فإنّ هؤلاء يُعبدون من دون الله فهم في النار . فأنزل الله هذه الآية (إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى . . .) ثمأي الموعدة بالجنة (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من نعيم الجنة وملاذها خالدون ، وروى أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) قال: ثلاثة على كثبان من مسك لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يكترثون للحساب؛ رجل قرأ القرآن محتسباً ثم أمّ به قوماً محتسباً ورجل أذّن محتسباً ومملوك أدى حق الله عز وجل وحق مواليه . (وتتلقاهم الملائكة) بالبشرى والتهنئة بالأمن والفوز بالجنة .

قوله تعالى :

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا

تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾
وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ
وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

(كما بدأنا أول خلق نعيده) أي ونبعث الخلق كما ابتدأناه وأن قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الإبتداء . (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل:الزبور كتب الأنبياء أي كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الأنبياء من كتابته في الذكر في أُم الكتاب الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ ، وقيل:الزبور الكتب المنزلة بعد التوراة والذكر هو التوراة ، وقيل:الزبور زبور داود والذكر توراة موسى (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قيل:هي الجنة يرثها المطيعون من عباد الله ، وقيل:هي الأرض المعروفة ترثها أُمة محمّد (ص) بالفتوح ، وقال أبو جعفر عليه السلام هم أصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ،ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي (ص) أنه قال:(لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من اهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً) .

وما روي عن سعيد بن المسيب عن أُم سلمة قالت سمعت رسول الله (ص) يقول : المهدي من عترتي من ولد فاطمة . (إن في هذا) الذي أخبرناكم به وما واعدنا المؤمنين به من الجنة أو في هذا القرآن (لبلاغاً لقوم عابدين) أي كفاية وسبباً للوصول الى الحق لقوم مخلصين لله،قيل:هم أُمة محمّد (ص) الذين يصلّون الخمس ويصومون شهر رمضان ، وفي الآية دلالة على بطلان قول أهل الجبر في انه ليس لله على الكافر نعمة لأنه سبحانه بيّن أن في ارسال محمّد (ص) نعمةً على

العالمين وعلى كل من ارسل اليهم ، قل يا محمّد (إنّما آلهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) أي منقادون لذلك فتركوا عبادة غير الله فإن اعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أعلمتكم بالحربْ اعلاناً نستوي نحن وانتم في علمه وما أدري أقريب موعد يوم القيامة فإن الله تعالىٰ هو العالم بذلك ، اوما ادري عن وقوع الحرب بيني وبينكم متىٰ اؤذن فيه ، وما أدري لعل ما أخبرتكم به فتنة واختباراً لكم ، أو لعل تأخير العذاب محنة واختباراً لكم لترجعوا عما أنتم عليه تتمنعون بالتأخير الىٰ وقت انقضاء آجالكم ، ويا محمّد قل ربّ احكم بيني وبين مَن كذبني بالحقّ . . .

تمت ولله الحمد سورة الأنبياء وتفسيرها

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

سورة الحج

وهي مكية عن ابن عباس وعطاء إلا
آيات ، قال الحسن هي مدنية غير آيات
نزلت في السفر ، وقال بعضهم غير ست
آيات ، وقال بعضهم غير أربع آيات .
وهي ثمان وسبعون آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ
تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ
حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ
شَدِيدٌ (2) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ
مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى
عَذَابِ السَّعِيرِ (4) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا
خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ
وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى

ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

خاطب الله سبحانه جميع المكلفين ، ومعناه يا أيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم واخشوا معصيته (إن زلزلة الساعة) أي زلزلة الأرض يوم القيامة ، أو الزلزلة التي قبل يوم القيامة أمرها عظيم هائل لا يطاق يوم ترون الزلزلة أو الساعة تشغل كل مرضعة عن ولدها وتنساه ، وتضع الحبالى ما في بطونها ، وفي هذا دلالة على أن الزلزلة تكون في الدنيا ، فإن الرضاع ووضع الحمل إنما يتصور في الدنيا ، قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ، ومن قال أن المراد به يوم القيامة قال أنه تهويل لأمر القيامة أي لو كان ثم مرضعة لذهلت أو حامل لوضعت، ومن شدة الخوف كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم لأنهم يضطربون اضطراب السكران . ثم اخبر سبحانه عن المشركين (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) بل لجهلهم ، وقيل:ان المراد به النضر بن الحرث فإنه كثير الجدال وكان يقول الملائكة بنات الله ، والقرآن اساطير الأولين ، وينكر البعث (ويتبع كل شيطان مريد) يغويه عن الهدىٰ ويدعوه الى الضلال ، وكتب على الشيطان أنه من تولاه أضله الله تعالىٰ ، أو كتب على المجادل بالباطل أن مَن اتبعه ووالاه يضله عن الهدىٰ (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) أي في شك من البعث والنشور ، والريب اقبح انواع الشك ،

فالدليل على صحة البعث إنا خلقنا أصلكم وهو آدم (ع) من تراب فمَن قدر على أن يصير التراب بشراً سوياً حياً،قادر على أن يحيي العظام ويعيد الأموات (ثم من نطفة) أي خلقنا اولاد آدم ونسله من نطفة في ارحام الأمهات وهي الماء القليل (ثم من علقة) بأن تصير النطفة علقة وهي القطعة من الدم الجامد (ثم من مضغة) أي شبه قطعة من اللحم ممضوغة (مخلّقة وغير مخلّقة) أي تامة الخلق ومصورة أو غير تامة ، لنبيّن لكم أن مَن قدر على الابتداء قدر على الإعادة ، ونبقي في ارحام الأمهات ما نشاء الى وقت تمامه (ثم نخرجكم طفلاً) وأنتم اطفال (ثم لتبلغوا أشدكم) وهو حال اجتماع العقل والقوة ، وقيل:هو وقت الاحتلام والبلوغ ، ومنكم من يتوفى ويموت في حال صغره. ومنكم مَن يعمر إلى أسوء عمر بحيث ينسى كل ما كان عالماً به ويصير الى حال ينعدم به عقله (وترى الأرض هامدة) أي يابسة ليس فيها نبات فاذا انزلنا عليها المطر تحركت بالنبات (وربت) أي زادت وانبتت كل ما يبهج العين .

قوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ
عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة عقبه بما يتصل به (ذلك بأن الله هو الحق) أي أن الله الذي يصرف مخلوقاته على هذه الأحوال هو الذي يحق له العبادة دون غيره ، وأن من قدر على انشاء الخلق فإنه يقدرعلى إحياء الموتى (وأنه على كل شيء قدير) فلا حدّ لقدرته ، وليعلموا أن القيامة آتية لا شك فيها (وأن الله يبعث من في القبور) للحساب والجزاء . وفي هذا دلالة على أن الجدال بالعلم صواب وبغير العلم خطأ لأن الجدال بالعلم يدعو إلى إعتقاد الحق وبغير العلم يدعو الى اعتقاد الباطل . (ثاني عطفه) أي متكبّر متجبّر ، أو لاوي عنقه إعراضاً وتكبراً عن الله ورسوله ليضل الناس عن الدين (له في الدنيا خزي) وهوان وفضيحة بما يجري على ألسنة المؤمنين من الذم وبالقتل وغير ذلك ، وفي الآخرة عذاب النار (وأن الله ليس بظلام للعبيد) في تعذيبهم فلا يظلم أحداً ولا يعاقب إلا المستحقين .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ
أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ
هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ
ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ
لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ

بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

لمّا تقدم ذكر الكفار وما تعاطوه من الجدال ذكر سبحانه حال المقلدين في الضلال (ومن الناس مَن يعبد الله علىٰ حرف) أي ضعيف في العبادة فذاك ينقاد لأدنى شبهة لا يمكنه حلها ، وقيل: يعبد الله بلسانه دون قلبه فإن اصابه رخاء وعافية وخصب اطمأن على عبادة الله بذلك الخير (وإن اصابته فتنة) أي اختبار بفقر أو غيره رجع عن دينه الىٰ الكفر خسر خير الدنيا ونعيم الآخرة ، ويدعو هذا المريد بعبادته سوى الله يدعو ما لا يضره إن لم يعبده ولا ينفعه إن عبده ، وبسلوكه هذا يكون ضالاً بعيداً عن الحق لكونه (يدعو لمَن ضره أقرب من نفعه) الذي ضره في الآخرة بسبب عبادته اقرب من النفع ولا نفع فيه لبئس الناصر ولبئس المعاشر المخالط (إن الله يدخل الذين آمنوا) به وصدقوا رسله (وعملوا الصالحات جنات . . .) ثم من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله محمداً (ص) ولن يعينه على عدوه فليمت غيظاً وحقداً (فليمدد بسبب الى السماء) أي فليشدد حبلاً في سقفه ثم ليقطع الحبل ليموت خنقاً بعدما نصر الله رسوله وأعانه . وانه بسبب غيظه وكيده لا يستطيع أن يذهب عنك يا محمّد نصر الله ووحيه فليتجرع ما يغيظه .

قوله تعالىٰ :

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ
النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾

بيّن سبحانه أنه نزّل الآيات حجة على الخلق ، وأن انزال القرآن على مثل ما نزل من الآيات التي سبقته (وأن الله يهدي من يريد) أي يهدي الى الدين من يريد ، وقيل:يهدي الى النبوة أو الى الثواب (إن الذين آمنوا) بمحمّد (ص) واليهود و . . . إن الله يبيّن المحق من المبطل ، والفصل التمييز بين الحق والباطل (ألم تر) يا محمّد (إن الله يسجد له . . .) وصف سبحانه الأشياء بالسجود وهو الخضوع والانقياد لخالقها فيما يريد (وكثير من الناس) يعني المؤمنين الذين يسجدون لله . (وكثير حق عليه العذاب) ممّن أبى السجود ولا يوحد الله سبحانه ومَن يُهن الله ويدخله جهنم فما له من مكرم بالجنة لأنه لا يملك العقوبة والمثوبة سواه سبحانه .

قوله تعالى :

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا

مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾
وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بيّن سبحانه ما اعدّه لكل واحد من الفريقين فقال (هذان خصمان) أي جمعان اختصموا في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم ، وقال المسلمون: بل نحن أحق بالله منكم آمنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وكفرتم أنتم بنبينا حسداً ، وقيل: معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال ابن عباس حين صاروا الى جهنم لبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار ، وقيل: يجعل لهم ثياب نحاس من نار ، وقيل: ان النار تحيط بهم كاحاطة الثياب التي يلبسونها والحميم الماء المغلي فيذيب ما في بطونهم من الشحوم وتتساقط الجلود ويذاب وينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء وتذاب به الجلود والمقمعة من الحديد يضرب بها الرأس ، وكلما حاولوا الخروج من النار ردوا اليها بالمقامع ، ويقال لهم (ذوقوا عذاب الحريق) قال الزجاج هذا لأحد الخصمين وقال سبحانه عن الخصم الثاني وهم المؤمنون (إن الله يدخل الذين آمنوا) بالله وأقروا بوحدانيته وأتبعوا ذلك بعمل الصالحات يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويلبسون الحلي فيها من أساور اليد والذهب واللؤلؤ (ولباسهم فيها حرير) حيث أن ذلك مباح لهم في الجنة ، (وهدوا الى الطيّب من القول) أي ارشدوا في الجنة الى التحيات الحسنة يحيي بعضهم بعضاً ويحييهم الله

وملائكته بها ، وقيل:ارشدوا الى شهادة أن لا إله إلا الله والحمد لله ، أو الى القرآن ، وصراط الحميد هو طريق الإسلام وطريق الجنة .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي
جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ
بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ
أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ
(٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي
أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ
وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)

عطف على ما تقدم ، ويجوز أن يكون المعنى إن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدون الناس عن طاعة الله (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس) مستقراً ومنسكاً ومتعبداً ، سواء فيه العاكف المقيم والبادي الذي يرد اليه من غير أهله مستويان في سكناه .

وقيل: جعلناه للناس أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجّهم ، وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدّعون أنهم أربابه وولاته ، والإلحاد العدول عن القصد ، وهنا هو الشرك وعبادة غير الله تعالى ، وقيل: الإستحلال للحرام والركوب للآثام ، أو هو كل شيء نهى الله عنه لأن الذنوب هنا اعظم ، وقيل: هو دخول مكة بغير إحرام . وقيل: إن الآية نزلت في الذين صدوا رسول الله (ص) عن مكة عام الحديبية واذكر يا محمّد إذ وطّأنا لإبراهيم مكان البيت وعرفناه ذلك ، وأوحينا اليه أن لا تعبد غيري ولا تشرك بي شيئاً (وطهر بيتي) من الشرك وعبادة الأوثان ، والمراد بالقائمين: المقيمين بمكة، وقيل: القائمين بالصلاة ونادي في الناس وأعلمهم بوجوب الحجّ ، والخطاب لإبراهيم (ع) ، فقام في المقام فنادى يا أيها الناس إن الله دعاكم الى الحجّ . فأجابوا بلبيك اللهم لبيك ، وقيل: إن المخاطب هو نبيّنا محمّد (ص) أي وأذن يا محمّد في الناس بالحجّ ، فأذّن (ص) في حجّة الوداع أي أعلمهم بوجوب الحجّ ، وجمهور المفسرين على القول الأول ، يأتوك على أرجلهم وركباناً (يأتين من كل فج عميق) أي طريق بعيد (ليشهدوا منافع لهم) التجارة في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة (ويذكروا اسم الله في ايام معلومات) قيل: هي أيام العشر، وقيل: هي أيام التشريق يوم النحر وثلاثة بعده ، ويذكروا اسم الله على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم ، وقيل: هو التكبير يوم النحر يقول (الله اكبر الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام) (فكلوا منها) أي من بهيمة الأنعام وهذا إباحة

وندب وليس بواجب (وأطعموا البائس الفقير) البائس الذي ظهر عليه اثر البؤس من الجوع والعري ، وقيل: البائس الذي يمدّ يده بالسؤال ويتكفف للطلب أمر سبحانه أن يُعطىٰ هؤلاء من الهدي (ثم ليقضوا تفثهم) أي ليزيلوا شعث الإحرام من تقليم الأظافر وأخذ شعر وغسل واستعمال طيب ، وقيل: ليقضوا مناسك الحجّ كلها (وليوفوا نذورهم) وهو ما نذروا من البُدن أو ما نذروا من أعمال البر في الحجّ ، وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يفي بها هناك . (وليطّوفوا بالبيت العتيق) قيل: أراد به طواف الزيارة لأنه من أركان الحجّ بلا خلاف ، وروى أصحابنا أنه طواف النساء الذي يستباح به وصل النساء وذلك بعد طواف الزيارة ، والبيت العتيق هو الكعبة (ومَن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربه) والحرمة ما لا يحل انتهاكه ، واختار اكثر المفسرين في معنى الحرمات هنا أنها المناسك ، وقيل: هي البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام (وأُحلت لكم بهيمة الأنعام) الإبل والبقر والغنم (إلا ما يتلىٰ عليكم) في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة والموقوذة ونحوها (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) روى أصحابنا أن اللعب بالشطرنج والنرد وسائر أنواع القمار من ذلك الرجس المنهي عنه (واجتنبوا قول الزور) يعني الكذب ، وقيل: يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية ، وروي عن رسول الله (ص) أنه قام خطيباً فقال : أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) وقيل: هو تلبية المشركين: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .

قوله تعالىٰ :

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ

وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ
أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا
لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

حنفاء:اي مستقيمي الطريقة على أمر الله حجّاجاً مخلصين مسلمين موحدين لا يشركون في تلبية الحجّ به احداً ، ثم ضرب الله سبحانه مثلاً لمَن أشرك وشبّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء، في أنه لا يملك لنفسه خلاصاً فهو هالك لا محالة (ومَن يعظم شعائر الله) معالم دين الله،قيل:هي المناسك كلها ، وقيل:شعائر الله دين الله كله وتعظيمها التزامها ، لكم في تلك الشعائر منافع ، أي في الهدي من منافع ركوبها ولبنها الى أن تنحر ، وقيل:المراد بالمنافع منافع التجارة ، ومَن قال أن الشعائر هي عموم دين الله سبحانه قال لكم منافع الأجر والثواب،والأجل المسمىٰ:القيامة (ثم محلّها الى البيت العتيق) أي محل الهدي،والبدن:الكعبة،وقيل محلّها الحرم كله حيث يحل نحرها ، أو محل الشعائر ونهاية المناسك والتحلل منها بالطواف بالبيت ، ولكل جماعة مؤمنة من الذين سلفوا جعلنا لهم عبادة في الذبح ، أو موضعاً للنسك ومتعبداً يقصدونه (ليذكروا اسم الله علىٰ ما رزقهم) وفي هذا دلالة على أن الذبائح غير مختصة بهذه الأمة وأن التسمية علىٰ الذبح

كانت مشروعة قبلنا . لأن معبود الجميع واحد فلا تذكروا على الذبائح إلا الله وحده (فله اسلموا) اطيعوا وانقادوا (وبشر المخبتين) المتواضعين الى الله ، المطمئنين بجزائه الذين إذا خوفوا بالله خافوا والصابرين على ما اصابهم من البلايا والمصائب في طاعة الله (والمقيمي الصلاة) في أوقاتها يؤدونها كما أمرهم الله ويتصدقون مما رزقهم الله .

قوله تعالى :

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
(٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ
كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)
إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ
وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ

اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

عاد سبحانه الى ذكر الشعائر (والبُدن) وهي الإبل العظام،وقيل:الناقة والبقرة مما يجري في الهدي والأضاحي ، جعل الله فيها عبادة من سوقها الى البيت واشعارها ونحرها والإطعام منها لما في ذلك من خير كثير بالأجر والثواب (فاذكروا اسم الله عليها) أي حال نحرها قال ابن عباس هو أن يقول : الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر اللهم منك ولك.(صواف) أي قياماً مقيدة هذا في الإبل فأما البقرة فإنه يشد يدها ورجلاها ويطلق ذنبها ، والغنم يشد ثلاث قوائم منها وتطلق رجل واحدة (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت الى الأرض (فكلوا منها) وهذا اذن وليس بأمر ، وقيل:ان الأكل منها واجب ولكن المشهور هو الندب (وأطعموا القانع والمعتر) قيل:إن القانع الذي يقنع بما أُعطي أو بما عنده ولا يسأل ، والمعتر الذي يتعرض لك ، وقال أبو جعفر (ع) وأبو عبدالله (ع):القانع :الذي يقنع بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه غضباً ، والمعتر:الماد يده لتطعمه ، وروي عنهم (ع):أنه ينبغي أن يطعم ثلثه ، ويعطي القانع والمعتر ثلثه ، ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها . . .) أي لن تصعد الى الله لحومها وانما يصعد اليه التقوى . (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وينصرهم على المشركين (إن الله لا يحب كل خوّان كفور) بأن جعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه ، وقيل:من ذكر اسم غير الله وتقرب الى الأصنام بذبيحته فهو خوّان كفور . (أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا) أي بسبب أنهم ظُلموا وكان المشركون يؤذون المسلمين ولا يزال يجيء مشجوج ومضروب الى رسول الله (ص) ويشكون ذلك الى رسول الله فيقول لهم (ص):اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة وهي اول آية نزلت في القتال وأنه سبحانه سينصرهم (الذين أُخرجوا من ديارهم . . .) يحتمل أن يكون معناه

الذين أُخرجوا الى المدينة ويحتمل أراد الذين خرجوا الى الحبشة لأنهم تعرضوا لهم بالأذى حتى اضطروهم الى الخروج من غير أن يستحقوا هذا الأذى إلا لقولهم ربنا الله وحده ، (ولولا دفع الله الناس ....) ولولا أن دفع الله بعض الناس ببعض لهدم في كل شريعة أمكنة عبادتها،قيل:البيَع للنصارى في القرى والصوامع في الجبال والبراري ، والمساجد للمسلمين والصلوات كنيسة اليهود (ولينصرنَّ الله مَن ينصره) وعد من الله سبحانه بأنه سينصر مَن ينصر دينه وشريعته .

قوله تعالى :

الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾

وصف سبحانه مَن ذكرهم من المهاجرين ، وأنه سبحانه حين مكّنهم وسلطهم في الأرض أدوا الصلاة بحقوقها وأعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة

(وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) . وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف وقال أبو جعفر (ع) : نحن هم والله . ثم عزى سبحانه نبيّه (ص) عن تكذيب قومه إياه ، وخوّف مكذبيه بذكر من كذبوا أنبياءهم فاهلكوا . (فأمليت للكافرين) أي أخّرت عقوبتهم وأمهلتهم (ثم أخذتهم) بالعذاب (فكيف كان نكير) استفهام معناه التقرير أي فكيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكاً (فكأين من قرية أهلكناها) أي كم من قرية أهلكناها وأخذناها وأهلها ظالمون بالتكذيب والكفر فبدت خاوية خالية من أهلها ، وكم من بئر باد أهلها وغار ماؤها فتعطّلت ، وكم من قصر رفيع تداعى الى الخراب بهلاك أهله ، وقال الضحاك:هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور نزل بها اربعة آلاف ممّن آمن بصالح ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمّي المكان حضرموت ثم إنهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام فبعث الله نبياً يقال له حنظلة فقتلوه في السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم وعطلت بئرهم وخرب قصر ملكهم .

قوله تعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ
(٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ
ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ

نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

حثّ سبحانه على الإعتبار بحال مَن مضى من القرون المكذبة لرسلهم (أفلم يسيروا في الأرض) أي أولَم يسر قومك يا محمّد في ارض اليمن والشام وما فيهما من عبر الأمم السالفة ويعقلون بقلوبهم ما نزل بمَن كذب قبلهم (أو آذان يسمعون بها) اخبار الأمم المكذبة (فانها لا تعمى الأبصار . . .) أي أن الأبصار وإن كانت عمياء فلا تكون في الحقيقة عمياء إذا كان اصحابها عارفين بالحق ، وإنما يكون العمى عمى القلب الذي يقع معه الجحود بوحدانية الله سبحانه (ويستعجلونك) يا محمّد بالعذاب (ولن يخلف الله وعده) في انزال العذاب بهم قال ابن عباس يعني يوم بدر (وإن يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدون) أي إن كل يوم من أيام الآخرة يكون كألف سنةٍ من أيام الدنيا ، وقيل :أن معناه وإن يوماً عند ربك وألف سنة في قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وبين تأخره في القدرة إلا أنه سبحانه تفضّل بالإمهال إذ لا يفوته شيء ، وثالثها : إن يوماً واحداً كألف سنة في مقدار العذاب لشدته وعظمته كمقدار عذاب ألف سنةٍ من أيام الدنيا ، وكذلك نعيم الجنة (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) مستحقة لتعجيل العقاب (ثم أخذتها) أي أهلكتها ، وقل لهم يا محمّد اني مخوف لكم من معاصي الله مبيّن لكم ما يجب عليكم فعله وما يجب تجنّبه (والذين سعوا في آياتنا) أي بذلوا الجهد في ابطال آياتنا ،والمعاجزة محاولة عجز المغلوب ومَن قرأ (معجّزين) بالتشديد :أي مثبطين لمَن أراد اتباع النبي (ص) .

قوله تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)﴾

روي عن ابن عباس وغيره أن النبي (ص) لما تلا سورة النجم وبلغ الى قوله (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان في تلاوته (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترجى) فسرّ بذلك المشركون فلما انتهى الى السجدة سجد المسلمون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم . فهذا الخبر ـ كما يقول المصنف ـ إن صحّ محمول على أنه كان يتلو القرآن فلما بلغ الى هذا الموضع وذكر اسماء آلهتهم وقد علموا من عادته (ص) أنه كان يعيبها قال بعض الحاضرين من الكافرين (تلك الغرانيق العلى . . .) وألقى ذلك في تلاوته ليتوهم أن ذلك من القرآن ، فأضافه الله سبحانه الى الشيطان لأنه إنما

حصل باغوائه ووسوسته . وهذا أورده المرتضىٰ قدّس الله روحه في كتابه التنزيه ، وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وهو وجه حسن في تأويله . قيل:ان الفرق بين الرسول والنبي فالرسول الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي والنبي الذي يوحىٰ اليه في منامه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ، وقيل:ان الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي الذي يحفظ شريعة غيره . والأولى هو الاول فالرسول والنبي واحد لأن الرسول يعم الملائكة والبشر والنبي يختص بالبشر (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)فالمعنىٰ إن من أرسل قبلك كان إذا تلا ما يؤديه الىٰ قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود ، وأضاف ذلك الىٰ الشيطان لأنه يقع بغروره (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يزيله ويدحضه بظهور حججه وفي ذلك تسليةٌ للنبي (ص) لما كذب المشركون عليه وأضافوا الى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها ، وأما الأخبار المروية في هذا الباب فهي مطعونة ومضعفة عند أصحاب الحديث . والغرانيق:جمع غرنوق وهو الحسن الجميل يقال شاب غرنوق (ثم يُحكم الله آياته) أي يبقي آياته محكمة لا سهو فيها ولا غلط (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة . . .) أي ليجعل ذلك امتحاناً للذين في قلوبهم شك والقاسية قلوبهم من الكفار (أنه الحق من ربك) أي إن القرآن حق لا يجوز عليه التبديل (فتخبت له قلوبهم) أي تخشع وتتواضع لقوة ايمانهم (وإنالله لهادِ الذين آمنوا الى صراط مستقيم) أي طريق واضح لا عوج فيه،وقيل:يهديهم بايمانهم الىٰ طريق الجنة (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أي في شك من القرآن (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قيل:انه عذاب يوم بدر لأنه لا مثيل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه .

قوله تعالىٰ :

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ
مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

لما تقدم ذكر القيامة بيّن سبحانه صفته ، وأنه لا يملك احد سواه شيئاً وأنه يفصل بين المؤمنين والكافرين وأن المؤمنين ينعمون في جنات النعيم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم ، والذبن خرجوا من مكة الى المدينة مهاجرين وفارقوا أوطانهم ثم قتلوا في الجهاد أو ماتوا في الغربة ليرزقنهم الله الجنة لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . (وان الله لعليم) بأحوالهم (حليم) عن معاجلة الكفار بالعقوبة ، ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه (ثم بغي عليه) باخراجه من منزله كما فعل المشركون بالمسلمين (لينصرنه الله) أي لينصرنّ الله المظلوم الذي بغي عليه ، وروي أن الآية نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا إن اصحاب محمّد (ص) لا يقاتلون في هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين بهم .

قوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي
الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

(ذلك) أي ذلك النصر(بأن الله . . .) وإن الله سميع لدعاء المؤمنين بصير بهم وأن الله هو الحق ، أو أن من اعتقد بالله وبتلك الصفات له هو المحق (ألم تر أن الله انزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرّة) بالنبات رزقاً لعباده من حيث لا يحتسبون ، له التصرف في جميع السموات والأرض وسخر جميع ما في الأرض من حيوانات ، وسخر لكم الفلك تجري بمصالحكم ويمنع السماء من وقوعها على الأرض إلا بارادته وذلك حين يريد ابطال الأرض والحياة .

قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ
إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

ذكر سبحانه دلالة أخرى على وحدانيته وأنه الذي احياكم بعد أن كنتم نطفاً ميتة ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم، ثم يحييكم للبعث والحساب وان من قدر على ابتداء الإحياء قدر على اعادة الإحياء. إلا أن الانسان مع هذه الأدلة الدالة على خالقه كفور بها جاحد لها وان لكل قرن مضى شريعة هم عاملون بها، أو مكان يألفونه لعبادة الله، ومناسك الحجّ من هذا لأنها مواضع العبادة (فلا ينازعنّك في الأمر) وفي ذلك نهي لهم عن منازعة النبي (ص) ومنازعتهم قولهم: اتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة وعليه فليس لهم أن ينازعوك يا محمّد في شريعتهم حيث نسخت هذه الشريعة الشرايع المتقدمة. (وادع الى ربك) وبتوحيد ربك ودينه وانك على دين قيّم مستقيم وإن خاصموك وجادلوك على سبيل المراء والتعنّت بعد لزوم الحجّة فلا تجادلهم أو إن نازعوك في نسخ الشريعة فحاكمهم الى الله فإن الله يفصل بينكم (فيما كنتم فيه تختلفون) (الم تعلم) يا محمّد والمراد جميع المكلفين ألم تعلموا أن الله لا يخفى عليه شيء من ذلك وانه مثبت في الكتاب المحفوظ، وأن ذلك على الله يسير انما يقول له كن فيكون.

قوله تعالى:

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي

وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا
قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا
لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

أخبر سبحانه عن حال الكفار وأنهم يعبدون من دون الله بلا حجة منزلة وليس لهم علم بأن تلك الأصنام آلهة تستحق العبادة ، وما للظالمين المشركين من مانع من العذاب ونصير لهم على الخلاص لأنهم كانوا إذا تُتلى عليهم آيات الله من القرآن وغيره من الحجج الواضحات لمَن تنكر بها فانك يا محمّد (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) والكراهية والعبوس يكادون يبطشون من شدة غيظهم وحنقهم على الإيمان وأهله ويكادون يلحقون بهم الأذى قل لهم يا محمّد أفاخبركم بما هو أشد لكم كراهة من سماعكم القرآن فتلك النار وعذابها الأليم وعد الله بها (الذين كفروا وبئس المصير) والمأوى لهم . ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) لتطلعوا على جهل الكفار و (أن الذين تدعون من دون الله) من الأصنام ، وكانت ثلثمائة وستين

صنماً حول الكعبة فهم من الضعة والحقارة (لن يخلقوا ذباباً) ولو تعاونوا واجتمعوا جميعاً بل هم أحقر من ذلك (وإن يسلبهم الذباب شيئاً) لا يستطيعون استنقاذه . قال ابن عباس:كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجفّ فيأتي الذباب فيختلسه (ضعف الطالب والمطلوب) الطالب:الصنم،والمطلوب:الذباب ، وان هؤلاء المشركين (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عظّموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له وإن (الله يصطفي من الملائكة رسلاً) يعني جبرائيل وميكائيل كما أنه سبحانه يصطفي من الناس أنبياء .

قوله تعالى :

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

لما وصف سبحانه نفسه بأنه سميع بصير عقّبه بقوله (يعلم ما بين أيديهم) يعني ما بين ايدي الخلائق من القيامة وأحوالها وما يخلفونه من دنياهم ولا يكون

الأمر يوم القيامة لأحد سواه ، ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلّوا واعبدوا ربكم بما أمركم من العبادات (وافعلوا الخير) يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ولا تقتصروا على فعل الصلاة الواجبة بل افعلوا غيرها من أنواع البر واعانة الضعيف وبر الوالدين لكي تفلحوا وتسعدوا (وجاهدوا في الله حق جهاده) اكثر المفسرين حملوا الجهاد هـ هنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى لأن الله هو اختاركم واصطفاكم لدينه وما جعل عليكم من ضيق بل جعل التوبة والكفارات وغيرها مخلصاً من الذنوب ، فلا عذر لأحد في ترك الاستعداد للقيامة ، (ملة أبيكم ابراهيم) أي دينه لأن ملة ابراهيم داخلة في ملة محمّد (ص) وانما سمّاه أباً للجميع لأن حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد ، أو لأن العرب من ولد اسماعيل ، وان الله سمّاكم المسلمين،وقيل:هو كناية عن ابراهيم (ع) لقوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك (من قبل) أي من قبل انزال القرآن وفي هذا القرآن يكون محمد (ص) شهيداً عليكم بالطاعة والقبول فإذا شهد لكم به صرتم عدولاً تشهدون على الأمم الماضية بأن الرسل قد بلغوهم رسالة ربهم فيوجب بذلك لكافرهم النار ولمؤمنهم الجنة بشهادتكم (فأقيموا الصلاة) روي عن النبي (ص) أنه قال : لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة ، (واعتصموا بالله) أي تمسكوا بدين الله أو اعتصموا وامتنعوا بالله من اعدائكم وتوكلوا عليه فهو وليّكم وناصركم فهو لمن تولاه (نعم المولى ونعم النصير) .

تمت ولله الحمد سورة الحجّ وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجُزْءُ الثَّامِن عَشَر
مِنَ القرآن الكرَيم

سورة المؤمنون

مكيـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ
غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

(قد افلح المؤمنون) أي فاز بثواب الله الذين صدقوا بالله وبرسله وكانوا خاشعين في صلاتهم لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم . وروي أن النبي

(ص) رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال:أما إنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه . وفي هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها والإعراض عمّا سواها فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود وأما الجوارح فهو غض البصر والإقبال عليها وترك الالتفات والعبث . (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو:هو كل قول أو فعل لا فائدة فيه يعتد بها فذلك قبيح محظور يجب الإعراض عنه ، وقيل اللغو:هو جميع المعاصي (والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون للصدقات الواجبة (والذين هم لفروجهم حافظون)قال الليث:الفرج:اسم لجميع سوءات الرجال والنساء ، والمراد بالفروج هنا فروج الرجال وأمروا بحفظه إلا على أزواجهم وإمائهم المملوكات (فمن ابتغى وراء ذلك) أي طلب سوى الأزواج والمملوكة (فأولئك هم العادون) المتجاوزون لحدود الله ثم اكد سبحانه لصفات الأبرار المؤمنين وأنهم الحافظون لأماناتهم المراعون لعهودهم فيجب على الإنسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات ما كان منها بين العبد وخالقه من العبادات وغيرها وما كان منها بين العباد بعضهم لبعض مثل الودايع والعواري والبياعات والشهادات وغيرها ، وكذلك العهد فيما يتعلق بالله سبحانه من النذور وفيما يتعلق بالناس من العقود والعهود فيجب الوفاء بها جميعاً كما أمر الله ، كما يجب المحافظة على الصلوات وأدائها في أوقاتها وإنما اعاد ذكر الصلاة تنبيهاً على عظم قدرها ، وأن من كانوا بهذه الصفات من المؤمنين واجتمعت فيهم هذه الخلال هم الوارثون يوم القيامة المنازل العالية في الجنة ، والفردوس:اسم من اسماء الجنة،وقيل:هي رياض الجنة .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَٰمَ لَحْمًا
ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ
ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ
السَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ
﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾

المراد بالإنسان: ولد آدم (ع)، والسلالة: الماء يسل من الظهر سلاً، والقرار المكين: الرحم مكّن فيه الماء بأن هيّئ لإستقراره فيه الى بلوغ أمده ثم بيّن سبحانه تنقّل أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه لينبّه على بدايع حكمته وعجائب صنعته (ثم انشأناه خلقاً آخر) أي نفخنا فيه الروح ، أو انبات شعره وأسنانه ، أو انشأناه ذكراً أو انثى (ثم إنكم بعد ذلك لميّتون) أي بعد ما ذكرنا من تمام الخلق لميّتون عند انقضاء أجلكم ثم تحشرون الى الموقف والحساب والجزاء ، وهذا لا يمنع من الإحياء في القبور لأن اثبات البعث في القيامة لا يدل على نفي ما عداه (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سماوات ، وسمّيت بذلك لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض ، وقيل: لأنها طرائق الملائكة . (وأنزلنا من السماء ماءً) أي ماء المطر بقدر الحاجة وبما توجبه المصلحة (فأسكناه في الأرض) أي جمعنا الماء في الأرض لينتفع به الناس ، أو جعلناه عيوناً في الأرض

(وإنا على ذهاب به لقادرون) أي على إذهاب ذلك الماء لقادرون (فانشأنا لكم به) أي بسبب الماء (جنات من نخيل . . .) وإنما خصّ النخل والأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينة والطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التي عرفوها .

قوله تعالى :

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً
مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا
بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وشجرة تخرج من طور سيناء) أي وانشأنا لكم بذلك المطر شجرة الزيتون ، وسيناء اسم المكان الذي به هذا الجبل وهو الجبل الذي نودي منه موسى ، وهو ما بين مصر وإيلة (تنبت بالدهن) أي تنبت ثمرها بالدهن لأنه يعصر من الزيتون الزيت (وصبغ للآكلين) والإصطباغ

بالزيت الغمس فيه باعتباره أداماً جعل الله في هذه الشجرة أداماً ودهناً ، وقد روي عن النبي (ص) أنه قال:الزيت شجرة مباركة فأتدموا بها وادّهنوا (وإن لكم في الأنعام لعبرة) أي دلالة تستدلون بها على قدرة الله تعالى لما جعل في ضروعها من اللبن سقياً لكم (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها وألبانها وأوبارها وأشعارها وتأكلون من لحومها وعليها تحملون . ثم اشار سبحانه إلى نعمة ارسال الرسل (ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه) وكانت دعوته الى قومه أن اطيعوا الله ووحدوه (ما لكم من إله غيره) يستحق العبادة والطاعة والالوهية (أفلا تتقون) عذاب الله في ترك الايمان به (فقال الملأ) أي الاشراف ووجهاء الكفار معارضين دعوة نوح (ما هذا إلا بشر . . .) يريد أن يتشرف ويترأس عليكم . (ولو شاء الله) أن لا يعبد شيء سواه (لأنزل ملائكة) ولم يرسل بشراً ثم أكد الكفار انكارهم لدعوة نوح (ما سمعنا بهذا) الذي يدعونا اليه نوح من التوحيد في الأمم الماضية ، ثم اتهموا نوحاً بالجنون (إن هو إلا رجل به جنّة فتربصوا به) وانتظروا موته فتستريحوا منه أو انتظروا إفاقته من جنونه فيرجع عمّا يقول . أو احبسوه حتى يكفّ من دعوته .

قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ

أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

ذكر سبحانه أن نوحاً لما نسبه قومه الىٰ الجنون ولم يقبلوا منه (قال ربّ انصرني . .) علىٰ تكذيبهم إياي واهلك الكفار (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي بحيث نراها كما يراها الرائي من عبادنا ، أو بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين فانّهم يحرسونك مِن كل مَن يمنعك وبوحينا واعلامنا إياك كيفية فعلها (فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها) أي فادخل في السفينة (من كل زوجين. . . .) ولا تكلّمني في الذين ظلموا انفسهم بالكفر لأنهم لا محالة هالكون ، ثم علّمه سبحانه الدعاء حين ركوب السفينة وحين نزولها والخروج منها ، قال الحسن:كان في السفينة سبعة انفس من المؤمنين ونوح ثامنهم ، وقيل ثمانون (إن في ذلك) أي في أمر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله دلالات للعقلاء يستدلون بها على توحيد الله (وإن كنا لمبتلين) أي مختبرين إياهم بارسال نوح ومتعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات علىٰ قدرتنا ومعرفتنا .

قوله تعالىٰ :

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ

وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا
لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا
أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ
عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عطف سبحانه على قصة نوح فقال (ثم انشأنا من بعدهم . . .) أي أحدثنا من بعد قوم نوح جماعة آخرين ، والقرن:اهل العصر ، قيل:يعني عاداً قوم هود لأنه المبعوث بعد نوح ، وقيل:يعني ثموداً لأنهم أهلكوا بالصيحة ثم أكد سبحانه أن جوهر كافة الدعوات (أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. .) وقال ملأ من المكذبين بلقاء الآخرة والبعث والجزاء ، ممّن أنعمنا عليهم بضروب الملاذ حتى صاروا مترفين ولكنهم تنكروا لنعم الله وقابلوها بانكار التوحيد وتكذيب الرسل (ما هذا إلا بشر مثلكم . . . .) فليس هو أولى بالرسالة منا (أيعدكم) هذا الرسول بأنكم بعد موتكم وتحولكم الى رميم (انكم مخرجون) من قبوركم احياء (هيهات هيهات لما توعدون) أي بعداً بعداً لما توعدون، وليس الحياة إلا الحياة التي نحن فيها ولا حياة سواها . (نموت ونحيا)أي يموت قوم منا ويحيا قوم ولا نبعث بعدها ثم اصروا على تكذيب الرسول واتهامه بالجنون تارة وبالكذب أخرى (قال ربّ انصرني بما كذبون قال عمّا قليل) أي عن قليل من الزمان (ليصبحنّ نادمين) هذا وعيد لهم واللام للقسم .

قوله تعالىٰ :

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ
(٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا
كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ
لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ
(٤٦) فَقَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧)
فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ
رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)

لما قال سبحانه إن هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما فعلوه، عقبه بالإخبار عن إهلاكهم (فأخذتهم الصيحة) صاح بهم جبرائيل صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم باستحقاقهم العقاب بكفرهم (فجعلناهم غثاءً) وهو ما جاء به السيل

من قصب وعيدان شجر، أي فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء (فبعداً للقوم الظالمين) أي بعداً من رحمة الله للمشركين المكذبين (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) أي ما تموت أمة قبل أجلها ولا تتأخر عنه ، وقيل: عن العذاب الموعود لهم على تكذيبهم الرسل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي يتابع بعضهم بعضاً متقاربين (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) ولم يقروا بنبوّته (فاتبعنا بعضهم بعضاً) أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض جزاء تكذيبهم الرسل (وجعلناهم أحاديث) أي صيّرناهم لم يبقَ منهم إلا حديثهم بين الناس .

(ثم ارسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين) أي بالدلالات والبراهين المبينة الظاهرة (الى فرعون وملائه) وهم الأشراف والوجهاء لأن البقية تبعاً لهم (فاستكبروا) أي تجبّروا وتعالوا على الحق واهله وقالوا أنصدق لإنسانين مثل خلقنا (وقومهما لنا عابدون) أي مطيعون طاعة العبد لمولاه ، قال الحسن: كان بنو اسرائيل يعبدون فرعون وفرعون يعبد الأوثان ، (فكذبوهما) أي فكذبوا موسى وهارون فكان عاقبة تكذيبهم أن أهلكهم الله وأغرقهم . (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة لكي يهتدي الناس بها الى طريق الحق والصواب (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أي حجّةً على قدرتنا على الخلق وآيةُ عيسى أنه خلق من غير أب ، وآية مريم أنها حملت من غير فحل . (وآويناهما الى ربوة) أي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستوياً ، والربوة التي أويا اليها هي الرملة في فلسطين وقيل دمشق وقيل مصر ، وقيل بيت المقدس ، وقيل: هي مسجد الكوفة والمعين: الفرات كما هو مروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) .

قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

(يا أيها الرسل . . .) خطاب للرسل كلهم ، وروي عن النبي (ص) أنه قال:إن الله طيّب لا يقبل إلا طيباً وانه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين (واعملوا صالحاً) أي ما أمركم الله به ، وقيل:انه خطاب لعيسى (ع) خاصة (وان هذه أمتكم أمة واحدة) أي دينكم دين واحد . (فتقطعوا أمرهم بينهم) تقدم تفسيرها في سورة الأنبياء (زبراً) أي كتباً ، والمعنى تفرقوا في دينهم وجعلوه كتباً دانوا بها وكفروا بما سواها كاليهود حين كفروا بالإنجيل والقرآن ، والنصارى كفروا بالقرآن . وقيل:زبراً بمعنى جماعات مختلفة أي تفرقوا أحزاباً (كل حزب بما لديهم فرحون) أي كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون انهم على الحق (فذرهم) يا محمّد (في غمرتهم) جهلهم وضلالتهم،وقيل:في حيرتهم وغفلتهم (حتى حين) أي الى وقت الموت أو العذاب (أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين . . .) أيظن هؤلاء الكفار أن ما نعطيهم ونزيدهم من اموال وأولاد إنما نعطيهم جزاءً على اعمالهم أو لرضانا عنهم ولكرامتهم علينا ، بل ذلك إملاء لهم وللابتلاء في التعذيب. وروى السكوني عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه عن آبائه قال: قال رسول الله (ص):إن الله تعالى يقول يحزن عبدي المؤمن إذا قترت عليه شيئاً من الدنيا وذلك أقرب له مني ، ويفرح إذا بسطت له الدنيا وذلك أبعد له مني ثم تلا هذه الآية الى قوله (بل لا يشعرون) ثم قال إن ذلك فتنة وإختباراً لهم .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا
آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

بيّن سبحانه حال الأخيار الأبرار بعد بيانه احوال الكفار الفجّار (من خشية ربهم مشفقون) أي من خشية عذاب ربهم خائفون ويصدقون بآيات الله وحججه ، ولا يشركون بعبادة الله غيره من الأصنام والأوثان ، (والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا من الزكاة أو اعمال البر كلها(وقلوبهم وجلة) أي خائفة أن لا يُقبل منهم ، ولأنهم يوقنون بأنهم يرجعون الى الله تعالىٰ فيخافون أن لا يقبل منهم (أُولئك يسارعون في الخيرات) ويبادرون الى الطاعات ويتسابقون اليها (وهم لها سابقون) أي وهم لأجل تلك الخيرات سابقون الى الجنة .

قوله تعالى :

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ
أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم

بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾
قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ
يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾
أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ
بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

بيَّن سبحانه أنه لا يكلف أحداً إلا دون الطاقة بعد أن أخبر عن حال الكافرين والمؤمنين (ولدينا كتاب ينطق بالحق) أي وعند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق ويشهد لكم وعليكم بالحق (وهم لا يظلمون) أي يوفون جزاء اعمالهم فلا ينقص من ثوابهم ولا يزاد في عقابهم (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بمعنى أن قلوب الكفار في غفلة شديدة من هذا الكتاب المشتمل على الوعد والوعيد وهو القرآن (ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون) أي ولهم اعمال سيئة غير جهلهم فيستحقون بها وبالكفر العقوبة من الله تعالى (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) أي يكون هذا دأبهم حتى إذا اخذنا رؤساءهم والمنعمين منهم بالعذاب (إذا هم يجأرون) أي يضجون لشدة العذاب ويجزعون ، أو يستغيثون ويصرخون الى الله بالتوبة فلا يقبل منهم ويقال لهم لا تتضرعوا (إنكم منّا لا تنصرون) ولا تنتظروا رفع العذاب عنكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) وفيها

الدعوة والتحذير من هذا المصير فكنتم تدبرون عنها مكذبين (مستكبرين به) أي بالحرم أو بمكة (سامراً) أي تسمرون بالليل وتتحدثون في معائب النبي (ص) (تهجرون) الحق بالإعراض عنه ، أو تهجرون أي تفحشون في المنطق . ألم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق نبيّنا (ص) (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) قال ابن عباس يريد أليس قد أرسلنا نوحاً وابراهيم والنبيين الى قومهم وكذلك أرسلنا محمّداً (ص) (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) أليس هو محمّداً الذي عرفوه صغيراً وكبيراً صادق اللسان أميناً وفياً بالعهد ، وليس به جنّة (بل جاءهم بالحق) أي جاءهم بالقرآن والدين (وأكثرهم للحق كارهون) لأنه لم يوافق مرادهم (ولو اتبع الحق أهواءهم) الحق هو الله تعالى لو اتبع أهواء المشركين وأجرى الأمر بمقتضى مذاقهم (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهنّ) فلو اتبع الحق أهواءهم لدعا الى القبائح ولفسد التدبير والنظام في السماوات والأرض لأنها مدبرة بالحق لا بالهوى ولأنها جارية على الحكمة (بل آتيناهم بذكرهم) أي بما فيه شرفهم وفخرهم لأن الرسول (ص) والقرآن نزل بلسانهم ، فهم عن شرفهم (معرضون) .

قوله تعالى :

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾
وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ
ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا

استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴿٧٦﴾ حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد إذا هم فيه مبلسون ﴿٧٧﴾ وهو الذي أنشأ لكم السمع
والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴿٧٨﴾ وهو الذي ذرأكم
في الأرض وإليه تحشرون ﴿٧٩﴾ وهو الذي يحي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار أفلا تعقلون ﴿٨٠﴾

(أم تسالهم) يا محمّد على ما جئتهم به من القرآن والإيمان (خرجاً) أي أجراً ومالاً فيثقل عليهم قبول قولك ، فرزق ربك في الدنيا خير منه وقيل فأجر ربك في الآخرة خير منه (وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم) من التوحيد والإخلاص في العبادة والعمل بالشريعة (لناكبون) أي عن الدين الحق ، أو ناكبون عن طريق الجنة مائلون عنها يؤخذ بهم يمنة ويسرة الى النار (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) ورددناهم الى الدنيا لتمادوا في ضلالتهم وغوايتهم (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي أخذنا هؤلاء الكفار بالجدب وضيق الرزق والقتل بالسيف (فما استكانوا لربهم) أي ما تواضعوا ولا انقادوا ولم يرغبوا الى الله ويتضرعوا في الدعاء . قال أبو عبدالله (ع): الإستكانة الدعاء ، والتضرع رفع اليد في الصلاة (حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد) أي استمروا على عنادهم وكفرهم حتى إذا فتحنا عليهم نوعاً آخر من العذاب بدعاء النبي (ص) فقال اللهم : سنين كسني يوسف فجاعوا حتى أكلوا الوبر بالدم ، وقيل: العذاب هو القتل يوم بدر ، أو هو حين فتح مكة ، وقال أبو جعفر (ع): هو في الرجعة (إذا هم فيه مبلسون) أي آيسون من كل خير متحيرون . ثم بيّن سبحانه أنه المنعم على خلقه بأنواع النعم

فقال (وهو الذي انشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي خلق هذه الحواس إبتداءً لا من شيء ، وخص هذه الثلاثة لأن الدلائل مبنية عليها ينظر العاقل ويسمع ويتفكر (قليلاً ما تشكرون) أي تشكرون قليلاً لهذه النعم التي أنعم الله بها عليكم (وهو الذي ذرأكم) أي خلقكم وأوجدكم (وهو الذي يحيي ويميت) أي يحييكم في أرحام أمهاتكم ويميتكم عند انقضاء آجالكم (وله اختلاف الليل والنهار) تدبيرهما بالزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) أن لذلك التدبير والكون صانعاً قادراً عالماً حكيماً لا يستحق العبادة غيره . *.

قوله تعالى :

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ
هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

أخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث (بل قالوا مثل ما قال الأولون)

المنكرون للبعث حيث حكىٰ سبحانه مقالتهم (قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أءنا لمبعوثون) وهذه حجّة الجاهلين وأنهم لو تفكروا في أن النشأة الأُولى أعظم لما استعظموا الإعادة والبعث (لقد وعدنا نحن وآباؤنا) بالبعث والنشور (من قبل) مجيئك وماهذه إلا أكاذيب واساطير الأولين (قل) لهم يا محمّد (لمَن الأرض ومَن فيها) أي لمَن خلق الأرض ومَن فيها من البشر . . . (سيقولون) في الجواب (لله) لأنهم كانوا يقرون بأن الله هو الخالق ، فقل لهم عند ذلك أفلا تتفكرون فتعلمون أن الله تعالىٰ قادر علىٰ ذلك وعلىٰ إحياء الموتىٰ . وقل لهم يا محمّد (مَن رب السموات السبع) مالكها والمتصرف فيها (ورب العرش العظيم) والعرش عندهم عبارة عن الملك (سيقولون) في الجواب حينذاك أن رب السموات ورب العرش هو الله (قل أفلا تتقون) عذابه (قل) يا محمّد لهم (مَن بيده ملكوت كل شيء) والملكوت من صفات المبالغة في الملك (وهو يجير ولا يجار عليه) أي يمنع من السوء مَن يشاء ولا يمتنع منه من أراده بسوء ، إن كنتم تعلمون ذلك فأجيبوا ؟ (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) أي فكيف تخدعون عن الحق ويموه عليكم (بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) حيث بيّنا لهم الحق ولكنهم أصروا علىٰ باطلهم وكذبهم .

قوله تعالىٰ :

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي
مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ

مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾
لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم
بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

أكد سبحانه ما قدمه من أدلة التوحيد بأنه لم يتخذ ولداً لإستحالة ذلك عليه حقيقة أو تبنياً (وما كان معه من إله) نفى سبحانه عن نفسه الولد والشريك (إذاً لذهب كل إله بما خلق) إذ لو كان معه إله آخر لميز كل إله خلقه عن خلق غيره ، ولقهر بعض الآلهة بعضهم . ثم نزه سبحانه نفسه عمّا وصفوه به فقال (سبحان الله عما يصفون) أي عما يصفه به المشركون من اتخاذ الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما غاب وما حضر فلا يخفىٰ عليه شيء ومن كان بهذه الصفة لا يكون له شريك (قل) يا محمّد (ربّ اما تريني ما يوعدون) أي إن أريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يوم بدر (ربّ فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي مع القوم الظالمين وأخرجني من بينهم عندما تريد إحلال العذاب بهم لئلا يصيبني ما يصيبهم ، وفي هذا دلالة على جواز أن يدعو الإنسان بما يعلم أن الله يفعله لا محالة ، لأن الله تعالىٰ لا يعذب أنبياءه مع المعذبين والفائدة من ذلك الدعاء هي اظهار الرغبة الى الله (وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) بأنا لا نعاجلهم بالعقوبة مع قدرتنا علىٰ ذلك ولكن نمهلهم لمصلحة . (ادفع بالتي هي احسن السيئة) أي ادفع بالاغضاء والصفح اساءة المسيء ، أو ادفع باطلهم

ببيان الحجج على ألطف الوجوه وأقربها للقبول (وقل) يا محمد (رب أعوذ بك) أي اعتصم بك من نزعات الشياطين ووساوسهم ودعائهم الى الباطل والعصيان (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي يقاربوني ويصدوني عن طاعتك وفي أوقات عبادتك وفي الأحوال كلها. (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) يعني أن هؤلاء الكفار إذا أشرفوا على الموت سألوا الله تعالى الرجوع للدنيا (لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) أي في دنياي وأعمل صالحاً فيما فرطت وضيعت من الأحكام والفرائض (كلا) أي لا يرجع الى الدنيا (إنها كلمة هو قائلها) أي كلام متوقع من مثله أن يقوله، أو هي كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة كما أشار لذلك سبحانه في آية أخرى بقوله: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. (ومن ورائهم) أي ومن بين أيديهم (برزخ) أي حاجز بين الموت والبعث يوم القيامة، وقيل حاجز بينهم وبين الرجوع الى الدنيا.

قوله تعالى:

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا
وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

(فإذا نفخ في الصور) قيل:المراد بها نفخة الصعق ، وقيل: نفخة البعث (فلا أنساب بينهم يومئذ) أي لا يتواصلون بالأنساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً ، وانهم لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه بنفسه ، وقيل:معناه لا يتفاخرون بالأنساب (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره لشغل كل واحد بنفسه ، ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) لأن للقيامة أحوالاً ومواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة ، ومنها حال يلتفتون فيها فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) بالطاعات (فأولئك هم المفلحون)الناجون(ومن خفت موازينه فأولئك . . .) وقد تقدم تفسير الآيتين في سورةالأعراف(٨-٩) .(تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون ، وقيل:هو أن تتقلص شفاههم وتندر أسنانهم . . . (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) والقرآن يُقرأ عليكم ، والحجج والبراهين في الدنيا تقرأ عليكم (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي شقاوتنا واستعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاء (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فإن عدنا) في الكفر والتكذيب والمعاصي (فإنا ظالمون) لأنفسنا ، (قال إخسؤا فيها) أي ابعدوا في النار وهذه اللفظة زجر للكلاب وتقال للإنسان للإهانة والتوبيخ (إنه كان فريق من عبادي) أي طائفة من عبادي وهم الأنبياء والمؤمنون (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا . . .) أي كانوا يدعون بهذه الدعوات في الدنيا (فاتخذتموهم)يا معشر الكفار (سخرياً) وكنتم تهزؤون بهم ، وقيل:كنتم تسخّرونهم وتستعبدونهم في

أعمالكم كرهاً بغير اجر (حتىٰ أنسوكم ذكري) أي نسيتم ذكري لإنشغالكم بالسخرية منهم .

قوله تعالىٰ :

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ
فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ
الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

أخبر سبحانه عن المؤمنين الذين سخر الكافرون منهم في دار الدنيا فقال (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي جزاء صبرهم على أذاكم وسخريتكم بهم انهم سيكونون هم الفائزون الناجون في الآخرة (قال) أي قال الله تعالىٰ للكفار يوم البعث وهو سؤال توبيخ وتبكيت لمنكري البعث (كم لبثتم في الأرض) أي في القبور (عدد سنين ،قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم

لكونهم أمواتاً ، وقيل هو سؤال عن مدة حياتهم في الدنيا (فسئل العادين) يعني الملائكة لأنهم يعدون أعمال العباد (قال) الله تعالىٰ (إن لبثتم إلا قليلاً) لأن لبثهم في الدنيا أو في القبور مهما طال فإنه قليل بالنسبة الىٰ طول مكثهم في عذاب جهنم (أفحسبتم) معاشر الجاحدين للبعث الظانين دوام الدنيا (إنما خلقناكم عبثاً) لا لغرض وحكمة وانكم لا تحشرون ولا تسألون عمّا كنتم تعملون ، وحسبتم انكم لا ترجعون الى حكمنا (فتعالىٰ الله الملك الحق) أي تعالىٰ عما يصيفه به الجهال من الشريك والولد ، أو تعالىٰ من أن يفعل عبثاً (ومَن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له) ولا حجّة فيما يدعيه (فإنما حسابه عند ربه) وهو الذي يقدر ما يستحقه من الجزاء (إنه لا يفلح الكافرون) أي لا يظفر ولا يسعد الجاحدون لنعم الله المنكرون لتوحيده وحسابه (وقل) يا محمّد (رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) .

تمت ولله الحمد سورة المؤمنون

سورة النور

مدنية بلا خلاف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

(سورة أنزلناها) أي هذه سورة أنزلناها وأوجبنا عليكم العمل بها (وأنزلنا فيها آيات بيّنات) أي دلالات واضحات على وحدانيتنا ثم بيّن سبحانه حد الزنا (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) إذ ا كانا حرين بالغين بكرين غير محصنين (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي إن كنتم تصدقون بالله وتقرون بالبعث والنشور فلا تأخذكم بالزناة رأفة من الجلد الشديد بل أوجعوهما ضرباً (وليشهد عذابهما) أي وليحضر حال اقامة الحد عليهما

(طائفة) أي جماعة (من المؤمنين) وهم ثلاثة فصاعداً ، والمقصود أن يحضر جماعة حال الحد ليذيعوا و يخبروا بالحد ليحصل الإعتبار والإتعاظ به .
(الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك)اختلف في تفسيره على وجوه : احدها أن المراد بالنكاح العقد ونزلت الآية في رجل استأذن النبي (ص) في أن يتزوج أم مهزول وهي امرأة كانت تسافح ولها راية على بابها تعرف بها فنزلت الآية وفيها النهي ، ويؤيده ما روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنهما قالا : هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله (ص) مشهورين بالزنا فنهى الله عن أولئك الرجال والنساء ، فمن شهر بشيء من ذلك وأقيم عليه الحد فلا تزوجوه حتى تعرف توبته . وثانياً : ان هذا الحكم كان في كل زان وزانية ثم نسخ بقوله (وانكحوا الأيامى منكم و. . .) (وحرّم ذلك على المؤمنين) أي حرّم نكاح الزانيات ، أو حرّم الزنا على المؤمنين .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

لما تقدم ذكر حد الزنا عقبه سبحانه بذكر حد القاذف بالزنا (والذين يرمون المحصنات) أي يقذفون العفائف من النساء بالفجور والزنا ولم يأتوا على صحة ما رموهن به من الزنا بأربعة شهداء عدول يشهدون انهم رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين يرمون بالزنا (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) وهو حكم عليهم بالفسق الدائم (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أعمالهم فيزول عنهم

الفسق بالتوبة،وقيل:إن الاستثناء يرجع الى الأمرين رفع الفسق وقبول الشهادة .

وقال الحسن:يجلد القاذف وعليه ثيابه ويجلد الرجل قائماً والمرأة قاعدة ، ومن شرط توبة القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فان لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته .

قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

لما تقدم حكم القذف للأجنبيات عقّبه بحكم القذف للزوجات وحكم الزوج القاذف لزوجته بالزنا وليس له شهود على ما يدعيه وحينها لا يدرأ عنه العذاب والجلد إلا إذا شهد هو اربع شهادات (بالله إنه لمَن الصادقين) فيما رماها به من الزنا والشهادة الخامسة (أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فتقوم الشهادات الأربع مقام الشهود في دفع حد القذف عنه ثم يقول في المرة الخامسة : لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا . (ويدرؤ اعنها الغذاب) أي يدفع عن المرأة حد الزنا أن تقول أربع مرات مرة بعد أخرى أشهد بالله انه لمِن

الكاذبين فيما قذفني به من الزنا ، وتقول في الخامسة : غضب الله عليّ إن كان من الصادقين فيما قذفني به من الزنا ثم يفرق الحاكم بينهما ولا تحل له ابداً ، وكان عليها العدة من وقت لعانها .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ
مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا
أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ
عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

الإفك : الكذب العظيم (عصبةٌ منكم) أيها المسلمون قال بن عباس وعائشة : منهم عبدالله بن ابي سلول وهو الذي تولى كبره ومسطح بن اثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) هذا خطاب

لعائشة وصفوان لأنهما قصدا بالإفك ولمَن اغتم بسبب ذلك (لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم) أي لكل امريء من القذفة جزاء ما اكتسبه من الإثم (والذي تولى كبره) أي تحمّل معظمه (منهم له عذاب عظيم) المراد به عبدالله بن أبي سلول حيث كان يقول : امرأة نبيّكم باتت مع رجل حتىٰ أصبحت ثم جاء يقودها والله ما نجت منه ولا نجا منها . (لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) معناه هلّا حين سمعتم هذا الإفك من القائلين له ظنّ المؤمنون والمؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيراً لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما عليها من الأمور فاذا جرىٰ علىٰ أحدهم محنة فكأنها جرت علىٰ جماعتهم (وقالوا هذا إفك مبين) أي هلّا قالوا هذا إفك وكذب ظاهر (لولا جاءوا عليه باربعة شهداء) أي هلا جاؤ وا على ما قالوه ببينة وهي أربعة شهداء (فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك . . .) و (لمسّكم فيما أفضتم) أي لأصابكم فيما خضتم فيه من الكذب (عذاب عظيم) لا انقطاع له (إذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض . . . .

قوله تعالىٰ :

وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

زاد سبحانه في الإنكار على العصبة التي قالت الإفك أو سمعته دون أن تستنكره (ولولا إذ سمعتموه . . .) أي هلّا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث : لا يحل لنا ان نخوض في هذا الحديث وما ينبغي لنا أن نتكلم به سبحانك يا ربنا إن الذي قالوه بهتان عظيم وكذب وزور (يعظكم الله) أي ينهاكم ويحرم عليكم (أن تعودوا لمثله أبداً) أي طول أعماركم (إن كنتم مؤمنين) حقاً ومصدقين بالله ونبيه قابلين موعظة الله . (إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة) أي يفشوا و يظهروا الزنا والقبائح (في الذين آمنوا) ويقذفوا المؤمنين بتلك الفواحش وينسبوها اليهم (لهم عذاب اليم في الدنيا) باقامة الحد عليهم (والآخرة) بعذاب النار. (ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .) لعاجلكم بالعقوبة ولكنه برحمته أمهلكم لتتوبوا وتندموا على ما قلتم .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ

ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قيل : إنها نزلت في جماعة من الصحابة اقسموا على أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا يواسوهم ، وقيل غير ذلك وفيها نهى سبحانه عن اتباع الشيطان ، وخطوات الشيطان آثاره وطرقه التي تؤدي الى مرضاتـه ، أو هي وساوس الشيطان (فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) وهـذا بيـان سبب المنـع مـن اتباع الشيطان (ولولا فضل الله . . . ما زكى منكم من أحد أبداً) أي ولولا لطف الله بكم ما طهر منكم أحد من وساوس الشيطان وحبائله (ولكن الله يزكي . . .) أي يطهّر بلطفه مَن يشاء (ولا يأتل) أي لا يحلف أو لا يقصر أو لا يترك أولوا الغنى والسعة في المال لا يتركوا الإنفاق على أقربائهم ، وفي قصة الافك ومسطح الذي نشر الإفك وقاله دلالةً على أنـه قد تقـع المعاصـي ممّـن شهـد بدراً (وليعفـوا وليصفحوا) هذا امر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعفو عمّن اساء اليهم والصفح عنهم ، ثم قال لهم سبحانه (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) معاصيكم جزاءً على عفوكم وصفحكم عمّن اساء اليكم (إن الذين يرمون المحصنات) أي يقذفون العفائف من النساء (لعنـوا فـي الدنيـا والآخرة) أي ابعدوا من رحمة الله في الدارين عذبوا في الدنيا بالجلد ورد الشهادة وفي الآخرة بعذاب النار يوم تشهد ألسنتهم عليهم بالقذف وتشهد سائر اعضائهم بالمعاصي ، وشهـادة الجـوارح بالمعاصي تكون إما بانطاقها بقدرة الله تعالى فتكون ناطقة ، أو أن يجعـل فيهـا

سبحانه علامة تقوم مقام النطق بالشهادة (يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق) أي يتمم الله لهم جزاءهم الحق أو بمعنى جزاء تدينهم بدين الحق .

قوله تعالى :

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ
حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ
لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

(الخبيثات للخبيثين . . .) قيل: في معناه إن الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال ، وقيل: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (ع) قالا : هي مثل قوله الزاني لا ينكح إلا زانية ، أو مشركة . . . إن اناساً همّوا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم

(أولئك مبرؤ ن مما يقولون) أي الطيبون مبرؤ ن ومنزهون من الكلام الخبيث (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا) أي حتىٰ تستأذنوا ، وقيل:تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الإستيذان ، وروي أن رجلاً قال للنبي (ص) أأستأذن على أمي؟ فقال نعم . قال:إنها ليس لها خادم غيري افأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال أتحب أن تراها عريانـةً ؟ قال الرجل لا . قال فاستأذن عليها . (وتسلّموا علىٰ أهلها) أي حتىٰ تستأنسوا بأن تسلموا فقد روي ان رجلاً استأذن علىٰ رسول الله (ص) فتنحنح فقال رسـول الله (ص) لامـرأة يقـال لهـا روضة : قومي الى هذا فعلميه وقولي له قل السلام عليكم أأدخل ؟ فسمعها الرجل فقال . . . فقال (ص) ادخل . (ذلكم خير لكم) أي الدخول بالاستئذان خير لكم ، فان لم تجدوا في البيوت من يأذن لكم في الدخول (فلا تدخلوها) لأنه ربما كان فيها ما لا يجوز أن تطلعوا عليه ، وفي ذلك بيّن سبحانه أنـه لا يجـوز دخول دار الغير بغير اذنه ولا يجوز أن يتطلع الى المنزل ليرىٰ من فيه إذا كان الباب مغلقاً (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أي انصرفوا سواء جاءكم الرفض صريحاً او ما يؤدي معناه ، ثم قال سبحانه (ليس عليكم جناح) أي حرج واثم أن تدخلوا (بيوتاً غير مسكونة) أي لكم ان تدخلوها بدون استئذان (فيها متاع لكم) أي فيها استمتاع لكم مثل الخانات والحمامات أو الحوانيت وبيوت التجارة ، أو مناخات الناس ومحلات حلهم في اسفارهم .

قوله تعالىٰ :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ
الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا
يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

بيّنَ سبحانه ما يحل من النظر وما لا يحل منه (قل) يا محمّد (للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم) عمّا لا يحل لهم النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) عمّن لا يحل لهم وعن الفواحش، وقال ابن زيد: كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفروج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فان المراد به الستر حتى لا ينظر اليها أحد وهو المروي عن أبي عبدالله (ع) قال: فلا يحل للرجل أن ينظر الى فرج أخيه ولا يحل للمرأة أن تنظر الى فرج أختها (ذلك أزكى لهم) أي انقع لدينهم ودنياهم وأنفى للتهمة واقرب للتقوى كما أمر سبحانه النساء بما أمر به الرجال (وقل للمؤمنات يغضضن... ولا يبدين زينتهنّ) أي لا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم (إلا ما ظهر منها) مثل الوجه والكفين، أو الظاهر من الزينة مثل الثياب والخاتم وغيرها (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمر غطاء الرأس للمرأة المسدل على

جيبها لتغطية نحرها ، وقال بن عباس: تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها . (ولا يبدين زينتهنّ إلا . . .) وهؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذو محارم لهنّ بالأسباب والأنساب فيجوز ابداء الزينة لهم من غير استدعاء لشهوتهم ويجوز لهم النظر من غير تلذذ (أو نسائهنّ) يعني النساء المؤمنات ، ولا يحل لهنّ أن يتجردن ليهودية أو نصرانية أو مجوسية (أو ما ملكت ايمانهنّ) أي من الإماء (أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال) قيل: هو التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله . وقيل: هو العنين الذي لا إرب له في النساء لعجزه ، أو الخصي المجبوب الذي لا رغبة له في النساء (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء . (ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ) قال قتادة كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقعة الخلخال فيها فنهاهنّ عن ذلك .

قوله تعالى :

وَأَنكِحُوا الْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا
فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا
وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ
أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ

مِن بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

(وانكحوا الأيامى منكم) أي زوجوا من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ، وهذا أمر ندب واستحباب وقد صح عن النبي (ص) الكثير من الأخبار الحاثة على الزواج الناهية عن العزوبة ، (والصالحين من عبادكم وإمائكم) أي وزوجوا المستورين من عبيدكم،وقيل:معنى الصلاح هنا الإيمان ، وقال أبو عبدالله (ع) مَن ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظنّ بربه لقوله سبحانه (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً . .) أمر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل الى التزويج بأن يتعفف ويصبر حتى يوسع الله عليه من رزقه (والذين يبتغون الكتاب) أي يطلبون المكاتبة من العبيد والإماء والمكاتبة أن يكاتب الانسان عبده على مال عليه ليؤديه اليه في مواعيد وهو أمر مستحب مؤكد وفيه دعوة لتفتيت الرقيق واعتاقهم (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أي حطوا عنهم من اقساط المكاتبة شيئاً ، وقيل: هو خطاب للمؤمنين بمعونة المكاتبين على تخليص رقابهم من الرق . (ولا تكرهوا فتياتكم) أي إماءكم وولايدكم (على البغاء) وهو الزنا اذا أرادوا التعفف والزواج (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي من كسبهنّ وبيع أولادهن ، قيل: ان عبدالله بن أبي كان له ست جوار يكرههنّ على الكسب بالزنا (ومَن يكرههنّ فان الله من بعد إكراههنّ غفور) للمكرهات (رحيم) بهنّ (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) واخبار من الذين مضوا من قبلكم لتعتبروا بها (وموعظةً للمتقين) عن المعاصي .

قوله تعالى :

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ

فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ
أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾
رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(الله نور السموات والأرض) أي هادي أهل السماوات والأرض أو منوّر السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم (مثل نوره) الذي هدى به المؤمنين وهو الإيمان في قلوبهم أو هو القرآن ، وقيل:عنى به النبي محمّداً (ص) ، وقيل:ان النور هنا بمعنى طاعة الله في قلب المؤمن (كمشكاة فيها مصباح) قيل:المشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه (المصباح في زجاجة) أي ذلك

السراج في زجاجة (الزجاجة كأنها كوكب دُرّي) أي مثل الكوكب المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره (يوقد من شجرة مباركة) أي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة (زيتونة) أي شجرة الزيتون لأنها مباركة لكثرة منافعها ولأن دهنها اصفى وأضوء ، وقيل:لأنها أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان (لا شرقية ولا غربية) أي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب ، وقيل:معناه أنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية (يكاد زيتها يضيء) من صفائه وفرط ضيائه (ولو لم تمسسه نار) أي قبل أن تصيبه النار . واختلف في هذا المشبه والمشبه به على اقوال أحدها : انه مثل ضربه الله لنبيه محمد (ص) ولا شرقية ولا غربية أي لا يهودية ولا نصرانية توقد من شجرة مباركة يعني شجرة النبوة من ابراهيم (ع) ، وقيل غير ذلك من المعاني (نور على نور) أي نبي من نسل نبي (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يهدي الله لدينه وايمانه من يشاء (والله بكل شيء عليم) فيضع الأشياء بمواضعها (في بيوت اذن الله أن ترفع) وهي المساجد ويعضده قول النبي (ص) المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض . ثم قيل:انها أربع مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل (ع) ، ومسجد بيت المقدس بناه سليمان ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله (ص) .

وقيل:هي بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت علي وفاطمة قال:نعم من أفاضلها . والمراد بالرفع التعظيم ورفع القدر من الأرجاس والتطهير من المعاصي ، وقيل:رفع الحوائج فيها الى الله تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أي يصلي له فيها بالبكور والعشايا (رجال لا تلهيهم) أي الذين يسبّحون في بيوت الله اناس لا تشغلهم ولا تصرفهم (تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة) . روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام : إنهم قوم إذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا الى الصلاة وهم اعظم أجراً ممن يتّجر

(يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) أراد به يوم القيامة أي تتحول فيه أحوال القلوب والابصار من حال الى حال بين الطمع في النجاة والخوف من النار ، والأبصار تدور يمنة ويسرة من أين تؤتى كتبهم وأين يؤخذ بهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال ؟ (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي انهم يفعلون ذلك التسبيح واقامة الصلاة وايتاء الزكاة . . . طلباً لمجازاة الله إياهم بأحسن أعمالهم ويطلبون المزيد على ما يستحقون من فضل الله وكرمه .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

ذكر سبحانه حال الكفار ومثل بأعمالهم التي يعتقدون انها طاعات فهي (كسراب بقيعة) أي كشعاع بأرض مستوية يظنه العطشان ماءً حتى إذا وصل اليه رأى أرضاً لا ماء فيها ولم يجد شيئاً مما حسبه ماءاً (ووجد الله عنده فوفه حسابه) أي وجد الله عند الحساب فجازاه جزاء كفره ولم يجد شيئاً من عمله الذي ظنه طاعة وخيراً . ثم ذكر سبحانه مثلاً آخر لأعمالهم فقال : (أو كظلمات في بحر لجي) أي أفعالهم كظلمات في بحر عظيم اللجة لا يرى ساحله ، وقيل اللجي: هو العميق

الذي يبعد عمقه (يغشاه موج) أي يعلو ذلك البحر اللجّي موج وفوق ذلك الموج موج ومن فوق الموج سحاب (ظلمات بعضها فوق بعض) يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب ، والمعنى أن الكافر يعمل في حيرة ولا يهتدي لرشده فهو من جهله وحيرته كمّن هو في هذه الظلمات (إذا أخرج يده لم يكد يراها) فهو نفي للرؤية لشدة الظلمات ومّن لم يجعل الله له نجاة وفرجاً فما له من نجاة ، أو ما له من نور يوم القيامة .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

ذكر سبحانه الآيات التي جعلها نوراً للعقلاء العارفين بالله وصفاته (ألم تر) أي ألم تعلم يا محمّد والخطاب للنبي (ص) والمراد به جميع المكلفين والتسبيح : التنزيه لله تعالىٰ عمّا لا يجوز عليه ولا يليق به (والطير) أي ويسبح له الطير (صافات) واقفات في الجو وتسبيحها ما يرىٰ عليها من آثار قدرة الله سبحانه (كلٌ قد علم) الله سبحانه (صلاته وتسبيحه) فيؤديه في وقته . (ولله ملك السماوات والأرض) والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير (والى الله المصير) والمرجع يوم القيامة (ألم تر أن الله يزجي سحاباً) أي يسوقه برفقٍ الى حيث يريد (ثم يؤلف بينه) يضم بعضه الى بعض فيجعل القطع المتفرقة منه قطعةً واحدةً ثم يجعله متراكماً بعضه فوق بعض (فترىٰ الودق يخرج من خلاله) اي ترى المطر يخرج من خلال السحاب ، وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد والسماء هنا هو السحاب لأن كلما علا فهو سماء ، وقيل:معناه ينزل من السماء مقدار جبال من برد . (فيصيب به) أي بالبرد ويصيب بضرره (مَن يشاء) فيهلك زرعه وماله ، ويصرف ضرره عمّن يشاء (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) أي يقرب ضوء برق السحاب أن يذهب بالبصر لشدة لمعانه (يقلب الليل والنهار) يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما وادخال أحدهما في الآخر ، وان في ذلك التدبير والتقلب عبرة ودلالة لذوي العقول والبصائر (والله خلق كل دابة) كل حيوانٍ يدب علىٰ وجه الأرض (من ماءٍ) أي من نطفةٍ (فمنهم مَن يمشي على بطنه) كالحية والحوت والدود (ومنهم مَن يمشي . . .) فاختلاف هذه الحيوانات مع اتفاق اصلها يدل علىٰ أن لها خالقاً قادراً عالماً حكيماً .

قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ
يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ
قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

(ويقولون آمنا بالله) أي صدقنا بتوحيد الله وبحكم الله ورسوله ثم يعرض بعضهم عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) من بعد قولهم آمنا (وما أولئك بالمؤمنين) لأن مَن يعرض عن حكم الله ورسوله ليس بمؤمن ولو أظهر الايمان والاسلام (وإذا دعوا الى الله) الى كتاب الله وحكمه وشريعته والى حكم رسول الله (إذا فريق منهم معرضون) عما يُدعون اليه (وإن يكن لهم الحق) وإذا تأكدوا أن الحق لهم (يأتوا اليه) الى النبي (ص) (مذعنين) مسرعين منقادين (أفي قلوبهم مرض) شك في نبوتك ؟ وهو استفهام تقرير يحمل الذم والتوبيخ (أم ارتابوا) في عدلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم) يجور الله عليهم في

الحكم ، أو يميل الرسول في الحكم ويظلمهم (بل أولئك هم الظالمون) لنفوسهم ولغيرهم ثم بين سبحانه صفات المؤمنين الصادقين في ايمانهم (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي قبلنا هذا القول وأجبنا الى حكم الله ورسوله (ومَن يطع الله ورسوله) فيما أمراه به ونهياه عنه ، ويخشَ عقاب الله والخشية تكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فأولئك هم الفائزون) .

قوله تعالى :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا
طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا
حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

ولما بيّن سبحانه كراهتهم لحكمه ، قالوا للنبي (ص) والله لو أمرتنا

بالخروج من ديارنا وأموالنا لفعلنا (قل) لهم يا محمّد (لا تقسموا) أي لا تحلفوا . (طاعة معروفة) اي طاعة حسنة خالصة للنبي (ص) احسن من قسمكم بما لا تصدقون (قل) لهم (اطيعوا الله) فيما أمركم به (وأطيعوا الرسول) فيما آتاكم به واحذروا المخالفة (فان تولوا) أي فان تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإنما عليه ما حمل) أي فانما على الرسول ما كلّف وأُمر بتبليغه ، وعليكم ما كلّفتم من الطاعة وإذا اطعتم الرسول (تهتدوا) الى الرشد والصلاح ، وليس على الرسول إلا أداء الرسالة وبيان الشريعة ، وليس عليه إهداؤكم (وعد الله الذين آمنوا منكم) أي صدقوا بالله وبرسوله وبجميع ما يجب التصديق به (وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض) ليورثنّهم ارض الكفار فيجعلهم سكانها وملوكها (كما أُستخلف الذين من قبلهم) يعني بني اسرائيل ، اذ أهلك الله الجبابرة بمصر وأورث المؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم .

وعن المقداد بن الأسود عن رسول الله (ص) أنه قال : لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمة الاسلام بعز عزيز أو ذل ذليل إما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها ، وإما أن يذلهم فيدينون لها (وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم) يعني دين الإسلام الذي أمرهم أن يدينوا به ، وتمكينه باعزاز اهله وإذلال أهل الشرك (وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً) أي بعد أن كانوا خائفين بمكة يجعلهم آمنين بقوة الإسلام وانتشاره (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) أي لا يراؤون بعبادتي أحداً ، وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبيّنا محمّد (ص) من جهة الأخبار عن غيب وذلك لا يعلم إلا بوحي من الله عز وجل (ومَن كفر بعد ذلك) أي بعد هذه النعم (فأُولئك هم الفاسقون) أي مَن جحد تلك النعمة بعد انعام الله بها فأُولئك هم العاصون لله عز وجل ، قيل:انها واردة في أصحاب النبي (ص) وقيل:هي عامة في أُمة محمّد (ص) والمروي عن اهل البيت (ع) أنها في المهدي من آل محمّد (ص) وروى العياشي باسناده عن علي بن الحسين (ع) أنه

قرأ الآية . . . وقال هم والله شيعتنا اهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة ، وهو الذي قال رسول الله (ص) : لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

قوله تعالى :

وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

أمر سبحانه باقامة أمر الدين (وأقيموا الصلوة) أي قوموا بأدائها واتمامها في أوقاتها ، وأدوا الزكاة المفروضة (وأطيعوا الله . . .) لترحموا جزاء على ذلك وتثابوا بالنعم الجزيلة (لا تحسبنّ) يا محمّد أو يا أيها السامع أنْ (الذين كفروا معجزين) يفوتوننا ولا ينالهم حكمنا (ومأويهم النار) أي مستقرهم ومصيرهم النار (ولبئس المصير) وهو بئس المستقر والمأوى .

قوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم

بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لما تقدم احكام النساء والرجال ومَن أُبيح له الدخول على النساء ، استثنى سبحانه ها هنا أوقاتاً من ذلك (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين. . . .)معناه مروا عبيدكم واماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول الى مواضع خلواتكم (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من أحراركم وهو الصبي الذي لم يميز بين العورة وغيرها ثم فسّر سبحانه تلك الأوقات (من قبل صلاة الفجر) فانه ربما يبيت الانسان عرياناً أو على حال لا يحب أن يراه غيره وكذلك عند القائلة ظهراً ، (ومن بعد صلاة العشاء) حين يأوي الرجل الى امرأته ويخلو بها . (ليس عليكم) يعني المؤمنين الاحرار (ولا عليهم) الخدم والغلمان (جناح بعدهنّ) أي ليس على هؤلاء حرج ولا يلزمهم الاستئذان اذا جاؤوا في غير هذه الأوقات ، ثم علل سبحانه ذلك لأنهم (طوافون عليكم) أي في خدمتكم (بعضكم على بعض) اي يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الموالي (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) من الاحرار (فليستأذنوا كما استأذن . . .) مَن كان قبلهم من الأحرار

الكبار الذين أمروا بالاستئذان على كل حال . (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً) وهنّ المسنّات من النساء لأنه لا يرغب في تزويجهنّ ، أو اللاتي لا يطمعن في النكاح لكبرهنّ (فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ) يعني الجلباب الذي فوق الخمار ، أو الخمار والرداء لا كل الثياب (غير متبرجات بزينة) أي غير قاصدات بوضع ثيابهنّ اظهار الزينة (وإن يستعففن خير لهنّ) أي استعفاف القواعد بلبس الجلابيب وعدم وضعهن لثيابهن خير لهنّ وأقرب للتقوى .

قوله تعالى :

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

لما تقدم ذكر الاستيذان ، عقبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين في الانبساط بالأكل والشرب ، وانه ليس على الأعمى الذي كف بصره ، ولا الذي

يعرج من رجليه أو من إحدهما ولا على المريض العليل (حرج) إثم . واختلف في تأويله على وجوه منها : أن المعنىٰ ليس عليكم في مواكلتهم حرج لأنهم كانوا يتحرجون من ذلك ويقولون إن الأعمىٰ لا يبصر فتأكل جيد الطعام دونه ، والأعرج لا يتمكن من الجلوس والمريض يضعف عن الأكل ، وقيل: ليس على هؤلاء ضيق ولا اثم في ترك الجهاد ، وقيل: ان اهل المدينة كانوا يتنزهون ويكرهون مؤاكلة هؤلاء المرضىٰ ، وقيل: غير ذلك من المعاني . (ولا علىٰ أنفسكم) أي وليس عليكم حرج في أنفسكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت عيالكم وأزواجكم (أو بيوت آبائكم . . .) وهذه الرخصة في الأكل في بيوت الأقارب والمروي عن أئمة الهدىٰ (ع) أنهم قالوا : لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالىٰ بغير إذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف . وقال الجبائي: إن الآية منسوخة بقوله (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه) . الأحزاب(٥٧) . وبقول النبي (ص) لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة نفس منه . (أو ما ملكتم مفاتحه) أي بيوت عبيدكم ومماليككم ، وقيل: عنى بذلك وكيل الرجل وقيّمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته (أو صديقكم) إذا كان عالماً بأنه تطيب نفسه بذلك (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) أي مجتمعين أو متفردين ، بمعنى لا بأس أن يأكل الغني مع الفقير في بيته، وقيل: انهم كانوا إذا نزل بهم ضيف تحرجوا أن يأكلوا إلا معه فأباح الله سبحانه الأكل على الإنفراد وعلى الإجتماع . (فاذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم) أي ليسلّم بعضكم على بعض أو سلّموا على أهليكم وعيالكم ، وقال ابراهيم : اذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . (تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً) أي هذه تحيةٌ من عند الله حياكم الله بها وشرعها لكم ، فانهم كانوا يقولون : عمّ صباحاً . ومعنى السلام عليكم : حفظكم الله وسلّمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامة من آفات الدنيا والآخرة .

قوله تعالى :

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على
أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن
لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴿٦٢﴾
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن
تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٦٣﴾ ألا إن لله ما في
السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه
فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴿٦٤﴾

لما تقدم ذكر المعاشرة مع الأقرباء والمسلمين ، بيَّن سبحانه في هذه الآية كيفية المعاشرة مع النبي (ص) وأن المؤمنين حقاً هم الذين صدقوا بتوحيد الله وعدله وأقروا بصدق رسوله (وإذا كانوا معه) أي مع الرسول (على أمر جامع) يقتضي الاجماع عليه والتعاون من حضور حرب أو مشورة فانهم يتأدبون مع النبي فلا ينصرفون عنه إلا بعد أن يطلبوا الإذن منه في الإنصراف (فاذا استأذنوك لبعض

شأنهم) يريدون الذهاب لبعض حوائجهم (فاذن لمَن شئت منهم) وفي ذلك بيان إن الأذن من حق الرسول ومَن قام مقامه من الأئمة (واستغفر لهم الله) أي واطلب المغفرة لهم بخروجهم عن الجماعة . (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وفي ذلك علمهم سبحانه تفخيم النبي(ص) في المخاطبة وبين فضله على سائر البرية فلا تقولوا له عند المخاطبة يا محمد أو يا بن عبدالله ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت،وقيل:ان الآية بمعنى احذروا دعاء الرسول عليكم إذا اسخطتموه فان دعاءه مجاب وليس كدعاء غيره . وقيل:انها بمعنى أنه ليس الذي يأمركم به الرسول ويدعوكم اليه كما يدعو بعضكم بعضاً لأن في القعود عن أمره قعوداً عن امر الله تعالى (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي (ص) يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان . (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) حذرهم سبحانه عن مخالفة نبيّه (ص) (أن تصيبهم فتنة) أي بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة .

تمت ولله الحمد سورة النور وتفسيرها

سورة الفرقان

مكية كلّها عن مجاهد وقتادة . وقال بن
عباس : إلا ثلاث آيات نزلت في المدينة
من قوله « والذين لا يدعون مع الله إلهاً
آخر . . . الى قوله غفوراً رحيماً » . وهي
سبع وسبعون آية بلاخلاف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيٰوةً وَلَا نُشُورًا (3) وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرٰيهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا
فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوٰتِ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا
﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا
مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

(تبارك) ، من البركة: أي عظمت وكثرت بركاته ، والبركة الكثرة من الخير ، وقيل: معناه تقدّس وجل (الذي نزّل الفرقان) أي القرآن الذي يفرق بين الحق والباطل بما فيه من الحثّ على أفعال الخير والزجر عن القبائح والشر (على عبده) محمّد (ص) (للعالمين) أي لجميع المكلفين (نذيراً) ومخوفاً بالعقاب وداعياً الى الرشاد . ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً) كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) على ما اقتضته الحكمة ، ثم أخبر سبحانه عن الكفار (واتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) من الأصنام والأوثان ممّن (لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) أي وتلك الأصنام مخلوقة مصنوعة ، ولا يقدرون على دفع ضر ولا على جر نفع ، ولا يستطيعون إماتة ولا إحياءاً ، (ولا نشوراً) بعد الموت ، فإن جميع ذلك يختص الله تعالى بالقدرة عليها ، فما لهؤلاء يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون عبادة ربهم العظيم القادر (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه) أي ما هذا القرآن إلا كذب افتراه محمّد (ص) (وأعانه عليه

قوم آخرون)حيث قالوا أعان محمّداً(ص)على صنع القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام العلاء بن الحضرمي وجد مولى عامر وكانوا من أهل الكتاب ، وقيل أنهم قالوا:اعان محمّداً على صنع القرآن قوم من اليهود (فقد جاؤوا ظلماً وزوراً) فقد قالوا شركاً وكذباً حين زعموا أن القرآن ليس من الله (وقالوا اساطير الأولين أكتتبها) أي وقال المشركون أن ما يقوله محمّد أحاديث المتقدمين وما سطروه في كتبهم استنسخها (فهي تملى عليه بكرة واصيلاً) حتى يحفظها وينسخها ، والأصيل العشي لأنه أصل الليل وأوله ، (قل) يا محمّد لهؤلاء المكذبين أن الذي أنزل القرآن (الذي يعلم السر في السماوات والأرض انه كان غفوراً رحيماً) حيث لم يعاجلهم بالعذاب بل انعم عليهم بارسال الرسول اليهم لتأكيد الحجّة وقطع المعذرة (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشي في الأسواق) في طلب المعاش كما نمشي ، هلّا أُنزل اليه ملك فيكون له معيناً على التبليغ والإنذار (أو يُلقى اليه كنز) يستغني به عن طلب المعاش (أو تكون له جنّة يأكل منها) أي بستان يأكل من ثمارها أو نأكل نحن معه ونتبعه ، (وقال الظالمون) أي المشركون للمؤمنين إنكم تتبعون رجلاً مخدوعاً مغلوباً على عقله بالسحر ، (انظر) يا محمّد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي الاشباه لأنهم قالوا تارةً هو مسحور وتارةً هو محتاج متروك حتى تمنّوا له الكنز وتارةً انه ناقص عن القيام بالأمور (فضلّوا) بهذا عن الهدى وعن الصواب وطريق الحق (فلا يستطيعون سبيلاً) لالزامك الحجة ولا يستطيعون سبيلاً الى إبطال أمرك (تبارك) أي تقدس (الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك) أي خيراً من تلك الأُمور التي اقترحوها لك من الكنز والبستان ، ثم فسّر سبحانه الذي هو خير مما اقترحوه (جنات تجري من تحتها الأنهار) ليكون أبلغ في الزهو وأسرع في نضج الثمار .

قوله تعالى :

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا
رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا
مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا
وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ
ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ
مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ
وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ
صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ
وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

بيّـن سبحانـه سوء اعتقادهم وما أعده لهم على قبيح فعالهم ومقالهم (بل كذبوا بالساعة) أي ما كذبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق بل لأنهم لم يقروا بالبعث والنشور والثواب والعقاب ، (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) أي ناراً تتلظى ، ثم وصف سبحانه ذلك السعير (إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً) تغيّظها:تقطّعها عند شدة اضطرابها ، وزفير صوتها عند شدة التهابها ، وقيل:التغيظ للنار والزفير لأهلها (وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً) معناه وإذا ألقوا من النار في مكان ضيّق يضيق عليهم .

وفي الحديث قال (ع):في هذه الآية والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط . (مقرنين) أي مصفدين قرنت أيديهم الى أعناقهم في الأغلال ، وقيل:قرنوا مع الشياطين في السلاسل والأغلال (دعوا هنالك ثبوراً) أي دعوا بالويل والهلاك على أنفسهم فتجيبهم الملائكة (لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً) أي لا تدعوا ويلاً واحداً وأنه لن ينفعكم وان كثر دعاؤكم . (قل)يا محمّد (ذلك)يعني ما ذكره من السعير (خير أم جنّة الخلد التي وعِد المتقون كانت) تلك الجنة (لهم جزاء)على أعمالهم (ومصيراً)أي مرجعاً ومستقراً وما يشتهون من المنافع واللذات (كان على ربك وعداً مسؤولاً) قال بن عباس:معناه أن الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى ، وقيل:معناه أن الملائكة سألوا الله تعالى ذلك لهم فأجيبوا الى مسألتهم وآتاهم ما طلبوا . (ويوم يحشرهم) أي يجمعهم (وما يعبدون من دون الله) يعني عيسى وعزير والملائكة ، وقيل:يعني الأصنام فيقول الله تعالى لهؤلاء المعبودين (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل) أي طريق الجنة والنجاة (قالوا) يعني المعبودين من الملائكة والانس أو الأصنام اذا أحياهم الله وأنطقهم قالوا (سبحانك) تنزيهاً لك عن الشريك وعن أن يكون معبود سواك ، وليس لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا وما كان يحق لنا أن نعبد سواك (ولكن متعتهم وآباءهم

حتىٰ نسوا الذكر) أي طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم ومتعتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتىٰ نسوا الذكر المنزل علىٰ الأنبياء وتركوه (وكانوا قوماً بوراً) أي هلكىٰ فاسدين (فقد كذبوكم) أي كذبكم المعبودون من دون الله أيها المشركون بقولكم انهم آلهة وشركاء لله (فما تستطيعون صرفاً) أي فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم ولا نصركم بمنع العذاب عن انفسكم (ومَن يظلم منكم) نفسه بالشرك وارتكاب المعاصي (نذقه) في الآخرة (عذاباً كبيراً) أي شديداً عظيماً . (وما أرسلنا قبلك) يا محمّد (من المرسلين إلاّ إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) فقل لهم كذلك كان حال من مضىٰ من الرسل (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي امتحاناً وابتلاءً قيل هو إبتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمّداً من موالينا وأراذلنا فقال الله لهؤلاء المؤمنين (اتصبرون) علىٰ الأذىٰ والإستهزاء (وكان ربك بصيراً) إن صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا (وكان ربك بصيراً) أي عليماً فيغني من أوجبت الحكمة اغناءه ويفقر من أوجبت الحكمة افقاره أو بصيراً بمَن يصبر وبمَن يجزع .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجُزءُ التّاسِع عَشَر
مِنَ القران الكَريم

قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا
لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ
لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا
عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ
خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ
الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)
لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا
(٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)

قال ابن عباس نزل قوله (ويوم يعضّ الظالم . . .) في عقبة بن أبي معيط وأُبي بن خلف وكانا متخالين ، وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعا الناس فدعا رسول الله (ص) الى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله (ص) ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال

عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّداً رسول الله . وبلغ ذلك أبي بن خلف فقال صبأت يا عقبة ؟ قال:لا والله ما صبأت ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولّم يطعم فشهدت له فطعم ، فقال:إني ما كنت براض عنك أبداً حتىٰ تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة وارتد وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال النبي (ص):لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر ، وأما أبي بن خلف فقتله النبي (ص) يوم أحد بيده في المبارزة .

وقيل:نزلت في كل كافر أو ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة أمر الله تعالى ، وقال أبو عبدالله (ع):ليس رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده الى الجنة أو تسوقه الىٰ نار تجري فيمَن بعده إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

وفي هذه الآيات حكىٰ سبحانه حال الكفار وجملة من أقوالهم الباطلة كقولهم (لولا أنزل علينا الملائكة) أي هلّا انزل الملائكة ليخبرونا بأن محمّداً نبي ، (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك ، ثم أخبر سبحانه أن الوقت الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة فيجبهون الكفار بأن لابشارة لهم بالجنة والثواب (ويقولون حجراً محجوراً) أي ويقول الملائكة لهم حراماً محرماً عليكم سماع البشرىٰ بالجنة وأنه لايدخل الجنة ولا يبشّر بها إلا مَن قال لا إله إلا الله (وقدمنا الىٰ ما عملوا من عمل) الذي عمله الكفار في الدنيا مما رجوا به النفع والأجر من أصنامهم كاعتاقهم ونصرهم للمظلومين وصدقاتهم وما كانوا يتقربون به الىٰ الأصنام (فجعلناه هباءً منثوراً) . والهباء المنثور:هو الغبار يدخل الكوة من شعاع الشمس ، أو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب ، أي وتذهب اعمالهم باطلاً فلم ينتفعوا بها لأنهم عملوها لغير الله . ثم ذكر سبحانه فضل اهل الجنة علىٰ اهل النار فقال:(أصحاب الجنة يومئذ) يوم القيامة بنزول افضل منزل في الجنة (وأحسن مقيلاً) أي موضع قائلة ، والقيلولة عند العرب الإستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر (ويوم تشقق السماء

بالغمام) عن الغمام وذلك لنزول الملائكة (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة (وكان يوماً على الكافرين عسيراً) لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلوها في دار الدنيا (ويوم يعضّ الظالم على يديه) ندماً وأسفاً وهو عام في كل ظالم نادم يوم القيامة وكل خليل يخالل في غير ذات الله (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) ليتني اتبعت محمّداً (ص) واتخذت معه سبيلاً الى الهدى (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) لأنه يتبرأ منه في الآخرة ويسلّمه الى العذاب والهلاك ولا يغني عنه شيئاً . (وقال الرسول) يعني محمّداً (ص) يشكو قومه (يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) يعني هجروا القرآن وهجروني وكذبوني وهو بمعنى : ويقول الرسول يوم القيامة ...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا
(٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ
لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ
بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ

أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾
وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

عزّى سبحانه نبيّه بقوله (وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً من المجرمين) والمعنى في جعله إياهم عدواً لأنبيائه أنه تعالى أمر الأنبياء (ع) أن يدعوهم الى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة غير الله من الأصنام والأوثان وكانت هذه أسباباً داعية الى العداوة (وكفى بربك هادياً ونصيراً) أي حسبك بالله هادياً الى الحق وناصراً لأوليائه في الدنيا والآخرة .

(وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) أي قال الكفار لرسول الله (ص) هلّا آتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما انزلت التوراة والانجيل والزبور جملة واحدة (كذلك) أي نزلناه كذلك متفرقاً (لنثبت به فؤادك) أي لنقوّي به قلبك حين يأتي به الوحي متجدداً في كل حادثة وكل أمر وأيضاً فإن في القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ما هو جواب لمَن سأله عن أمور (ورتّلناه ترتيلاً) أي بيّناه تبييناً ، أو فصّلناه تفصيلاً ، وروي أن النبي (ص) قال: يا بن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلاً . قال: وما الترتيل ؟ قال(ص): بيّنه تبييناً ولا تنثره نثر الدقل ، ولا تهذه هذّ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكوننّ هم أحدكم آخر السورة . (ولا يأتونك بمثل) ولا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك في ابطال أمرك ومخاصمتك (إلا جئناك بالحق) الذي يبطله ويدحضه (وأحسن تفسيراً) مما أتوا به من المثل (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أي يسحبون على

وجوههم الى النار وهم كفار مكة وانهم قالوا لمحمّد وأصحابه هم شر خلق الله فقال الله سبحانه (أولئك شرٌ مكاناً) أي منزلاً ومصيراً (وأضل سبيلاً) من المؤمنين (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) أي معيناً يعينه على تبليغ الرسالة (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني فرعون وقومه وحين ذهبا فلم يقبلوا منهما وجحدوا نبوتهما (فدمّرناهم تدميراً) أي أهلكناهم بأمر عجيب (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) بالطوفان وجعلناهم عبرة وموعظة (وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً) أي وهيأنا للظالمين بالإضافة لما حل بهم في الدنيا فلهم في الآخرة عذاب شديد (وعاداً وثموداً) أي واهلكنا عاداً وثموداً (وأصحاب الرس) وهو بئر رسوا فيه نبيّهم أي ألقوه فيه ، وقيل انهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيباً فكذبوه فانهار البئر وانخسفت بهم الأرض فهلكوا . وقيل الرس قرية باليمامة ، وقيل في الرس غير ذلك (وقروناً بين ذلك كثيراً) أي واهلكنا قروناً كثيراً بين عاد واصحاب الرس جزاء تكذيبهم ، والقرن سبعون سنة وقيل أربعون سنة (وكلاً ضربنا له الأمثال) أي وكلاً بيّنا لهم العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ، أو بيّنا لهم الأحكام في الدين والدنيا (وكلاً تبّرنا تتبيراً) أي وأهلكناهم إهلاكاً على تكذيبهم الرسل (ولقد أتوا) يعني كفار مكة (على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني قرية قوم لوط أمطروا بالحجارة (أفلم يكونوا يرونها) في أسفارهم إذا مروا بها فيخافون ويعتبرون بها وأنى لهم أن يعتبروا وهم لا يخافون البعث ولا يرجون ثواباً ولا يؤمنون بالنشأة الثانية .

قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾
إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ

يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ
تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ
إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ
مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً
مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ
بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم فيما تقدم وأنهم إذا شاهدوك يا محمّد يستهزؤون بك ويستصغرونك ويقولون (أهذا الذي بعث الله رسولاً) بعثه الله نبياً، وقد أوشك أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا ويضلّنا عن عبادتها(لولا أن صبرنا عليها)أي على عبادتها فقال سبحانه متوعداً لهم(وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الذي ينزل بهم في الآخرة (مَن أضل سبيلاً) أي مَن أخطأ طريقاً عن الهدى أهم أم المؤمنون (أرأيت مَن اتخذ إلهه هواه) أي من جعل إلهه ما يهواه ، وكان الرجل من المشركين يعبد الحجر والصنم فاذا رأى أحسن منه رمى بالسابق

وأخذ يعبد الآخر ، (أفأنت تكون عليه وكيلاً) أتقدر يا محمّد أن تهديه إذا لم يتدبر ويتفكر (أم تحسب) يا محمّد (إنّ أكثرهم يسمعون) ما تقوله (أو يعقلون) ما تقوله لهم وما يعاينونه من المعجزات والحجج ، لا تظن ذلك ما هم إلا (كالأنعام) أي كالبهايم التي تسمع النداء ولا تعقل (بل هم أضل سبيلاً) من الأنعام لأنهم مكنوا من المعرفة فلم يعرفوا والأنعام لم تمكن من المعرفة (ألم تر) الخطاب للنبي (ص) والمراد به سائر المكلفين ألم تر الى فعل ربك كيف مدّ الظل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكناً) أي مقيماً دائماً لا يزول ولا تنسخه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) أي على الظل (دليلاً) قال ابن عباس:تدل الشمس على الظل بمعنى أنه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة وكل الأشياء تعرف بأضدادها (ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً) أي قبضنا الظل بارتفاع الشمس فتنسخ الظل شيئاً فشيئاً(وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) أي غطاءً ساتراً للأشياء بالظلام لنسكن ونستريح من كد الأعمال (والنوم سباتاً) أي راحة لأبدانكم (وجعل النهار نشوراً) لانتشار الروح باليقظة ، أو لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) مضى الكلام عليها في سورة الأعراف آية/ ٥٧ (وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً) أي طاهراً في نفسه ومطهراً لغيره ، ولنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبات ولنخرج بالماء النبات والثمار ولنسقي من ذلك الماء انعاماً (وأناسي كثيراً) (ولقد صرفناه) أي صرفنا المطر يدور في جهات الأرض وقسمناه في جهات الأرض على حسب المصلحة (ليذكروا) ليتفكروا ويستدلوا به على سعة مقدرونا وانه لا يستحق العبادة غير الله سبحانه (فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) وجحوداً لما عددناه من النعم أو كفوراً بالبعث والنشور .

قوله تعالىٰ :

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤)
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ
الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧)
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)

(ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً) ينذرهم ولكن بعثناك يا محمّد الىٰ القرىٰ كلها رسولاً لعظيم منزلتك لدينا والأصلح لهم (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك

اليه من المداهنة (وجاهدهم به) أي بالقرآن . وفي هذا دلالة على أن جهاد المتكلمين في ردّ شبه المبطلين وأعداء الدين من المراتب العظيمة في الجهاد (وهو الذي مرج البحرين) أي أرسلهما في مجاريهما ، وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب (هذا عذب فرات) أي طيّب شديد الطيبة والعذوبة ، وهذا شديد الملوحة ، وقيل:الفرات البارد،والاجاج:الحار (وجعل بينهما برزخاً) أي حاجباً من قدرة الله تعالىٰ (وحجراً محجوراً) أي حراماً محرماً أن يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء بشراً) أي خلق من النطفة انساناً (فجعله نسباً وصهراً) النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر الذي يحل نكاحه كبنات العم والخال وغيرهم ، وقيل:النسب البنون،والصهر:البنات اللاتي يستفيد الانسان بهن الأصهار ، ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) من الأصنام والأوثان (وكان الكافر علىٰ ربه ظهيراً) أي معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي (وما أرسلناك) يا محمّد (إلا مبشراً) بالجنة ، (ونذيراً) من النار . قل يا محمّد لهؤلاء الكفار (ما أسألكم عليه) أي على القرآن وتبليغ الوحي (من أجر الا من شاء أن يتخذ الىٰ ربه سبيلاً) بانفاقه في طاعة الله واتباع مرضاته ، واني لا اسألكم لنفسي أجراً ولكني لا أمنع من انفاق المال في طلب مرضاة الله سبحانه (وسبح بحمده) أي أحمده منزهاً له عما لا يجوز عليه في صفاته بأن تقول الحمد لله رب العالمين الحمد لله على نعمه واحسانه الذي لا يقدر عليه غيره ، الحمد لله حمداً يكافيء نعمه في عظيم المنزلة وعلو المرتبة ، وما اشبه ذلك . (الذي خلق السماوات . . . في ستة ايام . . .) قد سبق تفسيره في سورة الأعراف آية / ٥٤ (فسئل به خبيراً) قيل:ان الخبير هنا محمّد (ص) والمعنى ليسأل كل منكم عن الله تعالىٰ محمّداً فانه الخبير العارف (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء المشركين (اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) وتظاهروا أنهم لا يعرفون الرحمن ، والرحمن:اسم من اسماء الله عز اسمه (وزادهم نفوراً) أي

زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الإيمان ومن قبول قول النبي (ص) .

قوله تعالى :

تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سرجا وقمرا
منيرا ﴿٦١﴾ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن
اراد ان يذكر او اراد شكورا ﴿٦٢﴾ وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجهلون قالوا سلما ﴿٦٣﴾
والذين يبيتون لربهم سجدا وقيما ﴿٦٤﴾ والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴿٦٥﴾ انها ساءت مستقرا
ومقاما ﴿٦٦﴾ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواما ﴿٦٧﴾ والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ﴿٦٨﴾
يضعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا ﴿٦٩﴾ الا من تاب
وامن وعمل عملا صلحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنت
وكان الله غفورا رحيما ﴿٧٠﴾

(تبارك) أي عظمت وكثرت بركاته ، أو تقدس (الذي جعل في السماء بروجاً) منازل النجوم السبعة السيارة ، زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة وعطارد ، والقمر ، والمنازل . وهي اثنا عشر برجاً ، الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو والحوت . (وجعل فيها سراجاً) يعني الشمس (وقمراً منيراً) أي مضيئاً بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي يخلف كل واحد منهما صاحبه أو مخالفاً لصاحبه فأحدهما أسود والآخر أبيض (لمن أراد أن يذكر) أي يتفكر ويستدل بذلك على أن لهما مدبراً ومصرفاً ، ولمن أراد شكر نعمة ربه عليه (وعباد الرحمن) يريد أفاضل عباده (الذي يمشون على الأرض هوناً) أي بالسكينة والوقار والطاعة لا متكبرين ولا مفسدين، وقال أبو عبدالله (ع): هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر ، وقيل في وصفهم غير ذلك من الصفات الحميدة (وإذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه أو يثقل عليهم (قالوا سلاماً) ولا يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش ، وقيل سلاماً: أي يقولون قولاً يسلمون فيه من الإثم ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) يبيتون لربهم بالليل في الصلاة سجداً وقائمين طالبين لثواب ربهم (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً) أي يدعون ربهم بهذا القول وغراماً أي لازماً دائماً غير مفارق (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) أي إن جهنم بئس موضع قرار وإقامة (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) واختلف في معنى الاسراف،فقيل: هو النفقة في المعاصي والإقتار الإمساك عن حق الله تعالى ، وقيل: السرف مجاوزة الحد في النفقة، والاقتار: التقصير عما لا بد منه ، وروي عن معاذ أنه قال: سألت رسول الله (ص) عن ذلك فقال : مَن أعطى في غير حق فقد أسرف ومَن منع من حق فقد قتر (وكان بين ذلك قواماً) أي وكان انفاقهم لا إسرافاً يدخلون به في حد التبذير ولا

تضييقاً يصيرون به في حد المانع لما يجب ، والقوام من العيش ما اقامك وأغناك (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) أي لا يجعلون لله سبحانه شريكاً (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) قتلها (إلا بالحق) ممّن وجب قتلها بالقود أو بالارتداد ، أو للزنا بعد احصان ، أو للسعي في الأرض بالفساد (ولا يزنون) وفي هذا دلالة على أن اعظم الذنوب بعد الشرك القتل والزنا (ومَن يفعل ذلك) أي يفعل تلك الخصال (يلق آثاماً) أي عقوبة وجزاءً (يضاعف له العذاب) لأنه يستحق على كل معصية فيه عقوبة فيضاعف عليه العقاب ، وقيل:المضاعفة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة (ويخلد فيها مهاناً) أي يخلد في العقاب على وجه الإهانة ، أو مصحوباً بالاهانة (إلا مَن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) والتبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه ، وقيل:يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام ، بالشرك إيماناً وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفةً وإحصاناً . . . (وكان الله غفوراً رحيماً) أي ساتراً لمعاصي عباده منعماً عليهم بالرحمة .

قوله تعالى :

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا
يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً

وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

(ومن تاب) أي اقلع عن معاصيه وندم عليها (وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً) أي يرجع اليه مرجعاً عظيماً جميلاً ، فيكون بمعنى من عزم على التوبة من المعاصي فانه ينبغي أن يوجه توبته الى الله بالقصد الى طلب جزائه ورضائه عنه (والذين لا يشهدون الزور) أي لا يحضرون مجالس الباطل ، ومنها مجالس الغناء والفحش والخناء ، وقيل: انه خصوص الغناء كما هو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، وقيل: هي شهادة الزور (واذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً) واللغو المعاصي كلها أي مروا بأهل اللغو وبأهل المعاصي مرّوا مرور الكرام الذين لا يرضون بالمعاصي ونزهوا أنفسهم عنها ، وقيل: مرورهم كراماً هو أن يمروا بمَن يسبهم فيصفحون عنه وبمَن يستعين بهم على حق فيعينوه (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً) أي اذا وعظوا بالقرآن والأدلة التي نصبها الله لهم نظروا فيها وتفكروا في مقتضاها ولم يقعوا عليها صماً كأنهم لم يسمعوها ولم يروها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين) أي اجعل أزواجنا وذرياتنا قرة أعين طائعين تقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة (واجعلنا للمتقين اماماً) أي اجعلنا ممّن يقتدي بنا المتقون ، أو واجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يقتدي بنا من بعدنا (أولئك يجزون الغرفة) أي يثابون بالدرجة الرفيعة في الجنة (بما صبروا) على أمر ربهم وطاعة نبيّهم وعلى مشاق الدنيا وصعوبة التكليف ، قيل: الغرفة اسم لأعلى منازل الجنة وأفضلها وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية ، وهي كل قول يسر به الانسان وقال الكلبي يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ويرسل اليهم الرب بالسلام . (خالدين فيها) من غير موت ولا زوال (قل) يا

محمّد (ما يعبؤا بكم ربي) أي ما يصنع بكم ربي ، أو ما يبالي بكم ربي (لولا دعاؤكم) أي لولا دعاؤه اياكم الى الدين والإسلام والمعنى قل يا محمّد للمشركين ما يفعل بكم ربي وأي نفع له فيكم وأي ضرر يعود اليه منكم لكن الواجب في الحكمة دعاؤكم الى الدين وارسال الرسول اليكم ، وفي هذا دلالة على أن من لا يعبد الله ولا يطيعه فلا وزن له عند الله (فقد كذبتم) يا معاشر الكفار كذبتم الرسل فسوف يكون عقابكم لازماً ، وقيل في تفسير اللزام: انه القتل يوم بدر .

تمت ولله الحمد سورة الفرقان وتفسيرها

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

سورة الشعراء

وهي مكية كلها غير قوله : والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (1) تلك آيات الكتاب المبين (2) لعلك باخع نفسك ألا
يكونوا مؤمنين (3) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت
أعناقهم لها خاضعين (4) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
إلا كانوا عنه معرضين (5) فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء
ما كانوا به يستهزءون (6) أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من
كل زوج كريم (7) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
(8) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (9)

(طسم) قد بيّنا معاني هذه الحروف المقطعة في اول البقرة قيل: طسم وطس من اسماء القرآن ، أو هو قسم ، وهو من اسماء الله وقيل غير ذلك .

(تلك آيات الكتاب المبين) أي آيات القرآن ، والمبين الذي يبين الحق من الباطل (لعلك باخع نفسك . .) أي لعلك مهلك نفسك بأن لا يكونوا مؤمنين ، وذلك تسلية منه سبحانه لنبيّه (ص) (إن نشأ نُنزل عليهم من السماء آية) أي دلالة وعلامة تلجئهم وتضطرهم الى الايمان (فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لتلك الآية خاضعين منقادين (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) محدث:أي جديد والذكر الجديد هو القرآن (أو لم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج) أي من كل نوع معه قرينه (كريم) أي حسن ، أونافع مما يحتاج اليه (إن في ذلك لآية) أي دلالة على وحدانية الله وكمال قدرته (وما كان اكثرهم مؤمنين) أي لا يصدقون بذلك عناداً منهم وتقليداً لاسلافهم (وإن ربك) يا محمّد (لهو العزيز) القادر الذي لا يعجز (الرحيم) المنعم على عباده بأنواع النعم .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ
فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾
وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾
وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا
إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا

وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ
مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ
لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ
لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ
إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا
غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾

ذكر سبحانه أقاصيص رسله تسلية لرسوله (ص) وتحريضاً له على الصبر ، وابتدأ بقصة موسى وفرعون ، حين أمر سبحانه موسى (ع) (أن ائتِ القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي ، وظلموا بني اسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب (ألا يتقون) أي أما آن لهم أن يتقوا . (قال) موسى (رب إني اخاف أن يكذبون) بالرسالة ولا يقبلوا مني (ويضيق صدري) بتكذيبهم إياي (ولا ينطلق لساني) بالكلام والدعوة (فأرسل الى هارون) ليعاونني حرصاً من موسى (ع) للقيام بالطاعة (ولهم عليّ ذنب) وهو قتل القبطي الذي قتله

موسى (ع) (فأخاف أن يقتلون) جزاء ذلك القتل (قال) الله سبحانه (كلّا) أي لا يكون ذلك ولن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا) أي بدلالاتنا ومعجزاتنا إنا نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم (فأتيا فرعون فقولا . . .) أرسلنا الله اليك لندعوك الى عبادته وترك الشرك (أن ارسل معنا بني اسرائيل) فأطلقهم من الاستعباد وخل عنهم (قال) فرعون لموسى (ألم نربك فينا وليداً) أي صبياً صغيراً فربيناك وأقمت عندنا سنين كثيرة وهي ثماني عشرة سنة ، وقيل ثلاثين سنة وقيل أربعين سنة . (وفعلت فعلتك التي فعلت) وهي قتل القبطي (وأنت من الكافرين) لنعمتنا وحق تربيتنا ، وقيل معناه وأنت من الكافرين بالهك إذ كنت معنا على ديننا الذي تعيبه الآن (قال)موسى (فعلتها إذاً وأنا من الضالين)أي من الجاهلين ولم اعلم أنها تبلغ القتل وانما وقع خطأ (ففررت منكم لما خفتكم) أي ذهبت من بينكم حذراً على نفسي الى مدين (فوهب لي ربي حكماً) أي نبوة أو علماً وهو الذي وهبه الله تعالى لموسى من التوراة والعلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام (وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدتَ بني اسرائيل) وهي بمعنى الاستفهام الانكاري ، أو تلك نعمة تمنها عليّ . . ؟ او أتمنّ عليّ بأن ربيتني مع استعبادك قومي فهذه ليست بنعمة . (قال فرعون وما رب العالمين) بمعنى أي رب تدعوني الى عبادته (قال) موسى في جوابه (رب السموات والأرض) أي مبدعهما ومنشئهما (وما بينهما) من الحيوان والجماد والنبات (قال) فرعون (لمن حوله الا تستمعون) مقالة موسى وجوابه لي عن حقيقة ربه (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين) . وحين عجز فرعون عن جواب موسى وابطال حجّته لجأ الى التمويه (إن رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون) لأني أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبني عن غير ذلك ، إلا أن موسى (ع) لم يرد على تهمة الجنون بل استمر بتأكيد الحجّة والبرهان على وجود الله سبحانه ووجوب عبادته (قال ربّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) ذلك وتتدبرونه فحينها لجأ فرعون

الى تهديد موسى (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) قال موسى (ع): أتسجنني حتى لو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقي وكذب حجتك وبطلان عبادتك ؟ .

قوله تعالى :

قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ
مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ
هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾
فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ
﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ
أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾
فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ

وهُم رُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي
عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ
خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾

قال فرعون لموسى:(فأتِ به إن كنت من الصادقين) أي هات ما ادعيت من المعجزات إن كنت صادقاً (فألقى) حينئذٍ موسى (عصاه فإذا هي ثعبان) أي حية عظيمة،وقيل:الثعبان الذكر من الحيّات(مبين) أي لا شبهة في أنه ثعبان ، وأخرج يده من كمّه أو من جيبه فإذا هي بيضاء بياضاً كالشمس في اشراقها للناظرين اليها ، قال فرعون لمَن حوله من الأشراف والوجهاء(إن هذا)يعني موسى(لساحرٌ عليم) بفنون السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم) ودياركم ويتغلّب عليها بسحره (قالوا ارجه وأخاه) مر تفسيره في سورة الأعراف (١١١) (وابعث في المدائن حاشرين) يحشرون الناس من جميع البلدان (فجُمع السحرة لميقاتِ يومٍ معلوم) اختاروه وعيّنوه وهو يوم عيدهم ليشهدوا مناظرة السحرة لموسى وسعيهم لابطال حجّته وافساد سحره كما يزعمون (فلما جاء السحرة) وحضروا بين يدي فرعون قالوا له (أئنّ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) أي هل لنا اجرةٌ وجزاءٌ إن نحن غلبنا موسى بسحرنا (قال) فرعون (نعم وانكم) مع ما تُعطون من الأُجرة والجزاء تكونون عندي مقربين مكرمين (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أراد بذلك تحديهم (فألقوا حبالهم وعصيّهم) أي طرحوها في المجلس (وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا قسم منهم واعتزاز بقوة فرعون (فألقى) عند ذلك (موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون) أي إن العصا تناولت جميع ما موّهوا به في اقصر مدة (فأُلقي السحرة ساجدين) لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصا حيةً وتلقّفها جميع ما أتعبوا به انفسهم ، وحينها علموا أن ذلك من عند الله

إذ لا يقدر عليه أحد من البشر (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) فعند ذلك قال فرعون مهدداً لهم على إيمانهم برب موسى قبل ان يأذن لهم بذلك (إنه لكبيركم) أي أستاذكم ومعلمكم (الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيما بعد ما أفعله بكم جزاء ايمانكم بموسى (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعني قطع اليد من جانب والرجل من الجانب الآخر كقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى مثلاً (ولأصلبنكم أجمعين) فأجابه السحرة و (قالوا لا ضير) أي لا ضرر علينا فيما تفعله بنا فإنا الى ثواب ربنا راجعون فيجزينا على ايماننا وصبرنا على عذابك قيل إن فرعون لم يصل الى قتل واحد من المؤمنين السحرة ، كما قيل ان فرعون أول من قطع الأيدي والأرجل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾
وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾
فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا
لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ

أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

اخبر سبحانه انهم قالوا لفرعون حين آمنوا (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) وما فعلناه من السحر ، وطمعنا بغفران الله لذنوبنا لأنا أول من صدق موسى وأقر بنبوته وبما دعانا اليه من التوحيد(وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي) سبق تفسيره في سورة طه آية (٧٧) (إنكم متّبعون) يتبعكم فرعون وجنوده ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر وأمر فرعون من يحشر له الجيوش ليقبضوا على موسى وقومه ، وأعلن أن موسى ومَن آمن معه عصابة من الناس قليلة ، قال المفسرون:وكان عدد موسى ومَن معه من المؤمنين ستمائة ألف ، وأعلن فرعون أن هؤلاء (لنا لغائظون) لمخالفتهم لنا في الدين وخروجهم على أوامرنا وطاعتنا (وإنا لجميع حاذرون) أي خائفون من شرهم ، ثم أخبر سبحانه عن كيفية اهلاك فرعون وقومه (فأخرجناهم من جنات وعيون) أي بساتين وعيون جارية (وكنوز) أي اموال وخزائن مخبأة (ومقام كريم) من مجالس ومراكز في الحكم ومنازل طيبة (كذلك) أي كذلك كان آل فرعون (وأورثناها بني اسرائيل) وذلك إن الله سبحانه بعد ما أغرق فرعون وقومه ردّ بني اسرائيل الى مصر وأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والعقار ، (فاتبعوهم مشرقين) يعني قوم فرعون أدركوا موسى وأصحابه حين أشرقت الشمس (فلما تراءَ الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا فرعون وجنوده

ولا طاقة لنا بهم فقال موسى الواثق من نصر الله له (كلّا) لن يدركونا (إن معي ربي سيهدين) أي سيرشدني الى طريق النجاة . (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) وهو نهر النيل ما بين إيلة ومصر ، وقيل بحر القلزم ، فانشق البحر وظهر فيه اثنا عشر طريقاً وقام الماء عن يمين الطريق ويساره كالجبل العظيم (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قرّبنا فرعون وقومه الى البحر حتى أغرقناهم (إن في ذلك لآية) أي إن في فرق البحر وانجاء موسى وقومه واغراق فرعون وقومه لدلالة واضحة على توحيد الله وقدرته (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي انهم مع هذا السلطان الظاهر والبرهان والمعجز القاهر ما آمن اكثرهم ، فلا تستوحش يا محمّد من إعراض قومك عن الحق الواضح .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ
إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا
آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ
﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ

يحيين ﴿٨١﴾ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴿٨٢﴾
رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ﴿٨٣﴾ واجعل لي لسان صدق
في الآخرين ﴿٨٤﴾ واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴿٨٥﴾ واغفر لأبي إنه
كان من الضالين ﴿٨٦﴾ ولا تخزني يوم يبعثون ﴿٨٧﴾ يوم لا ينفع مال
ولا بنون ﴿٨٨﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٨٩﴾ وأزلفت الجنة
للمتقين ﴿٩٠﴾ وبرزت الجحيم للغاوين ﴿٩١﴾ وقيل لهم أين ما كنتم
تعبدون ﴿٩٢﴾ من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴿٩٣﴾ فكبكبوا
فيها هم والغاوون ﴿٩٤﴾ وجنود إبليس أجمعون ﴿٩٥﴾ قالوا وهم فيها
يختصمون ﴿٩٦﴾ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ﴿٩٧﴾ إذ نسويكم برب
العالمين ﴿٩٨﴾ وما أضلنا إلا المجرمون ﴿٩٩﴾ فما لنا من شافعين ﴿١٠٠﴾
ولا صديق حميم ﴿١٠١﴾ فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ﴿١٠٢﴾ إن في
ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٠٣﴾ وإن ربك لهو العزيز
الرحيم ﴿١٠٤﴾

(واتل عليهم) يا محمّد خبر ابراهيم (إذ قال لأبيه وقومه) منكراً عليهم أيّ شيء تعبدون من دون الله؟ (قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين) أي فنظل على عبادتها مداومين ، فقال لهم ابراهيم (ع) هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم (أو ينفعونكم) إذا عبدتموهم (أو يضرون) إن تركتم عبادتها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) إخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام (قال) ابراهيم (ع) منكراً عليهم التقليد (أفرأيتم ما كنتم تعبدون) من الأصنام (أنتم وآباؤكم الأقدمون) أي والذي كان آباؤكم يعبدونهم (إلا ربّ العالمين) أي ان عبادتكم وعبادة الأقدمين من آبائكم عبادة ضالة وهي ضارة بالبشر إلا مَن كانت عبادته لرب العالمين (الذي خلقني) وأخرجني من العدم الى الوجود (فهو يهدين) ويرشدني الى ما فيه نجاتي ويرزقني ما اتغذى به (والذي يميتني ثم يحيين) يميتني بعد الحياة ويحييني يوم القيامة ، (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء ، وذلك على سبيل الانقطاع والتوجه منه الى الله سبحانه ، لا على سبيل أن له خطيئة يحتاج الى أن يغفر له يوم القيامة لأنه لا يجوز أن يقع من الأنبياء شيء من القبائح . وهذا الكلام من ابراهيم (ع) إنما صدر على وجه الإحتجاج على قومه والأخبار بأنه لا يصلح للإلهية إلا من فعل ويفعل هذه الأفعال .

ثم حكى سبحانه عن ابراهيم أنه قال (ربّ هب لي حكماً) والحكم بيان الشيء على ما تقتضيه الحكمة ، وقيل انه العلم ، وقيل إنه النبوة . (وألحقني بالصالحين) بمَن قبلي من النبيين في الدرجة والمنزلة (وأجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناءاً حسناً في آخر الأمم وذكراً جميلاً الى يوم القيامة (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي من الذين يرثون الفردوس (واغفر لأبي إنه كان من الضالين) أي من الذاهبين عن الصواب في اعتقاده ، وقد تقدم تفسير استغفاره لأبيه في سورة التوبة (١١٤) (وأزلفت الجنّة للمتقين) أي قربت لهم ليدخلوها (وبُرّزت الجحيم للغاوين) أي أُظهرت وكُشف الغطاء للغاوين الضالين عن طريق الحق

والصواب (وقيل لهم) أي للضالين عن الحق توبيخاً لهم (أين ما كنتم تعبدون، من دون الله) من الأصنام والأوثان وغيرهما (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم في ذلك اليوم (أو ينتصرون) لكم إذا عوقبتم (فكُبكِبوا فيها) أي جُمِعوا وطُرح بعضهم على بعض أو نُكسوا فيها على رؤوسهم (هم والغاوون) أي الآلهة الفاسدة والعابدين لها من دون الله (وجنود ابليس أجمعون) أي وكُبكب معهم جنود ابليس، وجنود ابليس: مَن اتبعه من ولده وولد آدم (قالوا وهم فيها يختصمون) أي قال هؤلاء وهم في النار يخاصم بعضهم بعضاً (تالله إن كنا لفي ضلال مبين، إذ نسوّيكم برب العالمين) وعدلناكم به في العبادة (وما أضلنا إلا المجرمون) الذين دعونا الى الضلال فاقتدينا بهم، ثم أظهروا الحسرة فقالوا (فما لنا من شافعين) يشفعون لنا (ولا صديق حميم) يهمه أمرنا، وذلك حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون وروى العياشي بالاسناد عن حمران بن أعين عن أبي عبدالله (ع) قال: والله لنشفعنّ لشيعتنا والله لنشفعنّ لشيعتنا حتى يقول الناس فما لنا من شافعين ولا صديق حميم. ثم قالوا (فلو أن لنا كرّةً) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) المصدقين فننعم بالشفاعة (إن في ذلك) أي فيما قصصناه لدلالة لمن نظر فيها واعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) وفيه تسلية للنبي (ص) وإعلام له بأن الشر قديم.

قوله تعالى:

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾
قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ
﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن
لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾
فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

(كذبت قوم نوح المرسلين) يعني بالمرسلين نوحاً والأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم (ع) (ألا تتقون) عذاب الله تعالى في تكذيبي ومخالفتي (إني لكم رسول أمين) على الرسالة ، ثم كرر عليهم (فاتقوا الله واطيعون) لأني رسول الله الأمين على الرسالة، واني لا أسالكم عليه اجراً (قالوا أنؤمن لك) أي نصدقك فيما تقول وقد اتبعك سفلة الناس وأرذالهم ، وقيل:يعنون المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز أو اصحاب الأعمال الدنيئة (قال وما علمي بما كانوا يعملون) أي ما اعلم أعمالهم وصنائعهم ولم أكلف بذلك وانما كُلفت أن أدعوهم الى الله وقد أجابوني اليه ، وليس حسابهم إلا على ربي ، وما انا بالذي لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون انهم الأرذلون (قالوا لئن لم تنته يا نوح) وترجع عما

تقوله وتدعو اليه (لتكوننّ من المرجومين) بالحجارة أو بالشتم والسباب (قال) نوح (ربّ إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً) أي فاقض بيننا قضاء بالعذاب (ونجّني ومن معي من المؤمنين) من العذاب فخلّصناه ومَن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس وغيرهم (إن في ذلك لآية) واضحة على توحيد الله سبحانه (وإن ربك لهو العزيز) في اهلاك قوم نوح بالغرق (الرحيم) في إنجاء نوح ومَن معه بالفلك .

قوله تعالى :

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ
بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

أخبر سبحانه عن قبيلة عاد (إذ قال لهم أخوهم) في النسب (هود ألا تتقون) الله باجتناب معاصيه (أتبنون بكل ريع) الريع : المكان المرتفع ، أو الطريق بين الجبلين (آية تعبثون) أي بناءً لا تحتاجون اليه لسكناكم وانما تريدون العبث واللعب واللهو ، وقيل معناه: انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم ، أو هو بروج الحمام (وتتخذون مصانع) أي حصوناً وقصوراً مشيدة كأنكم تخلدون فيها فلا تموتون ولا تفكرون في الموت ومفارقة الدور والقصور (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) أي إذا عاقبتم عاقبتم عقوبة المتجبّرين بغير الحق (إني أخاف عليكم) إن عصيتموني (عذاب يوم عظيم) يوم القيامة (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي أنهيتنا أم لم تنهنا فإنا لا نقبل ما تدعونا اليه (إن هذا إلا خلق الأولين) أي ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين الذين ادعوا النبوة ولم يكونوا أنبياء وأنت كذلك مثلهم .
وقيل: انهم أرادوا أن الذي نحن عليه من تشييد الأبنية والمصانع والبطش الشديد ما هو إلا عادة الأولين (وما نحن بمعذبين) كما تدعي لا في الدنيا ولا بعد الموت (فكذبوه فأهلكناهم) بعذاب الإستئصال .

قوله تعالى :

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾

فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ
مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا
أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا
إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ
مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

أخبر سبحانه عن ثمود (كذبت ثمود المرسلين) تقدم في الآيات السابقة تفسيرها (أتتركون في ما ههنا آمنين) أتظنون أنكم تتركون فيما أعطاكم الله من الخير في هذه الدنيا آمنين من الموت والعذاب ؟ ثم عدّد سبحانه نعمهم التي كانوا فيها (في جنات) أي بساتين،وعيون ماء جارية (وزروع ونخل طلعها هضيم) الهضيم:اليانع الناضج (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) أي حاذقين بنحتها ، أو فارهين بمعنى أشرين بطرين (ولا تطيعوا أمر المسرفين) وهم رؤساؤهم تسعة رهط الذين عقروا الناقة (قالوا إنما أنت من المسحرين) أي أصابك سحر ففسد عقلك (ما أنت إلا بشر مثلنا فأته بآية) أي بمعجزة تدل على صدقك (قال هذه ناقة) وهي الناقة التي أخرجها الله تعالى من الصخرة عشراء ترغو كما اقترحوا عليه

وطلبوا منه ، ثم بيَّن هود أن هذه الناقة (لها شربٌ ولكم شربُ يومٍ معلومٍ) أي لا تزاحموها في يومها ولكم يومكم لا تزاحمكم بالماء ، (ولا تمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب يومٍ عظيمٍ) هذا مع ما بعده مفسر في سورة الأعراف والقصة مشروحة هناك آية (٧٢) .

قوله تعالى :

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾
قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

أخبر سبحانه عن قوم لوط ، أتأتون الذكران من العالمين وتتركون ما خلقه

الله لكم من النساء (بل انتم قوم عادون) أي ظالمون متعدون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط) وتمتنع عن دعوتنا وتقبيح أفعالنا (لتكونن من المخرجين) عن بلدنا ، فأجابهم لوط عند ذلك (إني لعملكم من القالين) أي من المبغضين الكارهين (ربّ نجّني وأهلي مما يعملون) أي من عاقبة ما يعملونه ومن العذاب النازل بهم (فنجّيناه وأهله اجمعين) من العذاب الواقع بهم . (إلا عجوزاً في الغابرين) العجوز امرأة لوط لأنها كانت تُدل اهل الفساد على اضيافه فكانت من الباقين في العذاب وهلكت فيما بعد مع من خرج من القرية بما أمطره الله من الحجارة (ثم دمّرنا الآخرين) أهلكناهم بالخسف ثم امطر على مَن كان غائباً منهم عن القرية الحجارة من السماء (وأمطرنا عليهم مطراً فساءَ مطر المنذَرين) أي بئس مطر الكافرين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ
أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا

كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

أخبر سبحانه عن شعيب فقال (كذب أصحاب لئيكة المرسلين) وهم أهل مدين،وقيل غيرهم (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون . . .) مفسر فيما تقدم . وإنما يحكي الله سبحانه دعوة الأنبياء بصيغة واحدة ولفظ واحد إشعاراً بأن الحق الذي تأتي به الرسل ويدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه والإخلاص في عبادته وطاعة رسله وان انبياء الله أمناء لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجرة على رسالته . ثم قال (أوفوا الكيل) أي اعطوا الكيل وافياً غير منقوص ويدخل الوفاء في الكيل والوزن والذرع والعدد (ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين للكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أي بالعدل،والقسطاس فيه اقوال ذكرت في سورة الإسراء (٣٥) (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) أي لا تسعوا في الأرض بالفساد،والعثي:أشد أنواع الفساد والخراب (واتقوا الذي خلقكم) وأوجدكم بعد العدم (والجبلة) أي الخليقة وخلق الأمم المتقدمين ، فكان جوابهم كجواب من سبقهم من الأمم التكذيب والإتهام (إنما انت من المسحرين . . . وإن نظنك لمن الكاذبين) أي وإنا نظنك كاذباً (فاسقط علينا كسفاً من السماء) أي قطعاً من السماء . . . (قال) شعيب (ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) أصابهم حر شديد سبعة أيام وحبس عنهم الريح ثم غشيهم سحابة فلما خرجوا اليها طلباً للبرد من شدة الحر الذي

أصابهم أمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم ومعنى الظلّة هنا السحابة التي قد اظلّتهم .

قوله تعالى :

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ
﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ
﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ
﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ
﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ
لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

بيّن سبحانه أمر القرآن بعد أن قصّ اخبار الأنبياء (ع) ليتصل بها حديث نبيّنا محمّد (ص) فقال (وانه لتنزيل ربّ العالمين) أي القرآن (نزل به الروح الأمين) أي نزل بالقرآن جبرائيل (ع) وهو أمين الله على وحيه ، وسمّاه روحاً لأنه يحيي به الدين ، أو يحيي به الأرواح وقيل لأنه جسم روحاني . (على قلبك) يا محمّد (لتكون من المنذرين) أي لتخوف به الناس وتنذرهم بآيات الله (بلسان عربي مبين) ليفهموا ما فيه ولا يقولوا ما نفهم، ولأنه تحدىٰ بفصاحته فصحاء العرب، وقد تضمّنت هذه الآية تشريف هذه اللغة ولذلك اختارها لأهل الجنة : (وإنه) أي ذكر القرآن وخبره (لفي زبر الأولين) أي في كتب الأولين حيث بشرت بالقرآن وبمحمّد (ص) (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل) أي أولم يكن لعلماء بني اسرائيل علم ودلالة على صحة نبوة محمّد (ص) لأن العلماء الذين آمنوا من بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكر القرآن وذكر النبي محمّد (ص) في كتبهم ، وكذلك كانت اليهود تخبر وتبشر بمحمّد (ص) وكان ذلك سبب إسلام الأوس والخزرج (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) أي ولو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب وعلى مَن لا يفصح (فقرأه عليهم) أي على العرب ، لم يؤمنوا به ولأنفوا من اتباعه (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) أي كما أنزلنا القرآن عربياً مبيناً أدخلناه في قلوب الكافرين بأن أمرنا النبي (ص) حتى قرأه عليهم وبيّنه لهم .

ثم أخبر سبحانه عن الكفار انهم لا يؤمنون (حتى يروا العذاب الأليم) فليجئهم الى الايمان به (بغتة) اي فجأة (وهم لا يشعرون) بمجيئه (فيقولوا هل نحن منظرون) أي مؤجلون لنؤمن ونصدق ولما أوعدهم النبي وخوّفهم بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيباً . فقال الله (أفبعذابنا يستعجلون) وفي ذلك توبيخ لهم أفرأيت إن أنظرناهم وأخرناهم سنين ومتعناهم بالدنيا ثم آتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متّعوا به في تلك السنين (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) أي إلا بعد اقامة الحجج عليهم بتقديم الانذار وارسال الرسل تذكيراً وموعظة (وما كنا

ظالمين) أي وما ظلمناهم بالإهلاك إلا بما استحقوه بكفرهم واصرارهم (وما تنزلت به) أي بالقرآن (الشياطين) كما يزعمه بعض المشركين فإن الشياطين لا يستطيعون ذلك ولا يقدرون عليه (إنهم عن السمع لمعزولون) أي ممنوعون عن استماع القرآن وقد منعوا من ذلك بالملائكة الذين يحرسون الوحي وبالشهب الثاقبة التي ترصد الشياطين وترميهم .

قوله تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

خاطب سبحانه نبيّه (ص) والمراد به جميع المكلفين (وأنذر عشيرتك الأقربين) وقيل: انه إنما خصّهم لأنه يمكنه جمعهم ثم ينذرهم وقد فعل ذلك النبي (ص) واشتهرت القصة بذلك عند الخاص والعام وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب أنه قال: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله (ص) بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً . . . ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول الله (ص) فقال: يا بني عبد المطلب ، إني أنا النذير اليكم من الله عز وجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم قال: من

يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليّ ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني ؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً ، كل ذلك يسكت القوم ويقول علي (ع) أنا ، فقال في المرة الثالثة أنت فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب أطع ابنك فقد امّر عليك ، وروي عن أبي رافع هذه القصة وأنه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضلعوا وسقاهم عسّاً فشربوا حتى رووا ثم قال: إن الله تعالى أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين وأنتم عشيرتي ورهطي وأن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصيّاً وخليفة في أهله فأيكم يقوم فيبايعني على أنه أخي ووارثي ووزيري ووصيي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي فسكت القوم فقال ليقومن قائمكم أو ليكونن في غيركم ثم لتندمنّ ثم اعاد الكلام ثلاث مرات فقام علي (ع) فبايعه وأجابه .

(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) اي ألن جانبك وتواضع لهم (فإن عصوك) اقاربك بعد انذارك لهم (فقل إني بريء مما تعملون) من القبائح وعبادة الأصنام ، وفوّض أمرك الى العزيز المنتقم من اعدائه (الذي يراك حين تقوم) من مجلسك الى الصلاة وحدك أو حين تقوم للانذار وأداء الرسالة (وتقلّبك في الساجدين) أي وتقلبك في اصلاب الموحدين حتى اخرجك نبياً من نكاح غير سفاح من لدن آدم (ع) .

قوله تعالى :

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ
﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ

مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

لما أخبر سبحانه أن القرآن ليس مما تتنزل به الشياطين وأنه وحي من عند الله ، عقبه بذكر من تتنزل عليه الشياطين ، وأنها تتنزل على كل كذاب فاجر وهم الكهنة ، وقيل:طليحة ومسيلمة (يلقون السمع) أي الشياطين يلقون ما يسمعونه الى الكهنة والكذابين ويخلطون به كثيراً من الاكاذيب ويوحونه اليهم ، وأكثر الشياطين أو الكهنة كاذبون . (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال بن عباس:يريد شعراء المشركين وذكر جملة من اسمائهم كعبدالله بن الزبعري وغيره ، وأنهم قالوا:نحن نقول مثل ما قال محمّد ، وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي (ص) ، وقيل:هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبوا وإذا قالوا كذبوا (ألم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون) أي في كل فن من الكذب واللغو يخوضون يمدحون ويذمون بالباطل (وانهم يقولون ما لا يفعلون) أي يحثّون الناس على اشياء لا يفعلونها وينهون عن اشياء وهم يرتكبونها (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم الشعراء المؤمنون مثل عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وغيرهم الذين مدحوا رسول الله وردوا هجاء من هجاه .

وفي الحديث عن الزهري : يا رسول الله ماذا تقول في الشعراء ؟ فقال (ص) إن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل ، وقال النبي (ص):لحسان بن ثابت اهجهم أو هاجهم وروح القدس معك ، وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي

اشعر الثلاثة (وذكروا الله كثيراً) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا) من المشركين للرسول والمؤمنين (من بعد ما ظلموا) أي ردّوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) لأن منصرفهم ومنقلبهم الى النار نعوذ بالله منها .

تمت ولله الحمد سورة الشعراء وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة النمل

مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ
فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْءَاخِرَةِ
هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)
إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم
بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ (٨) يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ

أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

(طس) سبق تفسيرها في سورة البقرة (تلك) اشارة الى ما وُعدوا بمجيئه من القرآن ، والقرآن والكتاب معناهما واحد (هدىً وبشرىٰ للمؤمنين) أي هدى للناس من الضلالة الى الحق وبشرى للمؤمنين بالجنة والثواب ثم وصف المؤمنين بأنهم (الذين يقيمون الصلاة) بحدودها وواجباتها ويداومون على أوقاتها ، ويخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في أموالهم وهم لا يشكّون بالنشأة الآخرة والبعث والجزاء وموقنون بكل ذلك (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون) أي زيّنا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها بالترغيب فهم يتحيّرون بالذهاب عنها ، أو بمعنى حرمناهم التوفيق عقوبةً لهم على كفرهم وعنادهم (أُولئك لهم سوء العذاب) أي شدة العذاب وصعوبته ، فهم أخسر الناس صفقةً لأنهم خسروا الثواب . (وانك) يا محمّد (لتلقىٰ القرآن) أي تعطاه وتتلقاه . أو بمعنى تلقّن من لدن حكيم في أمره عليم بخلقه . (إذ قال موسى لأهله) أي اذكر قصة موسىٰ إذ قال لأمرأته وهي بنت شعيب ، (إني آنست ناراً) أي ابصرت ورأيت (سآتيكم منها بخبر) الطريق ، أو اهتدىٰ بها الى الطريق لأنه كان أضل الطريق (لعلّكم تصطلون) أي تستدفئون بها من شدة البرد . فلما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء فعجب موسى منها وأهوىٰ اليها ليقتبس منها فمالت إليه فخافها فتأخر عنها ثم (نودي أن بورك من في النار ومَن حولها) ومن في النار هم الملائكة وحولها موسىٰ (سبحان الله ربّ

العالمين) أي تنزيهاً له عمّا لا يليق بصفاته تعالىٰ (يا موسىٰ انه أنا الله العزيز الحكيم) أي القادر علىٰ كل شيء الحكيم في أفعاله (وألق عصاك) فألقاها فصارت حية فلما رآها تتحرك كما يتحرك الجان هاله ذلك حتىٰ ولىٰ مدبراً ورجع الىٰ ورائه (ولم يعقب) اي لم يلتفت ولم يقف فقال الله سبحانه (يا موسىٰ لا تخف) إنك مرسل والمرسل لا يخاف ولا يخل بواجبه فيخاف عقابي .

قوله تعالىٰ :

إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ
ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا
وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

(إلا من ظلم) لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين لأن الأنبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبائح (ثم بدل حسناً بعد سوء) أي بدل توبة وندماً على ما فعله من القبيح وعزم علىٰ أن لا يعود لاثم في المستقبل فاني ساتر لذنبه قابل لتوبته .(وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) سبق بيانها (في تسع آيات) أي مع تسع آيات أُخر أنت مرسل بها الى فرعون وقومه ، والآيات التسع مفسّرة في سورة بني اسرائيل (انهم كانوا قوماً

فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله (فلما جاءتهم آياتنا) أي حججنا ومعجزاتنا واضحةً بيّنةً (قالوا هذا سحر مبين) أي ظاهر بيّن ولم يقروا بأنها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أي عرفوها وعلموها يقيناً وجحدوها بألسنتهم ظلماً وعناداً (وعلواً) أي طلباً للعلو والرفعة وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (ع) (فانظر) يا محمّد ويا أيها السامع (كيف كان عاقبة المفسدين) في الأرض بالمعاصي وماذا حل بهم بسبب كفرهم وافسادهم .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

عطف الله سبحانه على قصة موسى (ع) قصة داود وسليمان (ع) فقال سبحانه (ولقد آتينا داود وسليمان علماً) وذلك للقضاء وفضّ الخصومة بين الناس ، وعلماً بكلام الطير والدواب ، وبإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس . . . (وورث سليمان داود) وفيه دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم ، وقيل معناه:ميراث العلم والنبوة والملك ، إلا أن هذا خلاف الظاهر والصحيح عند أهل البيت (ع) الرأي الأول (وقال) سليمان (يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير) وان الطير كانت تكلّم سليمان معجزة له كما أخبر عن الهدهد (وأوتينا من كل شيء) أي من كل ما يؤتى الأنبياء والملوك ، أو من كل شيء علماً وتسخيراً .

وروى الواحدي بالإسناد عن محمّد بن جعفر بن محمّد عن ابيه (ع) قال : أُعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع ، وأُعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء ، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي سمع بها الناس . (إن هذا لهو الفضل المبين) اي هذا فضل الله الظاهر الذي لا يخفى على أحد . (وحُشر لسليمان جنوده) أي جُمع له ، وكل صنف من الخلق جند على حده ، (فهم يوزعون) أي يمنع أولهم آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرقوا ، (حتى إذا أتوا على واد النمل) وهو بالطائف ، وقيل:هو بالشام (قالت نملة . . .) وكان منها ذلك القول على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان (ع) ، قال ابن عباس:فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه (فتبّسم) سليمان (ضاحكاً من قولها) وذلك تعجباً منه ، أو تبسم لحذر النمل ودقة ملاحظتها في الخوف من أن يحطمهم سليمان وجنوده (وقال ربّ أوزعني)ألهمني (أن اشكر نعمتك . . .) حيث علّمتني منطق النمل وأسمعتني قولها وأكرمتني بالملك والنبوة ، كما انعمت على والدي بأن اكرمته بالنبوة وفصل

الخطاب وألنت له الحديد ، وعلى والدتي بأن زوجتها نبيك (وأن اعمل صالحاً ترضاه) أي وفقني لأن اعمل ما ترضاه من الصالحات (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي ثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم . .

قوله تعالى :

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

أخبر سبحانه عن سليمان فقال (وتفقد الطير . . .) أي ما للهدهد لا أراه واختلف في سبب تفقد الهدهد فقيل:انه احتاج اليه في سفره ليدله على الماء لأنه يقال أنه يرى الماء في بطن الأرض كما يراه في القارورة ، وقيل:كانت الطيور تظل سليمان من الشمس فلما أخل الهدهد بمكانه عرف غيابه (أم كان من الغائبين)

معناه أتأخر عصياناً أم غاب لعذر وحاجة ، (لأُعذبنه عذاباً شديداً) معناه لأُعذبنه بنتف ريشه وإلقائه في الشمس ، وقيل:بأن اجعله بين أضداده (أو ليأتيني بسلطانٍ مبين) أي بحجّةٍ واضحةٍ عذراً عن غيبته (فمكث غير بعيد) أي فلم يلبث سليمان إلا زماناً يسيراً حتى جاء الهدهد (فقال أحطت بما لم تحط به) أي اطّلعت على ما لم تطّلع عليه (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) أي بخبر صادق، وسبأ:مدينة بأرض اليمن . (إني وجدت امرأة تملكهم) وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ (ولها عرش عظيم) أي سرير ، وقيل:المراد بالعرش الملك (وجدتها وقومها يسجدون للشمس . . .) أي عبادتهم للشمس من دون الله (فصدّهم عن السبيل) أي صرفهم عن سبيل الحق (ألّا يسجدوا لله) بتقدير الا يا قوم اسجدوا لله (الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض) الخبأ المخبوء أو الغيب وهو كل ما غاب عن الإدراك ، فالمعنى يعلم غيب السموات والأرض .

قوله تعالى :

قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

لمّا سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد في غيابه (قال سننظر أصدقت) في قولك أم كنت كاذباً ، ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد (إذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) الى اهل سبأ (ثم تولّ عنهم) أي استتر عنهم فانظر ماذا يردون من جواب فلما رأته بلقيس (قالت يا أيها الملأ) أي الأشراف (إني

أُلقي إليّ كتاب كريم) لأن صدره بسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل:لأنه كان ممّن يملك الأنس والجن والطير وقد كانت سمعت بخبر سليمان فسمّت كتابه كريماً لأنه من كريم رفيع المقام ، وان الكتاب من سليمان وأن المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، (وأتوني مسلمين) أي منقادين طائعين مؤمنين بالله تعالىٰ ورسوله .

قوله تعالىٰ :

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)

(أفتوني) أي اشيروا عليّ بالصواب ولن أُمضي أمراً أو أُقرر رأياً (حتىٰ تشهدون) أي تحضرون (قالوا نحن أُولوا قوة) أصحاب قوة وقدرة (وأُولوا بأس شديد) شجاعة شديدة والأمر بعد ذلك مفوض اليك في القتال وتركه فان أمرت

بالصلح صالحنا أو بالقتال قاتلنا (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها) أي إذا دخلوها عنوة وبالحرب أفسدوها وخربوها وأهلكوا أهلها وأهانوا أشرافها ، وبذلك حذرتهم مغبّة الحرب ، فصدقها الله فيما قالت وأشارت فقال سبحانه (وكذلك يفعلون) (وإني مرسلة اليهم) الى سليمان وقومه (بهدية) وانتظر رجوع الرسل أيقبل الهدية أم يردّها ؟ وكان غرضها أن تعرف انه ملك أو نبي فان قبل الهدية تبين انه ملك لتعامله بما يناسبه ، وان ردها تبيّن أنه نبي ، واختلف في الهدية قيل اهدت له صفائح الذهب في أوعية من الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الأجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق لما جاؤوا رأوه ملقىً في الطريق في كل مكان فلما رأوا ذلك صغر في أعينهم ما جاؤوا به ، وقيل غير ذلك في وصف الهدية وما فيها من عجائب ونفائس وامتحانات لصدق نبوة سليمان (ع) . (فلما جاء سليمان) أي فلما جاء الرسول الى سليمان (قال) سليمان (اتمدونن بمال) أي تزيدونني مالاً وهذا استفهام انكار لأنه لا يحتاج الى المال (فما آتاني الله خير مما آتاكم) أي ما أعطاني من الملك والنبوة والحكمة خير مما أعطاكم من الدنيا وأموالها (بل انتم بهديّتكم تفرحون) اذا اهدى بعضكم الى بعض ، وأما أنا فلا أفرح بثروات الدنيا وأموالها ، ثم قال سليمان (ع) للرسول (ارجع اليهم) بما جئت من الهدايا (فلنأتينّهم بجنود لا قِبَل لهم بها) أي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها (ولنخرجنّهم منها اذلةً) أي من تلك المملكة وأرض ملكها (وهم صاغرون) أي ذليلون صغيروا القدر إن لم يأتون مسلمين، فلما ردّ سليمان الهدية عرفوا أنه نبي مرسل وأنه ليس كالملوك الذين يغترون بالمال .

قوله تعالى :

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ

عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه
لقوي أمين ﴿٣٩﴾ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به
قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا
من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما
يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴿٤٠﴾ قال نكروا لها
عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ﴿٤١﴾ فلما
جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين ﴿٤٢﴾ وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت
من قوم كافرين ﴿٤٣﴾ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت
رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴿٤٤﴾

فلما رجع إليها الرسول وعرفت أنه نبي وأنها لا تقاومه فتجهزت للمسير اليه مسالمة واخبر جبرائيل سليمان عليه السلام أنها خرجت من اليمن مقبلة اليه (قال) سليمان لأماثل جنده واشراف عسكره (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) واختلف في السبب الذي خصّ به العرش بالطلب ، هل

كان سليمان يريد اختبار عقل بلقيس وفطنتها ، أم ليكون ذلك دليلاً ومعجزةً على صدق نبوته ، وقوله مسلمين بمعنى مؤمنين موحدين أو بمعنى مستسلمين (قال عفريت من الجن) أي مارد قوي داهية (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أي من مجلسك هذا واني على حمله لقوي وعلى ما فيه من الجواهر والذهب لأمين وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة الى نصف النهار فقال سليمان أُريد اسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان وابن اُخته ، وكان صدّيقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به اجاب ، وقيل:هو الخضر (ع)،وقيل:هو جبرائيل اذن الله له في طاعة سليمان (ع) بأن يأتيه بالعرش الذي طلبه . والكتاب هو جنس الكتب المنزلة على انبيائه ، (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) ومعناه أن سليمان مدّ بصره الى أقصاه وهو يديم النظر فقبل أن ينقلب بصره اليه يكون قد أُتي بالعرش ، وقد طويت له الأرض أو حملته الملائكة فحضر العرش (فلما رآه مستقراً عنده) موضوعاً بين يديه (قال هذا من فضل ربي) ليختبرني هل اقوم بشكر هذه النعمة أم أكفر بها (ومَن شكر فإنما يشكر لنفسه) لأن فائدة شكره تعود عليه والله غني عن شكر عباده لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا معصية مَن عصاه (قال) سليمان (ع) (نكّروا لها عرشها) أي غيّروا في هيئته وأراد بذلك اختبار عقلها (ننظر أتهتدي أم . . .) أي أتهتدي الى معرفة عرشها بفطنتها أم لا تهتدي ، وقيل:أتهتدي أي اتستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوة سليمان وتهتدي بذلك الى طريق الايمان (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) فلم تثبته ولم تنكره ودل ذلك على كمال عقلها ، فقالت (وأوتينا العلم) بصحة نبوة سليمان (من قبلها) أي من قبل الآية التي ظهرت بنقل العرش (وكنا مسلمين) طائعين لأمر سليمان،وقيل:ان هذا من كلام سليمان (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أي منعها عبادة الشمس عن الإيمان بالله لأنها كانت من قوم يعبدون الشمس (قيل لها ادخلي الصرح)وهو الموضع المنبسط من غير سقف ،

وذكر أن سليمان لما اقبلت صاحبة سبأ أمر ببناء صرح من قوارير أُجري تحته الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل: انه قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً (فلما رأته حسبته لُجّة) أي لما رأت بلقيس الصرح حسبته ماءً عظيماً وكشفت عن ساقيها لدخول الماء (قال) لها سليمان (انه صرح ممرد) أي أملس (من قوارير) وليس بماء ، ولما رأت سرير سليمان والصرح وتلك الآيات العجيبة الدالة على عظمة الله سبحانه (قالت ربّ إني ظلمت نفسي) بالكفر السابق (وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين) وقيل انها لما جلست دعاها سليمان الى الإسلام وقد رأت الايات والمعجزات فأجابته واسلمت ، واختلف في أمرها بعد ذلك، فقيل: انه تزوجها سليمان وأقرها على ملكها ، وقيل: انه زوّجها من ملك يقال له تبع وردّها الى ارضها ، قال عون بن عبدالله جاء رجل الى عبدالله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان ؟ قال: عهدي بها أن قالت وأسلمت مع سليمان . . . يعني أنه لا يعلم ذلك وأن آخر ما سمع من حديثها هذا القول .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) في النسب (صالحاً أن اعبدوا الله) وحده ولا تشركوا به شيئاً (فاذا هم فريقان يختصمون) مؤمنون وكافرون كل فريق يقول الحق معي (قال) صالح للفريق الكافر (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أي لم قلتم إن كان ما أتيتنا به حقاً فأتنا بعذاب اليم (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) تطلبون مغفرته من الشرك وتؤمنون بالله (قالوا أطيرنا بك وبمن معك) أي تشاءمنا بك وبمن على دينك وذلك انهم أُبتلوا بقلة المطر وأصابتهم مجاعة فقالوا أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك (قال) لهم صالح (طائركم عندالله) أي شؤمكم أتاكم من عند الله بكفركم (بل انتم قوم تفتنون) أي تختبرون بالخير والشر أو تعذبون بسوء أعمالكم (وكان في المدينة) التي بها صالح وهي الحجر (تسعة رهط يفسدون في الأرض) كان أُولئك التسعة من اشرافهم وهم الذين سعوا في عقر الناقة (قالوا تقاسموا بالله) أي حلف أُولئك النفر المفسدون حلفوا بالله (لنبيّتنه) أي لنقتلنّ صالحاً وأهله (ثم لنقولنّ لوليّه) أي لنقولنّ بعد قتلهم لأرحام صالح وأوليائه اذا سألونا عنه (ما شهدنا مهلك أهله) أي ما قتلناه وما ندري من قتله وأهلكه ، وكان هذا مكر عزموا عليه (ومكروا مكراً

ومكرنا مكراً) أي جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون) فانهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر حتى قتلوهم وسلم صالح مِنْ مكرهم ، وقيل:نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا صالحاً فخر عليهم الجبل فقتلهم (إنا دمّرناهم وقومهم أجمعين) بصيحة جبرائيل (فتلك بيوتهم) انظرها تجدها خاوية خالية منهم (بما ظلموا) أي بسبب ظلمهم وشركهم بالله تعالى وان في اهلاكهم (لآية لقوم يعلمون) أي لعبرة لمَن نظر في امرهم واعتبر بمصيرهم ، قيل:ان بيوتهم بوادي القرى بين المدينة والشام (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) قالوا إنهم أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت لأن صالح لما دخلها مات .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء العشرون

من القران الكريم

قوله تعالى :

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

ذكر سبحانه قصة لوط وكان إرساله لقومه يدعوهم الى الإيمان والكف عن الفاحشة ، والفاحشة هي الخصلة القبيحة الشنيعة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون انها فاحشة ، أووأنتم يرى بعضكم بعضاً حين إتيانكم الفاحشة (بل أنتم قوم تجهلون) أي تفعلون افعال الجهال ، أو تجهلون القيامة وعاقبة العصيان (فما كان جواب قومه . . انهم أناسٌ يتطهرون) ويتنزهون عن اتيان الرجال في إدبارهم (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها) أي جعلناها من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطراً) وهو الحجارة (فساء مطر المنذرين) الذين أبلغهم لوط النذارة وأعلمهم بموضع المخافة ليتقوها فخالفوا ذلك .

ثم قال سبحانه لنبيه محمّد (ص) (قل) يا محمّد (الحمد لله) بأن وفقنا

للإيمان أو الحمد لله على هلاك الأمم الكافرة (وسلام) على مَن اصطفاهم الله واختارهم على بريّته وهم الأنبياء،وقيل:هم أمة محمّد (ص) وقيل:هم آل محمّد (ع) . ثم يقول سبحانه مخاطباً للمشركين (الله خير أما يشركون) يا أهل مكة يعني الله خير لمَن عبده أم الأصنام لعابديها ، والمعنى ان الله تعالى نجى من عبده من الهلاك،والأصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب .

قوله تعالى :

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ
الرِّيٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ تَعٰلَى اللهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

عدد سبحانه الدلائل على توحيده ونعمه الشاملة لعباده (أمّن خلق السماوات والأرض . . .) تقديره أمّا تشركون خير أم من خلق السمواتِ والأرض وانشأهما واخترعهما . . . وأنزل غيثاً ومطراً لمنافعكم ومعاشكم (فأنبتنا به حدائق) رياضاً وبساتين ذات منظر حسن يبتهج به مَن يراه (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي لا تقدرون على انبات شجرها (إِلٰهٌ مع الله) استفهام انكار معناه هل معه معبود سواه أعانه على صنعه (بل هم قومٌ يعدلون) أي يشركون بالله غيره (أمّن جعل الأرض قراراً) أي مستقرة لا تميد بأهلها (وجعل لها رواسي) أي جبالاً أثبت بها الأرض (وجعل بين البحرين حاجزاً) مانعاً من قدرته بين العذب والملح (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه) يجيب المكروب المجهود فيكشف ضره وهذا لا يكون إلا من قادر (ويجعلكم خلفاء الأرض) يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله ، وقيل يجعلكم خلفاء على الكفار ينزلكم بلادهم وطاعة الله بعد شركهم (أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أمّا تشركون خيرٌ أم مَن يرشدكم في البر والبحر بما نصب من الدلالات من الكواكب والقمر (ومَن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) مضى تفسيره في سورة الأعراف (٥٧) (أمّن يبدأ الخلق) ويوجده وينشئه على غير مثال واحتذاء ثم يميته (ثم يعيده) بعد الموت ، (ومَن يرزقكم من السماء والأرض) بانزال المطر واخراج النبات والثمار (قل) لهم يا محمّد (هاتوا برهانكم) ودليلكم (إن كنتم صادقين) أن لي شريكاً صنع شيئاً من هذه الأشياء (وما يشعرون أيان يبعثون) أي متى يحشرون يوم القيامة .

قوله تعالى :

بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون
﴿٦٦﴾ وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴿٦٧﴾ لقد
وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴿٦٨﴾
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
﴿٦٩﴾ ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴿٧٠﴾ ويقولون متى
هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿٧١﴾ قل عسى أن يكون ردف لكم
بعض الذي تستعجلون ﴿٧٢﴾ وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن
أكثرهم لا يشكرون ﴿٧٣﴾ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون ﴿٧٤﴾ وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب
مبين ﴿٧٥﴾

(بل ادّارك علمهم في الآخرة) أي تتابع منهم العلم في الآخرة أو سيدرك ويبلغ علمهم في الآخرة ويتيقنون وجودها ولكن في وقت لا ينفعهم يقينهم (بل هم في شك منها) في الدنيا (وقال الذين كفروا) بانكارهم البعث (أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون) من القبور مبعوثون فهم يستنكرون ذلك ويستبعدونه

ويعتبرون ذلك من المواعيد التي تكررت لآبائهم ولهم ولم تتحقق (إن هذا إلا اساطير الأولين) أي احاديثهم واكاذيبهم التي سطروها وكتبوها (قل) يا محمد (سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) الذين كفروا بالله وعصوه كيف أهلكهم الله وخرب ديارهم (ولا تحزن عليهم) أي على تكذيبهم وتركهم الايمان (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) أي يدبرون في أمرك فإن الله تعالى يحفظك وينصرك عليهم . (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا يا محمد من العذاب . (قل عسى أن يكون ردف لكم) أي قرب لكم ما تستعجلونه من العذاب وهو ما وقع لهم يوم بدر من الأسر وسائر العذاب ، وقيل:هو الانذار عند الموت وشدته وعذاب القبر (وما من غائبة) أي من خصلة غائبة مما خفي على الخلق إلا وهو مبين في اللوح المحفوظ ، وقيل:ان جميع أفعالهم محفوظة عنده سبحانه غير منسية .

قوله تعالى :

إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ
الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ
بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴿٨٢﴾ ويوم
نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴿٨٣﴾
حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم
تعملون ﴿٨٤﴾ ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴿٨٥﴾

ذكر سبحانه من الحجج ما يقوي به قلب نبيه (ص) والمؤمنين (إن هذا القرآن يقصّ على بني اسرائيل) ويخبرهم بالصدق من حديث مريم وعيسى ، والنبي المبشّر به بالتوراة، وكان ذلك معجزة لنبينا محمّد (ص) إذ كان لا يدرس كتبهم ولا يقرؤها وأخبرهم بما فيها (وانه لهدى) أي القرآن ودليل حق (إن ربك يقضي بينهم بحكمه) أي بين المختلفين في الدين يفصل ويقضي بينهم يوم القيامة فيوصل الى كل ذي حق حقه (فتوكل على الله) يا محمّد ويشمل سائر المؤمنين (إنك لا تُسمع الموتى) أي كما لا تسمع الموتى لا تسمع الكفار وشبّه الكفار بالموتى لأنهم لا يسمعون ولا يقبلون الموعظة (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين) فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميّت في أنه لا يقبل الهدى وكالأصم بأنه لا يسمع الدعاء ، (وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم) اذا أعرضوا وتباعدوا (إن تُسمع إلا مَن يؤمن بآياتنا) أي ما يسمع إلا مَن يطلب الحق بالنظر بآياتنا (فهم مسلمون) مستسلمون منقادون أو موحدون مخلصون (وإذا وقع القول عليهم) أي إذا وجب العذاب والوعيد عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرض) وهو علم من أعلام الساعة ، وروى محمّد بن كعب القرظي قال: سُئل عليّ صلوات الرحمن عليه عن الدابة ؟ فقال أما والله ما لها ذنَب وإن لها للحية . وفي هذا اشارة الى أنها من الإنس . وروي عن علي (ع) أنه قال : انه صاحب

العصا والميسم .وروى علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان آية في كتاب الله أفسدتْ قلبي ، قال عمار وأيّة آية هي ؟ فقال:هذه الآية فأيّة دابة الأرض هذه ؟ قال عمار:والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها فجاء عمار مع الرجل الى أمير المؤمنين (ع) وهو يأكل تمراً وزبداً فقال:يا أبا اليقظان هلمّ،فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل:سبحان الله حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينها،قال عمار:أريتكها إن كنت تعقل .

وروى العياشي هذه القصة بعينها عن أبي ذر رحمه الله . (تكلّمهم) أي تكلّمهم بما يسوؤهم وهو انهم يصيرون الى النار بلسان يفهمونه (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي بكلامها وخروجها (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممّن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة مَن ذهب الى ذلك من الإمامية بأن قال:ان دخول مَن في الكلام يوجب التبعيض فدل ذلك على أن اليوم المشار اليه في هذه الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ، وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمّد عليهم السلام في أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممّن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجون بظهور دولته ، ويعيد سبحانه قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب . ولا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل . ومَن قال : ان قوله تعالى « ويوم نحشر من كل أمة فوجاً » المراد به يوم القيامة قال:المراد بالفوج الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر حُشروا وجمعوا لإقامة الحجّة عليهم (حتى إذا جاؤا) الى موقف الحساب (قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتي) أنبيائي ودلالاتي على ديني (ولم تحيطوا بها علماً) أي لم تطلبوا معرفتها ولم تبيّنوا ما أوجب الله عليكم فيها (أمّاذا كنتم تعملون) حين لم تبحثوا عنها ولماذا تركتم

الواجب عليكم ولم تعرفوها حق معرفتها فبماذا تشاغلتم (ووقع القول عليهم) أي وجب العذاب عليهم بسبب ظلمهم (فهم لا ينطقون) لعظم ما يشاهدونه وتعقد ألسنتهم الدهشة .

قوله تعالى :

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ
الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

بيّن سبحانه قدرته على الإعادة والبعث بما احتجّ به على الكفار وان في تصريف الليل والنهار وتغيّر احوالهما دلالات وبراهين (لقوم يؤمنون) لأنهم هم الذين ينتفعون من تلك الأدلة والبراهين (ويوم ينفخ في الصور) أي واذكر يوم ينفخ اسرافيل بأمر الله تعالى في الصور ، والصور هو الخلق جمع صورة ويكون معناه يوم ينفع الروح في الصور فيبعثون . وقيل الصور هو قرن ينفخ فيه شبه البوق (ففزع مَن في . . .) أي ماتوا لشدة الخوف والفزع (إلا مَن شاء الله) من الملائكة أو الشهداء فانهم لا يفزعون في ذلك اليوم (وكل أتوه داخرين) أي أذلاء صاغرين (وترى الجبال تحسبها جامدةً) أي واقفة مكانها (وهي) في الواقع (تمر مرّ السحاب) حيث تسير سيراً حثيثاً وانك لا ترى سيرها لبعد اطرافها (صنع الله الذي اتقن كل شيء) واحسن خلقه وصنعته (من جاء بالحسنة) أي بكلمة التوحيد والإخلاص ووافى يوم القيامة بالإيمان الخالص (فله خيرٌ منها) أي فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة ، وليس بمعنى الأفضل منها (وهم من فزع يومئذٍ آمنون) قال الكلبي إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعةً لم يفزعوا مثلها ، واهل الجنة آمنون من ذلك الفزع (ومَن جاء بالسيئة) أي بالكفر والشرك ألقوا في النار منكوسين ويقال لهم هذا جزاء فعلكم ولم تظلموا . وروي في حديث طويل يرويه زيد بن علي (ع) عن جدّه امير المؤمنين (ع) أنه قال : الحسنة حبّنا اهل البيت والسيئة بغضنا . وفي حديث رواه أبو زرعة بسنده عن جابر قال : قال رسول الله (ص) : يا علي لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالأوتاد وصلّوا حتى صاروا كالحنايا ثم أبغضوك لأكبّهم الله على مناخرهم في النار . (إنما أمرت أن اعبد ربّ هذه البلدة) يعني مكة وقيل هي منى (الذي حرّمها) أي جعلها حرماً امناً يحرم فيها ما يحل في غيرها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقتصّ فيها (وله كل شيء) أي مالك كل شيء فيحل ما شاء ويحرم ما شاء (وأمرت أن أكون من المسلمين) المخلصين لله بالتوحيد (وأن اتلو القرآن) عليكم يا أهل مكة وأدعوكم الى ما فيه

(فمَن اهتدىٰ. . .)لأن ثواب ذلك وجزاءه يصل إليه ويعود عليه (ومَن ضل) وحاد ولم يهتدِ الى الحق (فقل انما أنا من المنذرين) الذين يدعون الناس الىٰ طاعته ويحذرونهم معصيته وعقابه (وقل الحمد لله) الذي اختارني لرسالته (سيريكم آياته فتعرفونها) يوم القيامة ، وقيل:هي العذاب في الدنيا من القتل في بدرٍ والنار في الآخرة .

تمت ولله الحمد سورة النمل وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة القصص

مكية وعدد آياتها ثمان وثمانون آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾ نتلوا عليك من نبإ موسى
وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴿٣﴾ إن فرعون علا في الأرض وجعل
أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي
نساءهم إنه كان من المفسدين ﴿٤﴾ ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴿٥﴾
ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
ما كانوا يحذرون ﴿٦﴾

(طسم تلك آيات . . .) مفسّرة تراجع أول سورة البقرة . (نتلو عليك) يا محمّد (من نبأ موسىٰ وفرعون) أي قسماً من أخبارهما بالصدق والحقيقة لا

ريب فيه (لقوم يؤمنون) بالله وبما أُنزل اليك ، (إن فرعون علا في الأرض) أي بغىٰ وتجبّر في ارض مصر وفرق أهلها وجعل بني اسرائيل اصنافاً في الخدمة والتسخير يقتل الأبناء ويستبقي النساء لأن بعض الكهنة قال له إن مولوداً في بني اسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك ، (إنه كان من المفسدين) بالقتل والمعاصي ، (ونريد أن نمنّ على الذين . . . ونجعلهم الوارثين) لديار فرعون وقومه وأموالهم . وروىٰ العياشي باسناده قال:نظر أبو جعفر (ع) الى أبي عبدالله (ع) فقال:هذا والله من الذين قال الله تعالىٰ (ونريد . . .) وقال زين العابدين علي بن الحسين (ع):والذي بعث محمّداً بالحق بشيراً ونذيراً إن الأبرار منّا اهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسىٰ وشيعته ، وإن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه (ونمكّن لهم في الأرض) أي نمكّن لبني اسرائيل في ارض مصر (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم) أي من بني اسرائيل (ما كانوا يحذرون) ويتوقعون من ذهاب الملك على يد رجل من بني اسرائيل .

قوله تعالىٰ :

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ
لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

بيّن سبحانه كيف دبّر هلاك فرعون وقومه (وأوحينا الى أم موسى) أي ألهمناها وقذفنا في قلبها ، وقيل:كان هذ الوحي رؤيا منام (فإذا خفت عليه)من القتل (فألقيه في اليم) أي في البحر وهو النيل . قال وهب بن منبه لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطّلع على حملها احد من خلق الله وذلك شيءٌ ستره الله تعالى لما أراد أن يمنّ به على بني اسرائيل . . . فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطّلع عليها احد إلا أخته مريم . . . . فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهدت له فيه ثم ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) أي ليكون في عاقبة امره كذلك ، وجاء النيل بالتابوت الى موضع فيه فرعون وامرأته على شاطىء النيل فأمر فرعون فأتي به وفتحت آسية بنت مزاحم بابه فلما نظرت اليه ألقى الله في قلبها محبّة موسى وكانت آسية بنت مزاحم امرأة من بني اسرائيل استنكحها فرعون وهي من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أماً للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم (وقالت امرأة فرعون قرت. . .) وانما قالت ذلك لأنه لم يكن له ولد فأطمعته في الولد (وهم لا يشعرون) أي لا يشعرون أن هلاكهم على يديه ، أو لا يشعرون أن هذا هو الذي يطلبونه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) أي فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى ، أو فارغاً من الحزن لعلمها أن ابنها ناج كما وعدها الله تعالى (إن كادت لتبدي به) أي تبدي بذكر موسى من شدة الغم والحزن ، أوهمّت بأن تقول انها أمه لما رأته عند دعاء فرعون إياها لارضاعه وذلك لشدة سرورها (لولا أن

ربطنا علىٰ قلبها) بالصبر واليقين لأظهرته (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعدنا .

قوله تعالىٰ :

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ
بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ
تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ
فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ
عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

ذكر سبحانه لطف صنعه في تسخيره لفرعون حتىٰ تولىٰ تربية موسىٰ (ع) (قصّيه) اتبعي اثره (فبصرت به عن جُنب) أي عن مكان جنب (وهم لا يشعرون) أي وآل فرعون لا يشعرون أنها أُختـه ، وكان موسىٰ لا يقبل

ثدي واحدة من المراضع ولشدة حب فرعون وزوجته لموسى صاروا يطلبون له المراضع فحينها كانت فرصة لأخت موسى أن تقول لهم (هل أدلكم على اهل بيت) يقبلون هذا الولد ويضمنون لكم القيام بأمره (فرددناه الى أمه كي تقر عينها . . .) برجوع ولدها اليها وبتحقيق ما وعدها الله به (ولما بلغ أشده واستوى) أي بلغ اربعين سنة (آتيناه حكماً وعلماً) أي فقهاً وعلماً ، وقيل نبوة (ودخل المدينة على حين غفلة . .) قيل:نصف النهار أو ما بين المغرب والعشاء ، وقيل:كان يوم عيد لهم ، لأن موسى لما أعلن أنه يخالف فرعون في العقيدة واشتهر ذلك منه فكان لا يدخل مصر إلا خائفاً فدخلها على حين غفلة (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يختصمان في الدين ، أحدهما اسرائيلي من قوم موسى والآخر قبطي أو كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً ، فاستنصره المسلم على الكافر (فوكزه موسى) أي دفع موسى الكافر في صدره أو ضربه بعصاه فقتله (قال هذا من عمل الشيطان) أي بسبب الشيطان حيث هيّج غضبي فضربته ، وذكر المرتضى قدس سره فيه وجهين أحدهما : أنه أراد تزيين قتلي له وتركي لما ندبت اليه كان ذلك من عمل الشيطان ، والآخر : أنه يريد أن عمل المقتول من عمل الشيطان وأنه مستحق للقتل ، وأن الشيطان عدو لبني آدم (مبين) أي ظاهر العداوة والإضلال .

قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ

يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن
يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا
قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ
أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

حكىٰ سبحانه أن موسى حين قتل القبطي ندم علىٰ ذلك وقال (ربّ إني ظلمت نفسي) لأنهم لو علموا بذلك قتلوني (ربّ بما أنعمت عليّ) من المغفرة وصرف بلاء الأعداء عنّي فلك عليّ عهداً أن لا أكون مظاهراً ومعيناً للمشركين، وفي هذا دليل على أن مظاهرة المجرمين جرم ومعصية ومظاهرة المؤمنين طاعة، وموسىٰ (ع) انما ظاهر وأعان مَن كان ظاهره الايمان وخالف مَن كان ظاهره الكفر ، فأصبح موسىٰ خائفاً من القبطي (يترقّب) أي ينتظر الأخبار في قتل القبطي (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) أي أن الاسرائيلي الذي كان قد خلّصه موسىٰ بالأمس وقتل القبطي من اجله يستصرخ موسىٰ ويستعين به علىٰ رجل آخر من القبط (قال له موسىٰ إنك لغوي مبين) أي ظاهر الغواية حيث قاتلت بالأمس رجلاً وتقاتل اليوم الآخر ولم يرد الغواية في الدين ، والمراد بالغواية أن مَن خاصم آل فرعون مع كثرتهم فإنه غوي أي خائب حائد عن الصواب ، ولما أخذت الرقة موسىٰ (ع) علىٰ الإسرائيلي وأراد أن يدفع القبطي الذي هو عدو لموسىٰ وللإسرائيلي ، فظنّ الاسرائيلي أن موسىٰ قصده فقال (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) وقيل:هذا قول القبطي لأنه قد اشتهر أمر القتل بالأمس وإن القاتل

بعض بني اسرائيل وانك يا موسىٰ تريد أن تكون عالياً في الأرض بالقتل والظلم ولما علم القبطي أن القاتل بالأمس. هو موسىٰ فانطلق الىٰ فرعون وأخبره فأمر فرعون بقتل موسىٰ وبعث في طلبه (وجاء رجل من اقصى المدينة) أي من آخرها واختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم الىٰ موسىٰ فاخبره وأنذره وكان الرجل مؤمن آل فرعون (قال يا موسىٰ إن الملأ) أي الأشراف والوجهاء من آل فرعون يتشاورون في أمرك ويكيدون لك (ليقتلوك فاخرج) من ارض مصر .

قوله تعالىٰ :

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا
تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا
وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ
دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ
يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ
فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)

بيّن سبحانه خروج موسىٰ من مصر الىٰ مدين . قال ابن عباس: خرج موسىٰ متوجهاً نحو مدين وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه . فاستجاب له ربه

دعاءه ودلّه علىٰ الطريق المستقيم الىٰ مدين . . . (ولمّا ورد ماء مدين) بئر كانت لهم وجد عليه جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) أي تمنعان غنمهما من الورود الىٰ الماء فقال لهما موسىٰ (ما خطبكما) أي ما شأنكما لماذا لا تسقيان مع الناس (قالتا لا نسقي) عند المزاحمة حتىٰ ينصرف الناس فنسقي مواشينا من فضول الحوض (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقي بنفسه من الكبر فسقىٰ موسىٰ غنمهما (ثم تولى الى الظل) أي انصرف وجلس تحت ظل شجرة وهو جائع (فقال ربّ إني لما انزلت اليَّ من خير فقير) فرجعتا الىٰ أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان بمثلها وسألهما فأخبرتاه الخبر،فقال لإحدهما عليَّ به فرجعت الكبرىٰ مستحيية منه (قالت إن أبي يدعوك . . .) ليكافئك على سقيك لغنمنا . قال اكثر المفسرين إن أباها شعيب (ع) وقيل:هو يثرون ابن اخي شعيب ، ولما قالت (ليجزيك اجر ما سقيت لنا) كره ذلك موسىٰ وأراد أن لا يتبعها إلا أنه لم يجد بدأ من أن يتبعها لأنه كان في ارض فيها سباع وخوف ، فلما دخل علىٰ شعيب إذا هو بالعشاء مهيئاً فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعشّ ، فقال موسىٰ اعوذ بالله ، قال شعيب:ولم ذاك ألست بجائع؟قال:بلىٰ ولكن اخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وأنا من اهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملك الأرض ذهباً ، فقال له شعيب:لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام،قال:فجعل موسىٰ يأكل ، ثم إن موسىٰ قصّ علىٰ شعيب امره من قتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه ، فطمنه شعيب وقال له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) من فرعون وقومه فلا سلطة له بأرضنا ولسنا في مملكته . .

قوله تعالىٰ :

قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ

حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي
إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى
الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا
إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ
الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾

(قالت إحداهما) وهي الكبرى التي تزوج بها موسى (يا أبت استأجره) أي اتخذه أجيراً ، فهو قوي على العمل ، أمين على العرض . قال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوته ؟ قالت:أما قوته فلأنه رفع الحجر الذي كان على البئر الذي لا يرفعه إلا كذا من الرجال ، وأما أمانته فإنه قال لي امشي خلفي فانا اكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي عجزك،أو الأمين في غض طرفه عنهما حين سقى لهما(قال اني أريد أن أنكحك)أي أزوجك واحدةمن ابنتي على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين (فإن اتممت عشراً فمن عندك) أي ذلك تفضل منك ليس بواجب فزوجه ابنته بمهر واستأجره للرعي ولم يجعل ذلك العمل مهراً وانما شرط ذلك عليه (وما أريد أن اشق عليك) في هذه الثمانية سنين وأكلفك خدمةً سوى رعي الغنم (ستجدني انشاء الله من الصالحين) في حسن الصحبة والوفاء بالعهد . (قال) موسى (ذلك بيني وبينك) أي ذلك الذي شرطت

عليّ (أيما الأجلين) الثماني والعشر اتممت وفرغت منه فلا ظلم عليّ بأن اكلف اكثر منها ، (فلما قضى موسى الأجل) تسلّم زوجته ثم توجه نحو الشام ، وذكر عن عصى موسى أن آدم خرج بها من الجنة فأخذها جبرائيل بعد موت آدم (ع) وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً فدفعها اليه ، وقيل لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت الى شعيب فأعطاها الى موسى (وسار بأهله) قيل انه مكث بعد انقضاء الأجل عند صهره عشراً أخرى ثم استأذنه في العود الى مصر ليزور والديه وأخاه فأذن له فسار بأهله اي بامرأته ، وبما حصله من الأغنام أجرة رعيه وكانت امرأته في شهر ولادتها فسار في البرية غير عارف بالطريق فألجأه المسير الى جانب الطور الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق وتفرقت ماشيته فأصابه المطر فبقي لا يدري اين يتوجه فبينما هو كذلك آنس من جانب الطور ناراً (قال لأهله أمكثوا إني آنست ناراً) وقد مر تفسيره في سورة طه (١٠) (لعلّي آتيكم منها بخبر) عن الطريق (أو جذوة من النار) أي قطعة او أصل شجرة فيها نار تستدفئون بها (فلما أتاها نودي . . .) اي نودي موسى من الجانب الأيمن للوادي (في البقعة المباركة) وهي البقعة التي قال الله تعالى فيها يموسى اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى ، وانما كانت مباركة لأنها معدن الوحي والرسالة (من الشجرة) انما سمع موسى النداء من الشجرة لأن الله تعالى فعل الكلام فيها ، وعلم موسى بالمعجزة وان ذلك كلامه تعالى .

قوله تعالى :

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ

بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ
هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا
فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

(وأن ألقِ عصاك) فألقاها من يده فانقلبت بإذن الله تعالى ثعباناً عظيماً تهتز كأنها جان في سرعة حركتها (ولّى مدبراً ولم يعقب) أي لم يرجع الى مكانه فنودي بالرجوع (يا موسىٰ أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) وفي انقلاب العصا حيّة دلالة ومعجزة (أسلك يدك في جيبك) أي ادخلها فيه (تخرج بيضاء من غير سوء) من غير برص ، وضم يدك إلىٰ صدرك من الخوف فلا خوف عليك عند معاينة الحية ، وقيل:معناه إذا هالك امر يدك وما تبصره من شعاعها فاضممها اليك لتسكن (فذانك برهانان من ربك) معناه فاليد والعصا حجّتان من ربك علىٰ نبوتك الىٰ فرعون وملئه (انهم كانوا قوماً فاسقين) أي خارجين من طاعة الله الى اعظم المعاصي وهو الكفر (وأخي هارون هو أفصح منّي لساناً) انما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه وقد مر فيما مضى ذكر سببها وقد كان الله تعالىٰ أزال اكثرها أو جميعها بدعائه . (فأرسله معي ردءاً) أي مصدقاً لكي يصدقني فرعون . (قال سنشد عضدك بأخيك) والمعنىٰ سنجعله رسولاً معك وننصرك به (ونجعل لكما سلطاناً) أي حجّة وبرهاناً فلا يصل فرعون وقومه الىٰ الإضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات وما يجري علىٰ ايديكما من المعجزات ، وروي عن أبي

جعفر (ع) في حديث طويل . . . قال فلما رجع موسى (ع) الى امرأته قالت من
أين جئت؟ قال: من عند ربّ تلك النار ، قال: فغدا الى فرعون فوالله لكأني انظر اليه
طويل الباع ذو شعر أدم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مزبوط حقوه بشريط ،
نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون إن على الباب فتى يزعم انه رسول
ربّ العالمين . . .

قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا
سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ
بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي
فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ
مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ
وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ
﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ

﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

(فلما جاءهم موسى بآياتنا) أي بحججنا ومعجزاتنا الظاهرات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي مفتعل جهلاً منهم في التمييز بين السحر والمعجزة (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) أي لم نسمع ما يدعيه وما يدعو اليه في آبائنا الذين كانوا قبلنا ، حينها قال موسى (ع) ربي يعلم إني جئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عند الله وهو شاهد لي اذا كذبتموني (وقال فرعون) منكراً لما أتى به موسى من آيات الله لما عجز عن جواب موسى ومحاججته مخاطباً للأشراف والوجهاء من قومه (ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين) واتخذ الأجر لبناء قصره (فاجعل لي صرحاً) أي قصراً وبناءً عالياً (لعلّي اطّلع الى إله موسى) أي اصعد اليه ، وهذا إيهام من فرعون وتضليل لقومه عن دعوة موسى (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق) اي أنفوا وتعالوا عن قبول الحق في اتباع موسى وانكروا البعث وشكوا فيه (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي أهلكناهم في البحر بالغرق (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) أي تفكر وتدبر وانظر بعين قلبك كيف اخرجناهم من ديارهم واغرقناهم (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) أي انهم يدعون الى الأفعال التي يستحق بها دخول النار من الكفر والمعاصي (واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) وهي البعد عن الرحمة والخيرات أو بأن امرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم (ويوم القيامة من المقبوحين) أي من المهلكين أو المشوهين في الخلقة بسواد الوجوه ، أو المفضوحين بين الخلائق .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ

إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا
أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ
وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا
أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ
قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا
بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾
فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ
اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

ذكر سبحانه من أخبار موسى (ع) ما فيه دلالة على معجزة نبينا محمد (ص)

وكيف ان الله اهلك القرون الأولى التي كفرت وكذبت مثل قوم نوح وعاد وثمود وان في ذلك (بصائر للناس) وعبر وادلة يستدل بها المسلمون ، وجاءت الرواية بالإسناد عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال : ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمةً ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير اهل القرية التي مسخوا قردة . . . (وما كنت بجانب الغربي) أي وما كنت يا محمّد بجانب الوادي الغربي من الجبل الذي كلم الله فيه موسى (إذ قضينا الى موسى الأمر) أي عهدنا اليه أمر الرسالة والذهاب الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) الحاضرين لذلك الأمر فتخبر قومك ولكنا أخبرناك به ليكون معجزة لك (ولكنا انشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر) أي خلقنا قرناً بعد قرن فطال عهدهم بمن هلك قبلهم فحملهم ذلك على الإغترار وانكروا بعثة الله رسله ، فأرسلناك للناس رسولاً وجعلناك رحمة للناس (وما كنت ثاوياً في اهل مدين تتلوا . . .) أي وما كنت مقيماً في قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا ، ولم تشهد اهل مدين فتقص على اهل مكة خبرهم (ولكنّا كنا مرسلين) أي ارسلناك الى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الأخبار فيدل ذلك على صحة نبوتك (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أي ولم تكن حاضراً بناحية الجبل الذي كلّمنا عليه موسى وناديناه يا موسى خذ الكتاب بقوة ، قيل:أراد الله بذلك المرة الثانية التي كلّم الله فيها موسى حين اختار من قومه سبعين رجلاً ليسمعوا كلام الله تعالى (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن الله تعالى عرّفك ذلك وأنعم به عليك معجزة لك ، لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك (لعلّهم يتذكرون) ويعتبروا ويقلعوا عن المعاصي (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا . . .) أي فيقولوا هلّا أرسلت الينا رسولاً يدعونا الى ما يجب الإيمان به،وقيل:ان جواب لولا هنا لعجّلنا لهم العقوبة . (فلما جاءهم الحق من عندنا) وهو محمّد (ص) والقرآن والإسلام (قالوا لولا أوتي) أي هلّا أعطي محمّد (ص) (مثل ما أُوتي موسى) من المعاجز كفلق البحر واليد البيضاء والعصا ،

وانما قال ذلك اليهود أو قالته قريش بتعليم اليهود ، فاحتجّ الله عليهم بقوله (أولم يكفروا بما أُوتي موسى من قبل) بل هم كفروا بآيات موسىٰ كما هم اليوم يكفرون بآيات محمّد (ص) (قالوا سحران تظاهرا) يعنون التوراة والقرآن،ومَن قرأ ساحران قال إنهم عنوا موسىٰ ومحمّداً (ص) (وقالوا إنا بكل كافرون) وذلك حين بعثوا الرهط منهم الىٰ رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن محمّد (ص) فأخبروهم بنعته وصفته في كتابهم التوراة فرجع الوفد المكي الى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عندالله هو أهدىٰ . . .) من التوراة والقرآن حتىٰ اتبعه ، ثم قال لنبيّه (فإن لم يستجيبوا لك) الى الإيمان مع وضوح الحق (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) أي ما تميل اليه طباعهم (ومَن أضل ممّن اتبع هواه . .) بغير رشاد ولا حجة (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) اذا اصروا علىٰ كفرهم وعنادهم للحق فلن يحملهم علىٰ الحق والهداية حملاً .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ
مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴿٥٥﴾

نزل قوله (الذين آتيناهم الكتاب . . .) في عبدالله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي فانهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات ، وقيل نزلت في أربعين رجلاً من أهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبي منتظرين له قبل مبعثه ، اثنان وثلاثون من الحبشة اقبلوا مع جعفر بن أبي طالب (ع) وقت قدومه ، وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرا وابرهة والأشرف وعامر وأيمن وادريس ونافع وتميم .

ثم بيّن سبحانه صفة القرآن (ولقد وصّلنا لهم القول) أي فصّلنا لهم القول وبيّناه واخبرناهم باخبار الأنبياء ليتذكروا فيعرفوا الحق ويتبعوه (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمّد (ص)(هم به) أي بمحمّد (يؤمنون) لأنهم وجدوا نعته في التوراة ، (وإذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنّا من قبله) أي من قبل نزوله (مسلمين) به وذلك لأنهم وجدوا نعته في التوراة والانجيل ، فهؤلاء لم يعاندوا وأسلموا وصدقوا فمدحهم الله بقوله (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) مرة بتمسكهم بدينهم حتى ادركوا محمّداً (ص) فآمنوا به ومرة بايمانهم به أو بما صبروا على أذى الكفار وتحمل المشاق (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي يدفعون بالحسن من الكلام الكلام القبيح الذي يسمعونه من الكفار . (وإذا سمعوا اللغو) أي السفه من الناس والقبيح من القول والهزء (أعرضوا عنه) ولم يقابلوه بمثله (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)أي لا نسأل عن أعمالكم ولا تُسألون عن أعمالنا بل كل يجازئ بعمله ، أولنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) أي امان منّا لكم فلن نقابل لغوكم بمثله (لا نبتغي الجاهلين) أي لا نطلب مجالستهم ومعاونتهم وانما نبتغي الحكماء والعلماء .

قوله تعالى:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ
نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ
رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا
نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾
وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

لما تقدم ذكر الرسول والقرآن وأنه أُنزل هدى للخلق ، بيّن سبحانه أنه ليس عليه الاهتداء وانما عليه البلاغ والأداء . ثم قال سبحانه حاكياً عن الكفار (وقالوا إن نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا) قيل:ان الحرث بن نوفل بن عبدمناف قال للنبي (ص):إنا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدىٰ معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة لنا بالعرب فقال سبحانه رداً عليهم (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً) أي أولم نجعل لهم مكة في أمن وأمان قبل

هذا ، بل حالة الإيمان والطاعة اولى بالأمن والسلامة من حالة الكفر (وكم اهلكنا من قرية) أي من اهل قرية (بطرت معيشتها) بأن اعرضت عن شكر ربها وتكبّرت فأهلكناهم (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً) تلك إشارة الى ما يعرفونه هم من ديار عاد وثمود وقوم لوط (وكنا نحن الوارثين) المالكين لديارهم لم يخلفهم احد فيها (وما كان ربك) يا محمّد (مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً) قبل أم القرى مكة ، وقيل: معظم القرى من سائر الدنيا ، (يتلو عليهم آياتنا) اي يقرأ عليهم حججنا وبيّناتنا (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) لنفوسهم بالكفر والطغيان والعتو والعصيان ، وأي شيء تتمتعون به في الحياة وتتزينون به فهو متاع موقت زائل بزوال الدنيا (وما عند الله) من الثواب ونعيم الآخرة (خير وأبقى) .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ
كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا
شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ

كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾
فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾

لما تقدم ذكر ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا عقّبه سبحانه بالفرق بين من أوتي نعيم الدنيا وبين مَن أُوتي نعيم الآخرة من ثواب الجنة ونعيمها جزاءً على طاعته ، وأين هذا من متاع الدنيا الزائل من الأموال وغيرها (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للجزاء والعذاب (ويوم يناديهم) أي واذكر يوم ينادي الله الكفار يوم القيامة (اين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي كنتم تزعمون في الدنيا بأنهم شركائي في الإلهية وتعبدونهم (قال الذين حقّ عليهم القول) أي حقّ عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والانس الذين أغووا الخلق (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) يعنون اتباعهم اضللناهم عن الدين كما ضللنا نحن بأنفسنا (تبرأنا اليك) برأ بعضهم من بعض وصاروا اعداءً (ما كانوا إيانا يعبدون) أي لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا ، ويقال للأتباع أُدعوا الذين عبدتم من دون الله أُدعوهم لينصروكم ويدفعوا عنكم العذاب ، فيدعونهم فلا يجيبونهم (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أُرسل اليكم من النبيين وماذا عملتم (فعمّيت عليهم الأنباء يومئذ) أي فخفيت واشتبهت عليهم طرق الجواب فصاروا كالعمي وأُدحضت حجّتهم فسكتوا (فهم لا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن العذر الذي يعتذر به ، ولا عن حاله ونسبه .

قوله تعالى :

فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾
وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

ذكر سبحانه التائبين ورغّب في التوبة (فاما مَن تاب) أي رجع عن المعاصي والكفر واضاف الى إيمانه الأعمال الصالحة (فعسىٰ أن يكون من المفلحين) وانما جاء بلفظة عسىٰ مع أنه مقطوع بفلاحه لانه على رجاء أن يداوم على ذلك فيفلح ، وقد يزل فيهلك،على أنه قد قيل أن عسىٰ من الله سبحانه لفظة وجوب في جميع القرآن (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) فمحمّد (ص) خيرة الله من خلقه والله يختار لتدبير عباده ما هو الأصلح لهم ويختار للرسالة ما هو الأصلح لعباده ، وليس لهم الإختيار علىٰ الله ، وذلك ردّ على المشركين الذين قالوا لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم ، واختاروا لذلك الوليد بن المغيرة من مكة ، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف (سبحان الله وتعالىٰ عمّا يشركون)أي تقدس وتنزه عن أن يكون له شريك في خلقه واختياره،وان مَن لا يعلم السر والجهر فلا اختيار اليه،ثم اكد سبحانه أنه لا يستحق العبادة سواه ، ولا يستحق الحمد والثناء علىٰ ما أنعم به علىٰ خلقه غيره ، وهو الحاكم بينهم بين الحق والباطل .

قوله تعالىٰ :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ

غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللّٰهُ
عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُم
بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾
وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا أَنَّ الْحَقَّ
لِلّٰهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

بيَّن سبحانه ما يدل على توحيده فقال لنبيّه (ص) (قل) يا محمّد لأهل مكة الذين اشركوا مع الله آلهة (أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) أي دائماً لانهار معه وحيث أنه لا يقدر على ذلك سوى الله فلا يستحق العبادة غيره ، أفلا تشاهدون الليل والنهار وتتدبرون فيهما فتعلموا أنهما من صنع مدبر حكيم في تصريف الليل والنهار وسائر انواع النعم (ونزعنا من كل أُمة شهيداً) أي وأخرجنا من كل أُمة رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم (فقلنا هاتوا برهانكم) أي حججكم على صحة ما تدعون فبهتوا وتحيّروا حيث لا حجّة لهم وعلموا هناك أن الحق ما أنزله الله على رسله (وضل عنهم) أي ذهب عنهم (ما كانوا يفترون) من الكذب وبطل ما عبدوه من دون الله تعالى .

قوله تعالى :

إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ
مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا
تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ
عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ
قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ
قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ
ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

(إن قارون كان من قوم موسىٰ) أي كان من بني اسرائيل وكان ابن خالته وقيل:كان ابن عم موسىٰ ، وقيل:كان عم موسىٰ (فبغىٰ عليهم) أي استطال عليهم بكثرة كنوزه (وآتيناه من الكنوز) قال عطا اصاب كنزاً من كنوز يوسف (ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أُولي القوة) قيل:كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل الأصبع ، والعصبة:قيل ما بين العشرة الىٰ خمسة عشر ، وقيل:ما بين عشرة الى اربعين (إذ قال له قومه) من بني اسرائيل لا تفرح ولا تكبر بسبب كنوزك إن الله لا يحب من كان بهذه الصفة ، والفرح بمعنىٰ البطر والغرور (وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة) وهذا ايضاً من مقالة المؤمنين،وقيل:هو من كلام موسىٰ (ع) لقارون ، وأنفق ما آتاكَ الله في سبيل الخير ووجوه البر (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو أن تعمل في الدنيا للآخرة ، وروي عن علي (ع) : لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب بها الآخرة ، وقيل:أُمر أن يقدم الفضل وأن يمسك ما يغنيه ، واستمتع بما أتاك الله من الوجه الذي أباحه الله لك فإن ذلك غير محظور عليك ، وأفضل علىٰ الناس كما أفضل الله عليك ، أو وأحسن شكر الله تعالىٰ علىٰ قدر إنعامه عليك وواس عباد الله بما لك (قال قارون (إنما أُوتيته علىٰ علم عندي) أراد إنما أُعطيت هذا المال بفضل وعلم عندي ، أو بما استحقه من ثواب الله تعالىٰ أو بمعرفته باستحقاقي (أو لم يعلم أن الله قد اهلك من قبله من القرون) الكافرة بنعمه كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هم أقوىٰ من قارون وأغنىٰ منه وكيف أنها لم تغن عنهم أموالهم ولا جموعهم (ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون) يعني أنهم يدخلون النار بغير حساب (فخرج

على قومه) أي خرج قارون على بني اسرائيل في زينته التي كان يتزين بها من العدد والحواشي والمراكب المذهبة بما يبهر الأبصار ويذهل النظار حتى قيل أنه خرج في سبعين الفاً عليهم المعصفرات . فقال الكفار والمنافقون وضعيفو الايمان (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) أي ذو نصيب وافر من الدنيا وتمنوا مثل منزلته ، وقال المؤمنون المصدقون بوعد الله (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) أي خير مما أوتي قارون (ولا يلقاها إلا الصابرون) أي لا يلقى مثل هذه الكلمة ولا يوفق لها إلا الصابرون على طاعة الله (فخسفنا به وبداره الأرض) قال السدي: دعا قارون امرأة من بني اسرائيل بغياً فقال لها إني أعطيك ألفين على أن تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقولي يا معشر بني اسرائيل ما لي ولموسى قد آذاني ؟ قالت نعم ، فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه ، فلما جاءت بيتها ندمت وقالت: يا ويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا أن أفتري على نبي الله ، فلما أصبحت أقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني اسرائيل فقالت إن قارون قد أعطاني . . . . فغضب موسى فدعا الله عليه فأوحى الله اليه أني أمرت الأرض أن تطيعك وسلطتها عليه فمرها،فقال موسى: يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته . . . (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أي يدفعون عنه عذاب الله (وما كان من المنتصرين) بنفسه (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) حين خرج عليهم في زينته (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء) لا لكرامته كما بسط لقارون ويضيق على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحة ولو كان عندنا مثل ما عند قارون لخسف بنا كما خسف به .

قوله تعالى :

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ

بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ
الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى
وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ
آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

قيل: لما نزل النبي (ص) بالجحفة في مسيره الى المدينة لما هاجر اليها اشتاق الى مكة فأتاه جبرائيل (ع) فقال: أتشتاق الى بلدك ومولدك ؟ فقال نعم ، قال جبرائيل فإن الله يقول (إن الذي فرض . . .) يعني الى مكة ، وسمّيت مكة معاداً لعوده اليها . (تلك الدار الآخرة) يعني الجنة أعدها الله للمؤمنين الذين لا يتجبرون ولا يتكبرون على عباد الله ولا يستكبرون عن عبادته ولا يعملون في الأرض بالفساد .

وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبيّاع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً . . .) ويقول نزلت هذه الآية في اهل العدل والتواضع من الولاة واهل القدرة من سائر الناس .

(والعاقبة للمتقين) أي العاقبة الجميلة المحمودة لمَن اتقوا الشرك والمعاصي (من جاء بالحسنة فله خير منها ومَن جاء بالسيئة ...) أي لا يزاد في عقاب من جاء بالسيئة بل يعاقب على قدر استحقاقه بخلاف الزيادة في الفضل على الثواب فانه يكون تفضلاً (إن الذي فرض عليك القرآن) خطاب للنبي (ص) والمعنى إن الذي اوجب عليك الامتثال بما تضمنه القرآن وأنزله عليك (لرادّك الى معاد)الى مكة ، وفي الآية دلالة على صحة النبوة لأنه سبحانه اخبر بالعودة وتحقق الخبر (قل) يا محمّد (ربيْ أعلم مَن جاء بالهدى) الذي يستحق عليه الثواب (ومَن هو في ضلال مبين) قل إن ربي يعلم أني جئت بالهدى من عنده وانكم في ضلال سينصرني الله عليكم . (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي ما كنت يا محمّد ترجو فيما مضى أن يوحي الله اليك وينزل القرآن عليك (إلا رحمة من ربك) إلا ان ربك رحمك وأنعم به عليك وكذلك ينعم عليك بردك الى مكة (فلا تكونن ظهيراً للكافرين) أي معيناً لهم ، وفي هذا دلالة على وجوب معاداة اهل الباطل ، وفي هذه الآية وما بعدها وإن كان الخطاب للنبي (ص)فالمراد غيره وقد روي عن بن عباس انه كان يقول:القرآن كله إياكِ أعني واسمعي يا جارة. (ولا يصدنّك عن آيات الله بعد إذ أُنزلت اليك) أي ولا يمنعك هؤلاء الكفار عن اتباع آيات الله التي هي القرآن والدين (وادع الى ربك) الى طاعة ربك والى توحيده ولا تمل الى المشركين ولا توال أحداً منهم (ولا تدع مع الله الهاً آخر) أي لا تعبد معه غيره ولا تطلب حوائجك من سواه إذ لا معبود إلا هو وكل شيء فانه بائد إلا ذاته سبحانه .

تمت ولله الحمد سورة القصص وتفسيرها

سورة العنكبوت

مكية كلها في قول عكرمة وعطاء والكلبي .
ومدنية في أحد القولين عن بن عباس وقتادة .
ومكية إلا عشر آيات من أولها مدنية كما هو عن
الحسن وعن ابن عباس في أحد قوليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ﴿١﴾ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿٢﴾ ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿٣﴾
أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون ﴿٤﴾
من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ﴿٥﴾

قيل:نزلت الآية في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله ، وقيل:نزلت فيه وفي غيره من المسلمين الأولين .

(آلم ، أحسب الناس. . .) أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ويقتصر منهم على هذا القدر ولا يمتحنون بما يثبت حقيقة ايمانهم ، ومعناه أن مجرد أن يقول لا إله إلا الله لا يكفي ، وأن المؤمن يمتحن ، وأن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع ويمتحن بالنفس والمال ويُمنى بالشدائد والهموم فينبغي أن يوطن نفسه ويهيئها لذلك ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به (ولقد فتنا

الذين من قبلهم) أي ابتلينا الذين من قبل أمة محمد (ص) وامتحناهم بالفرائض وبالشدائد والمصائب وكيف أنهم صبروا على دين الله فلمْ يرجعوا عنه رغم كل ما حل بهم (فليعلمنّ الله الذين صدقوا) في ايمانهم من الكاذبين وليميزنّهم بالجزاء والمكافأة . (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أي بل حسب الذين يفعلون الكفر والقبائح أن يعجزونا فلا نقدر على أخذهم والإنتقام منهم بئس ما ظنوا أنهم يفوتوننا (مَن كان يرجو لقاء الله) ويأمل ثوابه ويخاف عقابه فليبادر الى الطاعة قبل حلول الأجل (فان أجل الله لآت) لا محالة (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بما في ضمائركم .

قوله تعالى :

وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ
ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن
جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ
أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

لما رغّب سبحانه في تحقيق الرجاء والخوف عقّبه بالترغيب في المجاهدة (ومَن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أي ومن جاهد الشيطان بدفع وسوسته واغوائه ، وجاهد اعداء الدين لإحيائه فانما يجاهد (لنفسه) لأن ثواب ذلك عائد عليه ، وان الله غير محتاج لطاعته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) التي اقترفوها قبل ذلك ويكون الجزاء بأحسن أعمالهم التي عملوها في الاسلام . (ووصّينا الإنسان بوالديه) أي أمرناه ان يفعل بوالديه (حسناً) (وإن جاهداك) أبواك والحا عليك (لتشرك) بالله في العبادة (ما ليس لك به علم) ولا تعتقد استحقاقه للعبادة (فلا تُطعهما) وبذلك نهى سبحانه عن طاعة الوالدين في المحظورات وروي عن النبي (ص) قال : الجنة تحت اقدام الأُمهات (ومن الناس مَن يقول آمنا بالله) قوله وايمانه بلسانه (فاذا أوذي في الله) في دين الله أو في ذات الله رجع عن الدين مخافة عذاب الناس كما يرجع الكافر عن كفره مخافة عذاب الله (ولئن جاء نصر من ربك) يا محمّد جاء نصر للمؤمنين على الكافرين سيقول المنافقون للمؤمنين إنا كنّا معكم طمعاً في الغنيمة

قوله تعالى :

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ
خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ

الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

وفي الآية تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التي استهزؤا بها وتوهموا أنهم قد نجوا من ضررها باخفائها فبيّن أنها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها.

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) نحمل آثامكم عنكم ، ومعناه لا اثم عليكم باتباع دبنا ولا يكون بعث ولا حساب (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء) أي لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيامة بحيث يكون التابع في الكفر لا ذنب ولا عقاب عليه والعقاب كله على المتبوع (وليحملنّ اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم) أي يحملون خطاياهم وأوزارهم التي في نفوسهم ويحملون أوزار الخطايا التي ظلموا بها غيرهم،وقيل بمعنى انهم يحملون عذاب ضلالهم وعذاب إضلالهم لغيرهم ودعائهم الى الكفر .

ثم قصّ سبحانه خبر ارسال نوح (ع) حين أُرسل يدعو قومه الى توحيد الله عز وجل (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) فلم يجيبوه وكفروا به (فأخذهم الطوفان) جزاءً على كفرهم فهلكوا (وهم ظالمون) لأنفسهم بما فعلوه من الشرك والعصيان ، وأنجى الله نوحاً ومَن معه في السفينة من المؤمنين (وجعلناها) أي السفينة علامة وآية وعبرة للخلائق اجمعين .

قوله تعالى :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ

إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا
فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾
وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ
النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

(وابراهيم) أي وارسلنا ابراهيم (إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي أطيعوا الله وخافوه وذلك التقوىٰ خير لكم (انما تعبدون من دون الله أوثاناً) أي انكم تعبدون أصناماً من حجارة لا تضر ولا تنفع (وتخلقون إفكاً) أي كذباً بأن تسمّوا هذه الأوثان الهة ، أو وتصنعون أصناماً بأيديكم ، وان هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله (لا يملكون لكم رزقاً) فمَن لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العبادة (فابتغوا عند الله الرزق) أي اطلبوا الرزق من الله لا من سواه .

(وان تكذبوا) أي وان تكذبوا محمداً (ص) في دعوته ورسالته فقد كذب مَن كان قبلكم أنبياءهم الذين بُعثوا اليهم ، (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وليس عليه مسؤولية حمل البشر على الإيمان (أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده) يعني كفار مكة الذين انكروا البعث وأقروا بالله هو الخالق ، أولم يتفكر هؤلاء الكفار فيعلموا كيف بدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانياً (إن ذلك على الله يسير) لأن من قدر على الإنشاء والإبتداء فهو على الاعادة اقدر (قل) يا محمّد

لهؤلاء الكفار (سيروا في الأرض) وتفكروا في آثار من كان فيها قبلكم وإلى أي شيء صار أمرهم لتعتبروا بذلك (ثم الله ينشيء النشأة الآخرة) أي ينشي الخلائق نشأة وايجاداً من غير سبب (إن الله على كل شيء قدير) .

قوله تعالى :

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

ذكر سبحانه الوعد والوعيد فقال: (يعذب مَن يشاء) اي أنه المالك للثواب والعقاب ، وهو لا يشاء ولا يفعل إلا الحكمة والعدل (واليه تقلبون) يوم القيامة حيث لا يملك النفع والضر في ذلك اليوم إلا الله سبحانه ولستم (بمعجزين في الأرض ولا في السماء) أي ولا تفلتون من قبضته في الدنيا ولا في الآخرة ولا تستطيعون فراراً من حكمه وعدله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

ينصركم ويدفع عنكم (والذين كفروا بآيات الله) جحدوا القرآن والأدلة التي نصبها الله لهداية عباده وجحدوا لقاءه بعد الموت (أُولئك يئسوا من رحمتي) أي إن الله آيسهم من رحمته وذلك دلالة على أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا ييأس من رحمة الله . (فما كان جواب قومه) عاد سبحانه الى قصة ابراهيم (ع) حين دعا قومه الى الله ونهاهم عن عبادة الأصنام فما كان جوابهم له (إلا أن قالوا اُقتلوه أو حرقوه) لأنهم لا حجّة لهم يحاجونه بها فطالبوا بقتله أو حرقه ليتخلّصوا منه . فاجّجوا ناراً وألقوه فيها فانجاه الله منها . (وقال) ابراهيم (ع) لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم) لتتوادوا بها في الدنيا . (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) أي يتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع قادتهم لأنهم زينوا لهم الكفر وأغروهم به .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ
اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

(فآمن له لوط) أي فصدّق بابراهيم لوط وهو ابن أخته. وابراهيم (ع) خال لوط وهو أول من صدق بابراهيم (وقال) ابراهيم (إني مهاجر الى ربي) أي خارج من الظالمين لقبيح أعمالهم ومتوجه الى حيث أمرني ربي، فخرج ابراهيم (ع) ومعه لوط وامرأته سارة وكانت ابنة عمه متوجهين الى أرض الشام. (ووهبنا له) أي لابراهيم من بعد اسماعيل وهبنا له (اسحاق ويعقوب) ولم يبعث الله نبياً من بعد ابراهيم إلا من صلبه فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان كلها أُنزلت في اولاده (وآتيناه أجره في الدنيا) وهو الذكر الحسن والولد الصالح، وقيل: هو رضى اهل الأديان به فكلّهم يحبونه ويتولونه. (ولوطاً إذ قال لقومه إنكم . . .) منكراً لفعلهم، والفاحشة ها هنا ما كانوا يفعلونه من اتيان الذكران (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) أي سبيل الولد، أو بمعنى يقطعون سبيل المارة ويتعرضون لهم ويفعلون مع المسافرين اللواطة، وقيل: انهم كانوا يضيفون لفعلهم القبيح اللصوصية وقطع الطريق (وتأتون في ناديكم المنكر) قيل: انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء، وقيل: إن مجالسهم كانت تشتمل على انواع المناكير والقبائح من اللواطة والقمار والشتائم والمعازف والمزامير وكشف العورات، وفي هذا إعلام ودلالة على أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير ولا يجتمعوا على المناهي، وكان جواب قوم لوط لنبيهم استهزاءً به (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا إئتنا بعذاب الله . . . .)

قوله تعالى:

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ

رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ
إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ
عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا
مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

بيَّن سبحانه أنه استجاب دعاء لوط وبعث جبرائيل ومعه الملائكة لتعذيب قومه (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أي يبشرونه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، أخبروه انهم (مهلكوا اهل هذه القرية) قرية قوم لوط (ع) وهي كانت قرية من قرى قوم ابراهيم (إن أهلها كانوا ظالمين) أي مشركين مرتكبين للفواحش (قال) ابراهيم (إن فيها لوطاً) فكيف تهلكونها (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينّه واهله) المؤمنين (إلا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم) أي ساءه مجيؤهم لما رآهم في احسن صورة لما كان يعلمه من خبث فعل قومه،وقيل:سيء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم . (قالوا لا تخف) علينا وعليك فإنا رسل الله لا يقدرون علينا (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) أي عذاباً من السماء جزاء فسقهم وخروجهم عن طاعة الله (ولقد تركنا منها آيةً بينة) أي تركنا من تلك القرية عبرةً واضحةً ودلالةً على قدرتنا وهي آثار منازلهم الخربة (لقوم يعقلون) ويتفكرون ويتعظون فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله والشرك والفساد .

قوله تعالى :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ

الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن
مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم
مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
(٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ
أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

عطف سبحانه على ما تقدم فقال (والى مدين) أي وأرسلنا الى مدين وكان جوهر رسالة جميع الرسل الدعاء الى توحيد الله وعبادته (وأرجوا اليوم الآخر) أي وأملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات (ولا تعثوا في الأرض مفسدين). (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي باركين على ركبهم ميتين .(وعاداً وثموداً)أي وأهلكنا أيضاً عاداً وثموداً جزاء كفرهم (وقد تبيّن لكم) يـ معاشر الناس أو يا أهل مكة (من مساكنهم) وآثار دمار قراهم آيةً ودلالةً (وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل) أي فمنعهم عن طريق الحق (وكانوا مستبصرين) أي وكانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق والباطل ولكنهم أغفلوا ولم يتدبروا (وقارون) أي وأهلكنا قارون (وفرعون

وهامان ولقد جاءهم موسىٰ بالبيّنات) أي بالحجج الواضحات ، من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها (فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) أي لا يفوتون الله ولا يفلتون من حكمه (فكلاً اخذنا بذنبه) وعاقبناهم بتكذيبهم الرسل (فمنهم مَن أرسلنا عليه حاصباً) أي حجارة،وقيل:ريحاً فيها حصى وهم قوم لوط ، وقيل هم عاد (ومنهم مَن أخذته الصيحة) وهم ثمود وقوم شعيب ، والصيحة العذاب ، وقيل:صاح بهم جبرائيل فهلكوا (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهو قارون (ومنهم مَن أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) فيعذبهم على غير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم وتكذيبهم الرسل ، وفي هذا دلالة واضحة على فساد مذهب اهل الجبر فان الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم .

قوله تعالىٰ :

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ
بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ
السَّمَٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

شبّه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت فكما أن بيت العنكبوت لا يغني عنها شيئاً لوهنه وضعفه ولا يجدي نفعاً كذلك الأصنام لا تملك لمواليها وعابديها خيراً ولا شراً (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وانهم يعلمون أن بيت العنكبوت واهٍ ضعيف وكذلك العبادة لغير الله سبحانه (خلق الله السماوات والأرض بالحقّ) أي على وجه الحكمة ، وقيل معناه للحق واظهار الحق (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) يعني القرآن أي اقرأه على المكلفين واعمل بما تضمّنه ، واد الصلاة بحدودها وأوقاتها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة وغير ذلك من أنواع العبادات التي هي داعٍ وصارفٍ عن الباطل، وقيل معناه :انه ينبغي أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر . وروي عن النبي (ص) قال : أنه مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً .

وروي أن فتىً من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله (ص) ويرتكب الفواحش فوُصف ذلك لرسول الله (ص) فقال إن صلاته تنهاه يوماً . وروي عن أبي عبدالله (ع) قال:مَن أحب أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت منه . (ولذكر الله اكبر) أي ولذكر الله إياكم برحمته اكبر من ذكركم إياه بطاعته ، أو أن ذكر العبد لربه اكبر مما سواه وأفضل من جميع اعماله في النهي عن الفحشاء .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجُزءُ الحَادِي وَالعِشرُونَ

مِنَ القرآنِ الكَريم

قوله تعالى :

وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ
وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ
وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ
بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾

لما تقدم الأمر بالدعاء الى الله سبحانه بيَّن عقيبه كيف يدعونهم ، كيف يجادلونهم (ولا تجادلوا اهل الكتاب نصارى نجران وقيل:عموم اليهود والنصارى (إلا بالتي هي أحسن) أي بالرفق واللين وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء الى الله تعالى على أحسن الوجوه وألطفها واستعمال القول الجميل في التنبيه على آيات الله وحججه (إلا الذين ظلموا) اي إلا مَن أبىٰ ونصب الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يفيئوا الى أمر الله تعالى .

وقيل:ان الآية منسوخة بآية السيف ، والصحيح أنها غير منسوخة لأن الجدال على الوجه الاحسن هو الواجب الذي لا يجوز غيره . (وقولوا) لهم حين المجادلة والدعوة (آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم) أي بالكتاب الذي أنزل الينا وبالكتاب الذي أنزل اليكم (وكذلك) أي ومثل ما أنزلنا الكتاب على موسى وعيسى (ع) (أنزلنا اليك الكتاب) وهو القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب) أي علم الكتاب (يؤمنون به) يعني مؤمني اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام ونظرائه (ومن هؤلاء) أي من كفار مكة (مَن يؤمن به) يجوز أن تكون الهاء في به راجعة الى النبي (ص) أو الى القرآن . ومن هؤلاء اليهود والنصارى مَن يؤمن به . (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) أي وما كنت يا محمّد تقرأ قبل القرآن كتاباً (ولا تخطه بيمينك) أي وما كنت تكتب بيدك قال الشريف المرتضى علم الهدى قدس روحه هذه الآية تدل على أن النبي (ص) ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة ، فأما بعد النبوة فالذي نعتقده في ذلك التجويز بكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز بكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين وظاهر الآية يقتضي أن النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة لأن المبطلين إنما يرتابون في نبوته (ص) لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز أن يكون قد تعلمها من جبرائيل (ع) بعد النبوة . (بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم) يعني أن القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء، وهم النبي (ص) والمؤمنون به لأنهم حفظوه ووعوه ورسخ معناه في قلبوهم،وقيل:هم الأئمة (ع) من آل محمّد كما ورد ذلك عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام . (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) الآيات التي اقترحوها وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، وأن تجعل الصفا ذهباً ، وقيل:انهم سألوا آية كآية موسى (ع) من فلق البحر وقلب العصا حيّة (قل) يا محمّد لهم (إنّما الآيات عند الله) وينزلها ويظهرها

بحسب ما يعلم سبحانه من مصالح عباده ، ولكل نبي ما يصلح له ولأمته من الآيات والمعاجز ، (وانما أنا نذير مبين) أي منذر مخوف من معصية الله مبيّن لطريق الحق والباطل .

قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

لما تقدم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال (أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك) يا محمّد (الكتاب) أي القرآن وفي انزاله دلالة واضحة ومعجزة لائحة ، وفي هذا دلالة على أن القرآن كاف في المعجز وأنه في اعلى درجات الإعجاز (قل) يا محمّد (كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) أي شاهداً لي بالصدق والإبلاغ

(ويستعجلونك) أي يسألونك نزول العذاب عاجلاً لجحودهم صحة ما توعدهم به (ولولا اجل مسمىٰ) وهو يوم القيامة ، أو اجل قدّره الله تعالىٰ أن يبقيهم اليه لمصلحة يعرفها سبحانه (لجاءهم العذاب) الذي استحقوه (وليأتينّهم) العذاب (بغتة وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين) يعني: ان العذاب وإن لم يأتهم في الدنيا فان جهنم محيطة بهم وهم معذبون بها لا محالة (يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فلا يبقىٰ جزء منهم إلا وهو معذب في النار .

قوله تعالىٰ :

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

قيل : نزلت الآية الأولىٰ في المستضعفين من المؤمنين بمكة أمروا بالهجرة عنها ، ونزل قوله (وكأين من دابة لا تحمل رزقها . .) في جماعة كانوا بمكة يؤذيهم المشركون فأمروا بالهجرة الىٰ المدينة فقالوا كيف نخرج اليها وليس لنا بها دار ولا عقار ومَن يطعمنا ومَن يسقينا ؟

وهنا بيّن سبحانه أنه لا عذر لعباده في ترك طاعته (يا عبادي الذين آمنوا إن ارضي واسعة) فاهربوا من أرض يمنعكم أهلها من الإيمان والاخلاص في عبادتي . وقال أبو عبدالله (ع): معناه إذا عصي الله في ارض أنت فيها فاخرج منها الى غيرها (فاياي فاعبدون) ولا تطيعوا أحداً من خلقي في معصيتي (كل نفس ذائقة الموت) بأي أرض كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني المهاجرين (لنبوئنهم) أي لننزلنهم (من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) يبقون فيها ببقاء الله سبحانه . ثم بيّن سبحانه أن تلك المرتبة الرفيعة والخلود في الجنة انما هو اجر للصابرين على دينهم وعلى ما ينالهم من مشاق وأذى في سبيل دينهم (وعلى ربهم يتوكلون) في مهمات أمورهم . (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي وكم من دابة لا يكون رزقها مدخراً معداً ، وانما تحصل رزقها أنياً بفمها (الله يرزقها واياكم) أي برزق تلك الدابة الضعيفة التي لا تقدر على حمل رزقها ويرزقكم أيضاً ، فلا تتركوا الهجرة في سبيل الله خوف الفقر أو قلة الرزق .

قوله تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا

هٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ
الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَآ
آتَيْنٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا
وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ
(٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكٰفِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

(ولئن سألتهم) أي إن سألت يا محمّد هؤلاء المشركين (مَن خلق السموات والأرض) وأخرجهما من العدم الى الوجود ، (وسخّر الشمس والقمر) وسيّرهما في دورانهما على طريقة لا تختلف (ليقولنّ الله) الفاعل لكل ذلك . (فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة حجر لا ينفع ولا يضر (الله يبسط الرزق) أي يوسعه (لمَن يشاء من عباده ويقدر له) أي ويضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحة . (ولئن سألتهم مَن نزل من السماء . . . ليقولن الله) قل يا محمّد عند ذلك (الحمد لله) على كمال قدرته وتمام نعمته وعلى ما وفّقنا للاعتراف بتوحيده والإخلاص في عبادته . ثم قال سبحانه (بل أكثرهم لا يعقلون) توحيد ربهم مع اقرارهم بأنه خالق الأشياء ومدبّرها ، ومَن لا يتدبر الحق

ولا يهتدي بالأدلة فهو كمن لا يعقل . (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) وانها تزول كما يزول اللهو واللعب (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة الحقيقية التي لا زوال لها ولا موت فيها . (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) هذه حال الكفار وانهم إذا ركبوا في السفن في البحر وهاجت به الرياح وتلاطمت به الأمواج وخافوا الهلاك أخلصوا الدعاء لله مستيقنين أنه لا يكشف السوء إلا هو ، فلما خلصهم إلى البر وأمنوا الهلاك عادوا الى ما كانوا عليه من الإشراك معه في العبادة ، وانهم مهما جحدوا نعم الله في إنجائه إياهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً) يأمن أهله فيه من القتل والحرب (ويتخطف الناس من حولهم) أي يقتل بعضهم بعضاً فيما حولهم وهم آمنون في الحرب (أفبالباطل يؤمنون) أي يصدقون بعبادة الأصنام وهي عبادة واضحة البطلان (وبنعمة الله يكفرون) ثم قال سبحانه (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) أي لا ظالم أظلم ممن نسب الى الله ما لم يقله سبحانه ولا يرضاه من عبادة الأصنام وغيرها (أو كذب بالحق) أي بالقرآن وقيل بمحمد (ص) (أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا استفهام تقرير وتأكيد بأن جهنم مثوى الكفار المكذبين (والذين جاهدوا فينا) أي جاهدوا ابتغاء مرضاتنا وطاعتنا أو بمعنى اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة من عقابنا (لنهدينهم سبلنا) الموصلة الى ثوابنا ونوفقهم لازدياد الطاعة والمثوبة .

تمت ولله الحمد سورة العنكبوت وتفسيرها

عن النبي (ص) قال : مَن أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى في الآخرة فليكن آخر كلامه في مجلسه :

سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

فهرس المجلد الثاني

من مختصر مجمع البيان في تفسير القرآن

سورة يونس	الجزء الحادي عشر	٦
سورة هود	الجزء الثاني عشر	٤٤
سورة يوسف	الجزء الثاني عشر	٨١
سورة الرعد	الجزء الثالث عشر	١١٨
سورة ابراهيم	الجزء الثالث عشر	١٣٨
سورة الحجر	الجزء الرابع عشر	١٥٢
سورة النحل	الجزء الرابع عشر	١٦٨
سورة الاسراء	الجزء الخامس عشر	٢٠٨
سورة الكهف	الجزء الخامس عشر	٢٤٥
سورة مريم	الجزء السادس عشر	٢٨١
سورة طه	الجزء السادس عشر	٣٠٢
سورة الأنبياء	الجزء السابع عشر	٣٣٧
سورة الحجّ	الجزء السابع عشر	٣٥١
سورة المؤمنون	الجزء الثامن عشر	٣٧٦
سورة النور	الجزء الثامن عشر	٣٩٧
سورة الفرقان	الجزء الثامن عشر	٤٢٣
سورة الشعراء	الجزء التاسع عشر	٤٤٤
سورة النمل	الجزء التاسع عشر	٤٦٩
سورة القصص	الجزء العشرون	٤٩٤
سورة العنكبوت	الجزء العشرون	٥٢١

تم بعون الله وتوفيقه المجلد الثاني من مختصر مجمع البيان في تفسير القرآن وذلك بتاريخ ٣٠ محرم الحرام ١٤٠٠ هـ ونأمل من الله التوفيق لإخراج المجلد الثالث الأخير.

محمد باقر الناصري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلّى الله على محمّد نبيّ الله وعلى آله آل الله

لقد قامت مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم المشرّفة بنشاطات واسعة في مجال نشر المعرفة وإحياء التراث الاسلامي وإليكم سرداً لبعض منشوراتها:

من الكتب التي تمّ طبعها

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

١ـ أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل	إعداد السيد محمد جواد الجلالي
٢ـ أدب الحسين وحماسته	تأليف الشيخ أحمد الصابري الهمداني
٣ـ إرشاد الأذهان (ج١و٢)	=العلّامة الحلّي
٤ـ الاسلام السعوديّ الممسوخ	=السيّد طالب الخرسان
٥ـ الأسير في الاسلام	=الشيخ علي الأحمدي الميانجي
٦ـ الاصطلاحات في الرسائل العمليّة	=الشيخ ياسين عيسى العاملي
٧ـ الامام الصادق(ع) (ج١و٢)	=الشيخ محمّد حسين المظفّر
٨ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (ج١و٢)	إشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
٩ـ ايضاح الاشتباه	=العلّامة الحلّي
١٠ـ البحث في رسالات عشر	=الشيخ محمّد حسن القديري
١١ـ بحوث في الفقه، وتشمل على:	=الشيخ محمّد حسين الاصفهاني
أـ صلاة الجماعة	
بـ صلاة المسافر	تحقيق مؤسّسة النشر الاسلامي
جـ الاجارة	

١٢ـ بحوث في الاصول، وتشمل على: تأليف الشيخ محمّد حسين الاصفهاني

أ ـ الاصول على النهج الحديث

ب ـ الطلب والإرادة

ج ـ الاجتهاد والتقليد

تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي

١٣ـ تأويل الآيات الظاهرة =السيّد عليّ الحسينيّ الإستراباديّ

١٤ـ التوضيح النافع في شرح ترددات صاحب الشرائع =الشيخ حسين علي القرطوسي

١٥ـ جواهر الفقه =ابن برّاج الطرابلسي

١٦ـ الحدائق الناضرة (ج ١ـ ٢٥) =الشيخ يوسف البحراني

١٧ـ حقائق هامّة حول القرآن =السيّد جعفر مرتضى العاملي

١٨ـ الخلاف (ج ١ـ ٣) =شيخ الطائفة الطوسي

١٩ـ دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام (ج ١و٢) =السيّد جعفر مرتضى العاملي

٢٠ـ درر الفوائد (ج ١و٢) =آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري

٢١ـ الذخيرة في علم الكلام =السيد المرتضى

٢٢ـ الذريّة الطاهرة =محمد الرازي الدولابي

٢٣ـ رياض السالكين (ج ١ـ ٤) =السيّد علي خان المدني

تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي

٢٤ـ السرائر (ج ١ـ ٣) =ابن إدريس الحلّي

٢٥ـ سلمان الفارسي =السيد جعفر مرتضى العاملي

٢٦ـ سيّد المرسلين (ج ١) =الشيخ جعفر السبحاني

٢٧ـ شرح الأخبار (ج ١و٢) (١ـ ١٠) =القاضي النعمان المغربي

٢٨ـ الصحيح من سيرة النبي (ص) (ج ١ـ ٦) =السيد جعفر مرتضى العاملي

٢٩ـ الصلاة (ج ١) (تقريرات بحث المحقق الداماد) =الشيخ محمّد المؤمن

٣٠ـ الصلاة (ج ٢و٣) (تقريرات بحث المحقّق الداماد) =الشيخ عبدالله الجوادي الآملي